صورة الغلاف :

وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العدد ١١٩

غرة ذي القعدة ١٣٩٤ هـ

نوفمبر ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الافراد فشتركون رأسا

مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى ـ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ ـ كويت ـ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

النبأ في القرآن

للأستاذ أحمد البسيوني

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
((مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كالأترجة ، طعمها طيب ، وريحها طيب ، والمؤمن الذى لا يقرأ القرآن كالتمرة ، طعمها طيب ، ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن ، كمثل الريحانة ، ريحها طيب ، وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ، طعمها مر ، ولا ريح لها))(1) .

(رواه الشيخان وأبو داود والنسائي والترمذى)

كما تحتاج العين الى شعاع من النور ، يمدها بالحركة الكاشفة ، والبصر النافذ ، وكما تحتاج الأرض الى فيض من الغيث الدافق ، يحيى مواتها ، ويبعث الحياة فى جنباتها ، فاذا بها وقد اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج ..

وكما يحتاج البدن الى الروح اللطيفة ، تسري في أوصاله ، فتسري معها الحياة الكاملة ، التي بها يسمع ويبصر ، وبها يدرك ويعقل ، وبها يسعى ويتحرك ، ولو فارقته هذه الروح ، لأصبح جثة هامدة خامدة .. !!

أجل : كما تحتاج هذه الكائنات جميعها ، الى مقوماتها ومادة وجودها ، تحتاج الانسانية الى هداية السماء ، ترسم لها المعالم الواضحة ، حتى لا تضل ، وتضع لها الموازين القسط ، حتى لا تطغى ،

وتحفظ لها توازنها ، فلا تتعثر ولا تتردى ..

وان من رحمة الله بالانسانية ، أن منحها هداها ، وأنزل عليها القرآن الكريم ، هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان . من قال به صدق، ومن حكم به عدل ، ومن جعله أمامه، دله على الجنة ، ومن جعله وراءه ، ساقه الى النار ، وهذا الكتاب الذى أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، أنزل لغاية ، هى أن يهدى للتى هى أقوم ، ويخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ، ولقد حقق هذا القرآن العظيم ، معجزات كبرى ، بما صنع من حضارة ، وبما رفع من قيم ، وأيقظ من همم ، وجمع من شمل .. انه صنع حياة لم تعرف الحياة لها نظيرا ، حياة متجددة ، مفعمة بالخير والصدق والحق ، فهو لهذه الحياة فرقانها ، وروحها ، ونورها ، ان عزلت نفسها عنه ، ساورتها الشكوك والريب ، ودب اليها الفناء ، وزحف عليها الظلام :

« يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا »(٢)

« فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعملون خبير »(٣)

« وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض . الا الى الله تصير الأمور » (١) .

وفى الحديث الشريف ، تشبيه رائع ، يرسم صورة صادقة ، لمواقف الناس من القرآن الكريم ، وجمال هذا التشبيه ، يتمثل فى أنه وصف اشتمل على معنى معقول ، لا يبرزه عن مكنونه الا تصويره بالمحسوس المشاهد ، ثم ان كلام الله المجيد ، له تأثير فى باطن العبد وظاهره ، وان العباد متفاوتون فى ذلك ، فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القارىء ، ومنهم من لا نصيب له البتة ، وهو المنافق الفاجر ، ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه ، وهو المرائى ، أو بالعكس ، وهو المؤمن الذى لم يقرأ القرآن .

ومن حق القرآن على الناس ، أن يعرفوا له قدره ، وأن يتخلقوا بأخلاقه ، وأن يقبلوا على تلاوته وحفظه ، وأن يعبوا من معينه الصافى ، ما يشفى نفوسهم ، ويطهرها من أدران الضلال والجهالة ، ويزج بهم فى آفاق النور ، وحينئذ تتفجر الحكمة من جوانبهم ، يقولون فينصت التاريخ ، ويدعون فتستجيب الدنيا لتوجيههم ، فقد صنعهم القرآن ليكونوا شهداء على الناس ..

وكلما ازداد حظ الناس من القرآن ، ازداد حظهم من الخير الحافل ، والسعادة الدائمة، فالعامل بالقرآن ، متخلق بأخلاق الله ، والتالى لآياته ، انما يناجى ربه ، والماهر بالقرآن ، الحاذق الكامل الحفظ ، الذى لا ينوقف ، ولا يجد فى القراءة مشقة لجودة حفظه واتقانه ، يسمو به القرآن الى مصاف الملائكة ، والذى يجد فى التلاوة والحفظ ، ويلقى فى سبيل ذلك عنتا ومشقة ، يرجح ثوابه فى ميزان الاعمال تقول عائشة رضى الله عنها فى حديث رواه البخارى

وسلم : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن ، مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن وهو عليه شاق ، — وفى رواية : والذى يقرأه ، وهو يشتد عليه — له أجران » .

وبمقدار ما فى صدر المؤمن من آيات ، يرتفع بعددها عند الله درجات ، يقول المعصوم صلوات الله وسلامه عليه : « يقال لصاحب القرآن : اقرأ ، وارق ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فان منزلتك عند آخر آية تقرأها » (٥) .. !

وأي شرف أعظم وأسمى من أن تتحرك شفتا المؤمن ، بكلمات قالها رب العزة ؟! انه فى هذه اللحظات المضيئة ، يسبح فى فيض من السكينة والنور ، فقد حدث الصحابى الجليل أسيد بن حضير ، وكان فى بيته يقرأ القرآن ذات ليلة ، يقول : « فرأيت مثل الظلة ، فيها أمثال السرج ، عرجت في الجو حتى ما أراها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك الملائكة تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم » وفى رواية أخرى : « تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن ، أما انك لو مضيت ، لرأيت عجبا » (٦) .

وفى الحديث الذى معنا ، يعطى الرسول الكريم للمؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به ، صورة لها فى عالم الحس جلال وروعة ، فالذى **يقرأ القرآن** ويعمل به (كالأترجة) وفى اثبات القراءة على صيغة المضارع ، ما يفيد أن المراد ليس حصول ذلك مرة ، وانما المراد الاستمرار والدوام ، وأن القراءة دأبه وغايته ، فهو يقضى نفيس عمره فى التلاوة ثم يتحرك القرآن فى داخله حركة ايجابية ، يتحول بعدها — فى دنيا الناس — الى سلوك نظيف ، ومنهج مستقيم ، ان هذا القارىء العامل مثله مثل (الأترجة) وقد اختار الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الفاكهة الطيبة ، مثلا واضحا ، لحسن منظرها ، وطيب مطعمها ، ولين ملمسها ، تأخذ بالأبصار صبغة ولونا ، فاقع لونها ، تسر الناظرين ، تتوق اليها النفوس ، وتشترك فى الاحتظاء بها الحواس الأربع ، البصر ، والذوق ، والشم ، واللمس ، وهكذا المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به ، فهو من حيث ان الايمان فى قلبه ثابت . طيب الباطن ، ومن حيث انه يقرأ القرآن ، فيستريح الناس لصوته ، ويثابون بالاستماع اليه ، ويحبون القرب من مجلسه ليتعلموا منه ، فهو مثل (الأترجة) ينعم الناس بها ذوقا ، وشكلا ، واحساسا ، وشما .. ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا أعلى فى اتقان القرآن الكريم وتجويده ، كما كان مثلا أعلى فى تطبيقه والعمل به : يقول الصحابى الجليل عبد الله بن مغفل رضى الله عنه « قرأ النبى صلى الله عليه وسلم عام الفتح فى مسيرله على راحلته ، سورة الفتح فرجع (٧) فى قراءته ، قال معاوية : لولا خوفى من اجتماع الناس على لحكيت لكم قراءته » وهذا يوضحه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى حسن الصوت ، يتغنى بالقرآن يجهر به » (٨) وقد سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله فقالت للسائل : أما تقرأ القرآن ؟ قال : بلى قالت « كان خلقه القرآن » (٩) وروى ابن ماجه عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من أحسن الناس صوتا بالقرآن ، من اذا سمعتموه يقرأ ، حسبتموه يخشى الله » .

ومن المؤمنين رجل طوى القرآن

فى قلبه ، وأفرغ تعاليمه فى نفسه ، فسيطرت على جوارحه ، وتلون بها سلوكه ، غير أنه لم يوفق الى تحريك لسانه بآيات الكتاب العزيز ، فظلت حبيسة فى صدره تعمل عملها بعيدة عن الذيوع والانتشار ، فهو مؤمن لم يؤت القرآن حفظا وتلاوة ، وان كان قد أوتيه تطبيقا وعملا بما جاء فيه ، فهو منقوص البركة ، مبتور الحظ من الخير ، هجر تلاوة القرآن ، فاستوحش مجلسه ، وأقفر منزله ، ولم يكن لسانه رطبا بآيات الذكر الحكيم ، فهو كالتمرة ملىء باطنها حلاوة ، وخلا ظاهرها من الريح الطيب ، والشذى الفواح ..

ومن الناس فاجر أو منافق ، أوتى حظا عظيما من تلاوة القرآن ، يتدفق لسانه بآياته وكلماته ، ولكنه لا يحرك بها قلبه ، ولا يقف عند عجائبها ، فهو مقطوع الصلة بهدى القرآن ، كالأعمى يحمل السراج ولا ينتفع بضوئه ، أو كالطبيب يصف الدواء للناس ، والعلة تفتك به ، أو كما يقول الشاعر :

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول !

وان أخطر ما تصاب به الأمة الاسلامية ، أن يكون فى صفوفها قوم من هذا اللون ، يتلون كتاب الله لا يجاوز حناجرهم ، ظاهرهم فيه الرحمة ، ينفح الناس طيبا وعطرا ، وباطنهم ينطوى على نتن كريه .. !

كالقبر غطته الزهو
ر وتحته عفن دفينه !

انهم حقا كالريحانة .. ريحها طيب ، ولكن طعمها مر .

وأما أشقى الناس جميعا ، وأبعدهم عن ساحة الرضوان ، وأكثرهم حرمانا من بركات القرآن ، فهو الفاجر المنافق الذى لا يقرأ القرآن ولا يعمل به ، أقفرت نفسه من الخير ، وأجدبت روحه من المعانى الكريمة ، فلا تطوف بها نسمة ، ولا تهب عليها نفحة ، وتحجرت عاطفته ، فلا يهزها وعد ، ولا يخيفها وعيد ، حيل بينه وبين القرآن علما وعملا ، فلا هو من قرائه ، ولا هو من أتباعه ، وذلك هو الخسران المبين .. !!

وان الرسول الكريم — صلوات الله وسلامه عليه — يشبه هذا الرجل الذى اتخذ القرآن مهجورا ، بالحنظلة ، تلكم الثمرة الرديئة ، التى جردها الله من كل خير ، فليست لها رائحة ، وأما طعمها فشديد المرارة ، فما أجدر المنافق الذى لا يقرأ القرآن بأن يضرب له المثل بالحنظلة ، فهو خرب الظاهر والباطن ، لا مجال للقرآن على لسانه ، ولا مكان له فى قلبه ، ومن ثم فهو مصدر بلاء على نفسه وعلى الانسانية ، يشقى الناس بما يلقون منه من سوء خلق ، وفساد ضمير ، وتشقى به نفسه حين يجعل الله له فى الحياة معيشة ضنكا ، ويبعث يوم القيامة أعمى يتخبط فى الحيرة والعذاب « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » (١٠) .. !

ان تلاوة المسلمين للقرآن تحتاج الى نظرة تصحيح .. اننا لا نريد أن يكون هذا الكتاب العزيز ، شارة للمتعطلين وذوى العاهات ، وموردا للمرتزقة يقرأونه على أبواب المساجد وقارعة الطريق وعلى الموتى فى قبورهم يشترون به ثمنا قليلا ، فقراءة القرآن وسؤال الناس بعدها ، أمر مذموم ، فان القرآن أمانة الله لدينا ، وأعظم شىء بيننا ، لأنه كلام الله ، فلا يكون عرضة لحطام الدنيا الفانى ، فقد ورد فى

حديث رواه الترمذى وحسَّنه أن عمران بن حصين رضى الله عنه ، مر على قارىء يقرأ ، ثم سأل ، فاسترجع (١١) ! ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجيء أقوام يقرأون القرآن، يسألون به الناس » .

ان من بطر الحق وغمط النعمة ، أن يتحول القرآن فى دنيا المسلمين الى صحيفة طويلة ، تحوى القرآن كله بخط دقيق ، توضع داخل اطار فاخر ، يزينون به غرفهم ! أو الى مصاحف ثمينة تستقر داخل علب مغلفة بالحرير ، يتبادلها الناس هدايا فى مناسباتهم ، ويضعونها فى واجهات المتاجر أو السيارات ، لتجلب البركة ، وتدفع السوء .. !!

ان بركة القرآن فى العمل به ، وافساح المجال أمامه ليؤدى رسالته فى الحياة « وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون »(١٢).

ان القرآن أصح تراث سماوى يملكه المسلمون ، وهو للانسانية مصدر غنى واسع ، ينفحها بكل خير وبر ، فلا تذكر فضيلة الا ويذكر معها القرآن ، فهو أبوها وباعثها ، وما تواصى الناس بعدل أو مرحمة الا وجدوا أن ذلك منبعه القرآن .. فمتى يدرك الناس ذلك .. ؟

لا نريد أن يكون مبلغ المسلمين من قرآنهم ، أن يستوعبوا آياته اتقانا وتجويدا ، ثم يعزلونه عن حياتهم ، فلا يزكى لهم نفسا ، ولا يرفع لهم رأسا .. !! نريد أن يتحول القرآن فى صدور القراء الى علم نافع ، وثقافة رشيدة ، ثم الى عمل تأخذ الحياة به سيرها الآمن ، وقرارها المطمئن ، فما أنزل القرآن الا ليفهم الناس روحه ، ويفقهوا شرائعه ومقاصده ، ويلتزموا حدوده وآدابه « وكذلك نصرف الآيات ، وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون » (١٣) « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها» (١٤) ؟! « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته ، وليتذكر أولوا الألباب » (١٤).

---

(١) الأترجة بضم الهمزة والراء وتشديد الجيم : ثمرة حلوة الطعم ، طيبة الريح ، جميلة المنظر أقرب ما تكون شبها بالتفاحة وتقول كتب اللغة : انها فاكهة معروفة من شجر من جنس الليمون .. والتمرة : ثمرة النخل ، والريحانة : بقلة طيبة الريح وفى طعمها مرارة .. والحنظلة : ثمر نبات فى البادية مر الطعم ، ولا ريح له ..

(٢) ١٧٤ : النساء .

(٣) ٨ : التغابن .

(٤) ٥٢ ، ٥٣ : الشورى .

(٥) ابو داود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٦) رواه مسلم .

(٧) رجع فى قراءته اى ردد صوته بها ، وأظهر المد فى مواضعه ، وأشبع الحروف مع الصوت الحسن .

(٨) رواه البخارى ومسلم وأبو داود .. ومعنى ما أذن الله لشىء أى ما استمع لشىء كاستماعه لحسن الصوت من نبى أو غيره من أهل القرآن الصالحين ، والمراد اعطاء الأجر العظيم على حسن الصوت .

(٩) رواه أحمد فى مسنده ومسلم وأبو داود

(١٠) من ١٢٤ ــ ١٢٦ سورة طه .

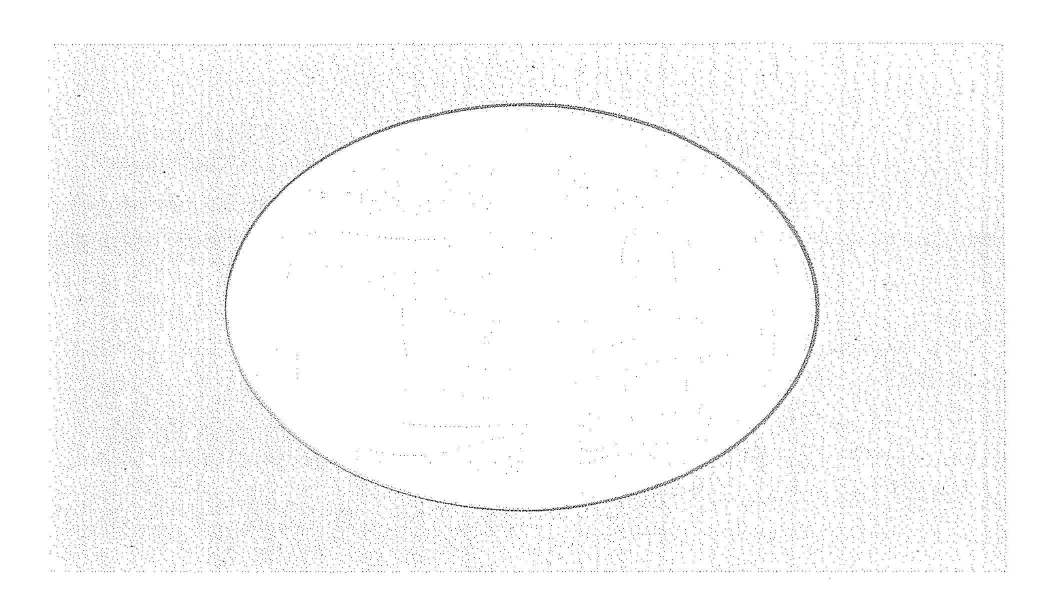
(١١) استرجع قال : انا لله وانا اليه راجعون ، كأنه رأى السؤال بالقرآن مصيبة فاسترجع لها .

(١٢) ١٥٥ : الانعام .

(١٣) ١٠٥ : الانعام .

(١٤) ٢٤ : محمد .

(١٥) ٢٩ : ص .



للشيخ طـه الولى

بعد أيام معدودات تثور في نفوس المسلمين نوازع الشوق لاداء فريضة الحج ، فيتدفقون من كل حدب ومن كل صوب فـي أطراف المعمـورة ، بالبر والجو والبحر قاصـدين الـى الديار المقدسة في بلاد الحجاز للتلاقي بعضهم مع بعض في رحاب منـزل الوحي ويطوفـون حول الكعبـة المشرفة في البيت العتيق مهلليـن ومكبرين حفاة عراة حاسري الرؤوس يحدوهم جميعا رجاء واحـد هـو اطلاب رضى الله عز وجل في المكان الذي جعله مثابة للناس وأمنا ، ومن ثمة متابعة السير الى المدينة المنورة للزيارة حيث يرقد ذلك الانسان الذي أنقذهم من جاهليتهم ودلهـم على الطريق الذي لا أمت فيها ولا اعوجاج نحو المستقبل الذي رسم للبشرية كلها السبيل الذي لا شك فيه ، للسعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة على حد سواء .

واللقاء الرائع الـذي يتم فـي الحج بين ملايين البشر من مختلـف الاجناس والقوميـات والطبقـات الاجتماعية والاهـواء الفكريـة والسياسية ، ان هذا اللقاء هو حدث انساني ضخم وليس مجرد نسك ديني تتخلله طقوس شكلية تبتدىء في يوم وتنتهي في آخر ، اذ ليس من المنطق في شيء أن يأمر الاسلام اتباعه بأن ينسلخوا من حياتهم اليومية ويدعوا جانبا كل ما يعنيهم من المصـالح

والاعمال المادية لينفقوا شطرا من عمرهم في حيز من الارض وصفها القرآن الكريم بأنها « واد غير ذي زرع » ومن الطبيعي أن يكون هذا الامر الالهي يعني بالنسبة للمؤمنين شيئا هو أبعد بكثير من تحصيلهم مشقة الانتقال من أوطانهم وترديد بعض الادعية المأثورة في جوار المسجد الحرام لجردانه أول بيت وضع للناس .

اذن ما هي الحكمة التي من أجلها فرض على المسلمين أن يتداعوا الى مكة المكرمة ويهرعوا الى الاقامة فيها في العاشر من ذي الحجة الحرام من كل عام ؟

واذا نحن تركنا جانبا اهمية الظواهر التعبدية التي يمارسها الحجيج خلال أداء هذه الفريضة الدينية ، فاننا لا نستطيع استبعاد ما هو كامن من المقاصد والاغراض وراء هذه المظاهر وهي مقاصد وأغراض ذات صلة أكيدة بحرص الدين الاسلامي على احكام الروابط التي تشد المسلمين بعضهم الى بعض بعروة وثقى من اللقاء المباشر ولو مرة واحدة في العمر ، يوحي اليهم بأنهم أمة واحدة ، مهما تباينت أجناسهم العرقية أو تعددت أوطانهم القومية أو اختلفت طبقاتهم الاجتماعية أو تناقضت ميولهم السياسية .

ولعلنا نستطيع القول بأن لقاء المسلمين الجماعي في الارض التي كان فيها منزل الوحي وانبثاق الدين الذي يؤمنون بأركانه وشريعته انما هو في الواقع عبارة عن جمعية عمومية نص عليها الدستور الذي أنزله الله على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، على نحو ما هو مألوف في الدساتير الوضعية التي يسنها الناس في تنظيم أنفسهم تحت لواء الاحزاب والجمعيات والتكتلات العادية .

واذا كان اجتماع أعضاء مثل هذه المؤسسات التنظيمية في شكل جمعية عمومية أمرا تقتضيه الضرورة للرجوع الى الرأي العام فيها بصورة دورية ولو مرة في العام ، فانه لم يكن للاسلام أن يتجاوز هذا المنطلق الاساسي في تنسيق التعاون بين جماعته ، لا سيما اذا نحن لاحظنا أن هذا الدين قد انفرد دون سائر الاديان الأخرى ، باعتبار نفسه حزبا قائما بذاته ، أو ليس الله عز وجل هو القائل في كتابه عن المؤمنين به « أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون » وعلى هذا فان فريضة الحج لا تعدو كونها ، مادة رئيسية ، في دستور الاسلام ، تتضمن دعوة أعضاء الحزب المسلمين الى عقد جمعيتهم العمومية في مكة المكرمة التي هي المقر العام لحزبهم ، مرة على الاقل في كل عام .

أما اختيار مدينة مكة بالذات لعقد هذه الجمعية العمومية فذلك لأنها البلد الذي تأسس فيه حزب الاسلام لأول مرة ، ولأن فيه من المؤسسات والمنشآت ما يثير في نفوس الاعضاء « المسلمين » المعاني التذكارية والتاريخية التي رافقت نشوء هذا الحزب . وليس غريبا أن يحرّض الاسلام المسلمين على التلاقي في ظلال التذكارات التي تشدهم بالعاطفة العفوية الى منطلقاته الاولى ، فالنفس البشرية مهما تظاهرت بالتحرر من التعلق بالاشياء المادية التي تجسد المعاني الروحية التي تعيشها ، فانها مضطرة الى الاحتفال بهذه الاشياء والانجذاب الى رؤيتها والتحسس بها عن كثب ، وذلك عن طريق عقلها الباطن الذي يتحكم فيها على الرغم منها ، فطرة

الله التي فطر الناس عليها ولا تبديل لخلق الله .

هذا من الناحية النفسية المجردة ، أما من الناحية الفكرية الموضوعية والمبدئية فان التجمع الكثيف في جوار الكعبة المشرفة ، يذكر المسلمين بالهدف الذي تعنيه مناسك الحج حين تطلب من الذين يؤدونها أن يتجهوا اليها ويطوفوا حولها واكثر من ذلك ، بأن يتشبثوا بأستارها ضارعين الى ربهم أن يتقبل منهم هذه المناسك ، وانما تعني هذه المناسك كلها أمرا واحدا لا تعدوه ولا تتجاوزه الا وهو وحدة الشعوب الاسلامية كلها في أمة واحدة « وان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون » صدق الله العظيم ! هذا ، في الاطار النفسي لتجمع المسلمين حول الكعبة المشرفة في موسم الحج ، أما في الاطار الفكري ، فان من شأن هذا التجمع أن يوحي للحشود البشرية التي تداعت من كل حدب ومن كل صوب الى ذلك المكان الاقدس أن لها الحق في اثبات وجودها والاعلان عن رأيها فيما يخطط لها أولو الامر فيها من مصائر وأهداف . وذلك ان المسلمين حين يقبل بعضهم على بعض في رحاب بيت الله الحرام فانهم يفعلون ذلك باعتبارهم الجمهور الذي يشكل ما تواضع الناس على تسميته بلغة العصر « القاعدة الشعبية » لحزب الاسلام في العالم .

وعلى هذا فان القرآن الكريم يكون أول دستور تنظيمي أمر الهيئة القيادية في الحزب الاسلامي أن ترجع الى قاعدتها الشعبية مرة في كل عام وبصورة دورية الزامية لكي يتم بين القمة الاسلامية وقاعدتها التلاحم العضوي الذي لا بد منه من أجل متابعة المسيرة الحزبية في الطريق المرسوم من أجل الغاية الواحدة والهدف المشترك .

واذا أردنا أن نستعمل المصطلحات الحديثة التي دخلت في معجم اللغة السياسية للعصر الذي نحن فيه فاننا نقول ان فريضة الحج هي المؤتمر العام الذي يعقده المسلمون ليتداولوا فيه بشكل جماعي أوضاع بلادهم وشؤون شعوبهم تحت شعار المصارحة الصادقة والنقد الذاتي البناء وهو ما أشار اليه القرآن الكريم يقول عز وجل « ليشهدوا منافع لهم » وأي منفعة هي أعظم من تلك التي يحققها هذا اللقاء والاجتماع العالمي الذي يضم المسلمين من أطراف الارض وأرجاء العالم في ندوة كاملة تدلي فيها قياداتهم بما عندها من بيانات وتوجيهات ويعرب فيها أفرادهم عما يخالجهم من أفكار أو يراودهم من رغبات . حتى اذا ما انتهت هذه الندوة عادت الجموع الاسلامية الى مناطقها وهي مزودة بالقرارات اللازمة لتضعها موضع التنفيذ في حدود أمكاناتها والملابسات التي تحيط بها والظروف المحلية التي تتحكم فيها .

هذا هو الحج في أبعاده الفكرية وأغراضه القومية وأهدافه الاجتماعية والنفسية . ولعل أبلغ ما يختصر لنا هذه المعاني الاساسية في القرآن الكريم هو قول الله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين » .

أجل ان المناسك الشكلية التي يؤديها الحاج ليست هي التي يتقبلها الله عز وجل أو يرفضها وانما الذي يتقبله هو النوايا التي تسبقها والنتائج التي تترتب عليها والله من وراء القصد .

للاستاذ : احمد محمد جمال

بعض علمائنا القدامى والمحدثين ، الذين اشتغلوا بالدراسات القرآنية — أسرفوا في محاولاتهم — لفهم القرآن وتفهيمه ، وعلم معانيه ، وتراكيبه وتعليمها .. حتى تخيلوا أو توهموا أن في نظم القرآن مشكلا واكاد أقول إنهم افتعلوا الاضطراب في نظم آياته ، والحيرة في تأويل مقاصده . ثم ذهبوا يحاولون حل المشكل المتوهم ، ودفع الاضطراب المزعوم .. بما هو موجود في الآيات نفسها ، أو بما هو معروف ومعلوم من قواعد اللغة العربية ، ومبادىء بلاغتها ، وكلام العرب الفصحاء : من نثر وشعر .

ولو أن هؤلاء العلماء الأفاضل — الذين نُحسن الظن بهم ، وندعو لهم بحسن المثوبة على دراساتهم وابحاثهم ومؤلفاتهم القرآنية — قد وجدوا بين أيديهم زعمات أو مفتريات لأشخاص أو ذوات معروفة بعدائها للإسلام أو جفائها للقرآن أو جهلها باللغة العربية .. عن اضطراب أو إشكال في آيات القرآن نظما ومعنى، فوضعوا هذه المؤلفات أو المقالات للرد عليهم ، وبيان ما جهلوه ، أو تكذيب ما افتروه على القرآن — إذن لكان لهم عذر .. بل كان لهم شكر على دفاعهم عن كتاب الله الكريم ..

اما ان يتوهموا — هم انفسهم — او يفتعلوا المشكل او الاضطراب في القرآن ، وبالتالي يوهمونه للأعداء والجهلاء معا ، فهذا ما استنكرته ، وما خفيت عواقبه السيئة على عقول قراء هذه الكتب وهذه المقالات من الشباب والطلاب ، وضعاف الإيمان ، وقليلي البحث والدرس لعلوم القرآن ومظان فهمه وتفسيره .

****

واكتفي بمثالين .. احدهما كتاب « الفوائد في مشكل القرآن » المنسوب الى سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، والذى حققه الدكتور رضوان على الندوى ، واصدرته وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت — وانما قلت « منسوب » لسلطان العلماء .. لأنى لا استطيع ان أصدق ان هذا الكتاب من تأليف هذا العالم الجليل ، فقد أنكرت في هذا الكتاب امرين :



الأول : إثارة المشـــكلات فـــى تعبيرات القـــرآن أو توهمهـــا ، ثم التيـــاؤل : لم قال : كذا ؟ ولماذا لـــم يقل كذا بدلا من كذا ؟ أو هذا لا يليق: أو لماذا خولف الأصل ؟ الخ .. وفى مواضيع كثيرة لا يجيب على الإشكال الذى أثاره ..

الثانى : أنه اخضـــع القــــرآن لقواعد الصرف والنحو والبلاغة ..

مع أن هذه القواعد قد وضعت بعد نزول القرآن وعلى أساسه باعتبار أنه الذروة فى البلاغة والفصاحة ، والقدوة للبلغاء والفصحاء .

ومما يلاحظ على محقق الكتـــاب الدكتـــور رضوان : انه وضــــع الهوامش جملة واحدة فى ختام الكتاب ولو وضع تعليقاته ومراجعاته فى ذيل كل صفحة لكان أسهل فى الايضـــاح والاستدراك والتصويب .

أما المثال الثانى : فهو سلســـلة مقـــالات نشرتها مجـــلة الجامعـــة الاسلامية التى تصدر بالمدينة المنورة ـــ تحت عنـــوان ـــ (دفـــع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) للشيخ محمد أمين الشنقيطى . ومع ما تجلى خلال هذه الدراسات القيمة من علم واسع وفكر ثاقب ، ومحاولات ناجحة فى التـــوفيق بين بعض المفهومـــات القرآنية وبعضها الآخر .. إلا أنى أرى أنه لا داعى الى توهم الاضطراب أو ظن الإشكال فى آيات القرآن ، لأن الله عز وجل يكرر فى القرآن : انه أنزل بلسان عربى مبين ، وانه لا اختلاف فى الفاظه ، ولا تناقض فى اهدافه ، ولا اضطراب فى معانيه ..

ومن ناحية أخرى .. لو أنا ربطنا بين الآيات ذات الموضوع الواحد ، أو القضـــية الواحـــدة ـــ ولو كانت موزعـــة على سور متعـــددة ـــ لما اختلفت معانيها ومقاصدها ، ولمـــا توهم متوهم اضطرابا فيها أو تناقضا بهـــا .

واجتزىء ببعض النماذج لهـــذه المشكلات أو الاضطرابات المتوهمـــة أو المفتعلة فى آيات القـــرآن ، مع التعقيب عليها :

فى ص ٤٩ يثير العز مشكلا حول هذه الآية : (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) فيقول رحمه الله هذه الغاية ليست مرادة، وقد

خُولف ظاهرها ، فانها لا تحـل له بمجرد النكاح للغير ، بل حتى يطلقها وتستوفى عدتها ويعقد عليها الأول .

● قلت : لا مشكل فى الآية ، ولا مخالفة للظاهر فيها كما يقول العز .. ففى تمامها البيان الكافى وهو : (فان طلقها ــ أى الزوج الثانى ــ فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيمـا حدود الله) أى إن طلقها الثانى حلت الرجعة ..

ثم إن حـرمتها بنكاح الغير من البداهات المسلمة ومن المقـررات القرآنية أيضا فى قوله عز وجل عن المحرمات : (والمحصنات من النساء) فالمرأة المتزوجة حرام على غير زوجها سـواء أكان هذا الغير زوجا سابقـا أو خطابا جديدا .

****

وفى ص ١٢٧ ــ قوله عز وجل : « ثم محلها الى البيت العتيق » .. يقول العز : فيه إشـكال وذلك أن المغيّا ها هنا ان كان الذكاة فكيف يُغَيّا بــ (الى البيت العتيـق) ، والجواب أن المعنى : ثم محل ذكاتها الى البيت العتيق لأن البيت العتيـق وما قاربه لا يذكى فيه .

وفى ص ١٤٩ ــ يثير نفـس الاشكال فى قوله تعالى : (وان عليك لعنتى الى يوم الدين) فيقول ، مفهوم الآية يدل على أنه ليس ملعونا اذا جاء يوم الدين ، فلم جىء بــ (إلى) ؟ والجواب أن المفهوم غير مراد . وان (إلى) تفيـد الاسـتمرار الى يوم الدين الخ ...

● قلت : من المعروف فى كلام العرب وفى أصول تفسير القرآن بصـفة خاصة ــ ان (المُغَيّا) يشمل الغاية تارة ولا يشملها أخرى . والقـرآن نفسه قد تضمن ذلك فى آيتين منه : الأول : (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق) فالمرافـق ــ وهـى الغاية ــ داخلة فى الغسل . والآية الثانية : (ثم أتموا الصيام الى الليل) فالليل ــ وهو الغاية ــ لا يدخل فى الصيام .

وعلى ذلك فالبيت العتيق نفسـه لا يدخل فى محل الذكاة ، بينما يدخل يوم الدين فـى لعن ابليس . وليس هنا إشكال ولا مستشكلون !!.

****

وفى ص ١٤٤ ــ قوله عز وجل : «فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العـذاب المهين) يقول العز : ان فاعل « تبينت » ليس الجن . بل الجن مبتدأ و (ان لو كانوا يعلمون) خبره اذ لولا ذلك لكان معنى الكلام : لما مات سليمان عليه السلام وخرّ ظهر لهم أنهم لا يعلمون الغيب ، وعلمهم بعدم علمهم للغيب لا يتوقف على هذا . بل المعنى : تبينت القصة الخ ....

● قلت : هذا فهم عجيب ، وتشويه لجمال التعبير القرآنى أعجب . بل هو تحـريف لاستقامة هـذا التعبير السليم الكريم ..

فالقرآن يقول بعبارة واضـحة : (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأتـه فلما خرّ تبينت الجـن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العـذاب المهين) .

أى أن سليمان عليه السلام عندما توفى لم تظهر وفاته للجن ، لأنه ظل جالسا على هيئته كأنه حى ، متكئا على منسأته ، فظل الجن فى أعمالهم له كعادتهم : (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ، وجفان كالجواب وقدور راسيات ..) حتى اذا أتمت دابة الأرض نخر منسأته خرسليمان من على عرشه ، فعرفت الجن أنه

مات . ولو أنها كانت تعلم الغيب ، لعلمت بوفاته قبل أن يخر ، وما لبثت في عناء أعمالها وشقائها الأليم .

وفي القصة : عبرة وعظة ، وبيان من الله للناس في عهد سليمان ، وفيما بعده الى يوم الدين ، ان الجن وهم مظنة النفع والضر عند الكثير .. لا يعلمون الغيب ، وبالتالى لا يملكون نفعا ولا ضرا .

ففاعل (تبينت) إذن هو (الجن) بلا جدال لأن السياق يدل عليه ، والمعنى المراد يؤكده ، والعبرة من القصة تقويه ، واستقامة الأسلوب العربي المبين تقتضيه ..

****

وننتقل الى الشيخ الشنقيطي — رحمه الله — فنأخذ بعض النماذج من دراساته حول ما توهمه من (اضطراب) في آيات الكتاب ، وما دفع به هذا التوهم — وما فتح الله به علينا من تعقيب عليه ، وتصويب له :

يذكر الشيخ الشنقيطي قوله تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وعلى ربهم يتوكلون) ثم يقول : هذه الآية تدل على أن وجل القلوب عند سماع ذكر الله من علامات المؤمنين .. وقد جاءت آية أخرى تقول : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب) **فالمنافاة** بين الطمأنينة ووجل القلوب ظاهرة — والجواب عن هذا : ان الطمأنينة تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد ، والوجل يكون عند خوف الزيغ عن الهدى الخ ...

● قلت : لامنافاة بين الوصفين بالوجل أولا ، وبالاطمئنان ثانيا ، فهما وصفان متلازمان لقلوب المؤمنين الصادقين ، فهم اذا ذكروا الله تارة خافوا تقصيرهم ، وخافوا الا تقبل أعمالهم الصالحة لما قد يكون خالطها من رياء وسمعة لم يتعمدوهما .. كما جاء ذلك في الآية : (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون) — واذا ذكروا الله تارة أخرى اطمأنوا الى عدله ورحمته ووعده بالمثوبة المضاعفة على الصبر والذكر والشكر ..

ثم ان الآيتين الأولى والثانية اللتين يقول الشيخ : ان المنافاة بينهما ظاهرة .. قد اشتملتا كلتاهما على (الاطمئنان) و (زيادة الإيمان) بعد ذكر الله وتلاوة القرآن ، فكما جاء في الثانية : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) جاء في الأولى : (واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) .

وإذن فالمنافاة بينهما ليست ظاهرة حتى ولا باطنة أيضا .

****

وأورد الشيخ قوله عز وجل : (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) وقال : ظاهر هذه الآية أن الواحد من المسلمين يجب عليه مصابرة عشرة .. **وقد ذكر الله ما يدل على خلاف ذلك** في قوله : (فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) — والجواب : ان الأول منسوخ بالثاني كما دل عليه قوله : (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا) .

● قلت : الذى أفهمه من الآيتين ، وهما متتاليتان — في سورة الأنفال — مترابطتان لفظا ومعنى لا نسخ في الآية الأولى ، بل هناك تفريق وتمييز بين حالتين ، الحالة الأولى : اذا كان المسلمون أقوياء فالواحد منهم يغلب عشرة من الكفار . والحالة الثانية اذا كانوا ضعافا فواحدهم يغلب اثنين

من أعدائهم .. وهذه مزية المسلم بإيمانه على الكافر بكفره اذا تساويا قوة وسلاحا .

وأورد الشيخ أيضا هذه الآية : انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وانفسكم) ثم قال : انها تدل على لزوم الخروج للجهاد فى سبيل الله على كل حال ، وقد جاءت **آيات أخرى تدل على خلاف ذلك** كقوله : (ليس على الضعفاء ، ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذ نصحوا لله ورسوله) .. وقوله تعالى : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة ..) — والجواب : ان آية (انفروا خفافا وثقالا) منسوخة بآيات العذر المذكور .

● **قلت** : ولا نسخ هنا أيضا ، فالآية الاولى تدعو المسلمين الى النفرة جهادا بالأنفس والأموال ، خفافا بأنفسهم ، وثقالا بأموالهم أطعمة وأسلحة .. حسب حالة كل منهم فقرا وغنى ، وضعفا أو قوة ، ودربة على القتال ، أو قدرة على خدمة الجيش .

أما الآيات الأخرى فهى بيان لأعذار المعتذرين بمرض مقعد ، أو ضعف معجز ونقول : (مرض مقعد — وضعف معجز) لأن المرض والضعف اللذين يستطيع معهما الرجل أن يقوم بخدمة المقاتلين إطعاما وتطبيبا وحراسة ليسا عذرا للقعود عن الجهاد فى سبيل الله بالنفس ، وكذلك الذى لا يجد مالا ينفقه اذا وجد من ينفق عليه وجب عليه الخروج للجهاد بنفسه .

والآية الأخرى : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) تعنى أن ينفر البعض للتفقه فى الدين والدعوة الى الله فتمامها : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) فلا خلاف ولا تناقض بين الآيا تواُمثالهما فى القرآن الكريم . وأشباه هذا التشريع القرآنى كثيرة .. فقد أمرنا بالصلاة قياما ، وأمرنا بالوضوء من الماء ، وليس معنى الترخيص بالقعود للصلاة وبالتيمم لأصحاب الأعذار ناسخا للأمر الأول وإنما هو استثناء لحالات الضرورة — كما هو الشأن فى كل التشريعات الاسلامية — وكذلك الأمر والحال فى النفرة للجهاد فى سبيل الله والتفقه فى الدين أو الدعوة الى دين الله القيم .

وذكر الشيخ قوله عز وجل : (وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله — الى قوله سبحانه عما يشركون) ثم قال : هذه الآية فيها التنصيص الصريح على أن كفار أهل الكتاب مشركون بدليل قوله فيهم (سبحانه عما يشركون) بعد أن بين وجوه شركهم بجعلهم الأولاد لله واتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا من دون الله .. ونظير هذه الآية قوله تعالى : **(ان الله لا يغفر أن يشرك به)** لاجماع العلماء على أن كفار أهل الكتاب داخلون فيها .. ثم قال الشيخ : **وقد جاءت آيات أخرى تدل بظاهرها على أن أهل الكتاب ليسوا من المشركين** كقوله : **(لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين)** — وقوله : **(ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم)** — وقوله : **(مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) .. والعطف يقتضى المغايرة** — ثم أضاف أن الشرك الأكبر المقتضى للخروج من الملة أنواع وأهل الكتاب متصفون ببعضها وغير متصفين ببعض آخر منها ، فهم غير متصفين بما اتصف به كفار مكة من عبادة الأوثان ، ولذا عطفهم عليهم ،

وهذه المغايرة هي التي سوغت العطف فلا ينافي أن يكون أهل الكتاب مشركين بنوع آخر من أنواع الشرك الأكبر ، وهو طاعة الشيطان والأحبار والرهبان الخ ...

● قلت : لا حاجة الى هذا التحليل أو التعليل الكثير .. لأن العطف لا يقتضى المغايرة دائما ، فقد يكون عطف بيان ، أو عطف تخصيص ، أو عطف تمييز ، أو عطف تكريم ، أو عطف تنويع .. فقد جاء ذكر المشركين كطائفة أخرى من الكفار — لأن هذا هو وصفهم واسمهم الذى عرفوا به كما وصف اليهود والنصارى — وهم كفار مثلهم من حيث الوصف العام : بأنهم اهل الكتاب وسموا بذلك أيضا والجامع بينهم أو الوصف العام لهم هو الكفر بالاسلام كتابا ورسولا ودينا . وقد وصف أهل الكتاب بالشرك لأنهم فعلا قالوا : المسيح ابن الله وعزيز ابن الله ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، وقالوا ان الله ثالث ثلاثة ..

فلا منافاة ظاهرة ولا باطنة بين ألفاظ الآيات ومعانيها . ولا حاجة الى أن نتوهمها ثم نقتحمها .. باسم دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ..!

****

وعقب الشيخ الشنقيطى على هذه الآية : (فقال رب ان ابنى من أهلى وإن وعدك الحق) بقوله : (انها تدل على أن هذا الابن من أهل نوح عليه السلام ، وقد **ذكر تعالى ما يدل على خلاف ذلك** حيث قال : (يانوح انه ليس من أهلك) والجواب : ان معنى قوله ليس من أهلك أى الموعود بنجاتهم لأنه كافر لا مؤمن ، وقول نوح ان ابنى من أهلى يظنه مسلما ..

● قلت : ان ابن نوح من أهله حقيقة ونسبا . ولكنه لما فارق دينه وانضم الى الكافرين برسالته سلبت هذه (الأهلية) فى الاعتبار الدينى والميزان الإلهى . كما سلبت الأهلية نفسها من عم الرسول صلى الله عليه وسلم — أبى طالب — على الرغم من نصره له ، وتأييده وحمايته ، فمنع من الاستغفار له ، لأنه فارق دينه ، وكذلك بالنسبة للمسلمين جميعا فقد منعوا من الاستغفار لذوى قرباهم من المشركين : (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم) بل حتى المودة ممنوعة بين المؤمنين وأقربائهم المشركين أو الكافرين . (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولوكانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم .

وفى المقابل تقوم القرابة والأهلية بين الأباعد والأجانب اذا جمعتهم العقيدة الواحدة والدين الواحد ، كما قال صلى الله عليه وسلم عن سلمان الفارسى : « سلمان منا آل البيت » .

وإذن فالأهلية المنفية فى الآية الثانية هى أهلية العقيدة الاسلامية ، والأهلية المثبتة فى الآية الاولى هى أهلية النسب والقربى . وليس هناك تعارض ولا اضطراب فى آى الكتاب وإنما هناك الحاجة الماسة عند من يتدبر القرآن الى إدراك بلاغته بين الحقيقة والمجاز .

وبعد ....

هذا قليل من كثير .. مما لاحظته على بعض علمائنا الأفاضل من افتعالهم للمشكلات فى القرآن الكريم ومحاولاتهم إيجاد حلول غير معقولة أو لا حاجة اليها .. لهذه المشكلات المتوهمة ..


أشواق
الشعراء
والأدباء
إلى عرفات
وبقية
المناسك

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

إذا عرضنا تاريخ الشعراء والأدباء المتدينين الحريصين على أداء فريضة الحج ، والطواف ببيت الله الحرام ، والوقوف بعرفات ، وجدناهم بين اثنين : إما رجل متشوق الى هذه البقاع ، حريص على أن يبلغه الله أمنيته ، متحرق الى أن تطأ قدماه هذه الأرض المقدسة ، فهو ما يزال يعبر عن حنينه سعرا ، وما ينفك يرسل أشواقه نغما منظوما . وإما رجل أكرمه الله فأظفره بطلبته ، فهو بين المشاعر والمناسك هناك يحمد الله ، ويلبي لله ، ويكبر ويهلل ، ولا تذهله هيبة المقام ، ولا روعة الموقف أن يقول الشعر ، وهو شعر ديني صاف لا لغو فيه ولا تأثيم ، ولا شيء مما ينزع اليه الشعراء حين تستغرقهم الدنيا في أحلامها ، وتطويهم في أوهامها .

ولقد كانت عرفات ومنى وبقية الأماكن المطهرة في الأرض الطيبة التي بارك الله حولها ، تسبيحة في أفواه كثير من الشعراء الذين كتب الله لهم أن يزوروها . فلم يبخلوا على هذه البقاع بأبيات شعرية أو قصائد مطولة ، أودعوها سعادتهم بهذا الحظ العظيم الذى أوتوه ، وضمنوها من مشاعر الإيمان والعبودية ، والطاعة والخضوع ما فاضت به مشاعرهم ، واضطربت به نفوسهم ، وعبروا عن تحقيق أشواقهم ومواجدهم بما أسعفته به قرائحهم .

وليس من الضرورى أن تحرك هذه المواقف عواطف كل شاعر ألم بها ، وشد رحاله اليها .. فقد تكون الفرحة أعظم من أن يحيط بها وصف ، أو يعبر عنها شعر . فان من المواقف الجليلة الرائعة ما لا يستطاع معه تعبير ، ولا يقدر فيه على تصويره .

وكم رأينا فى تاريخ الشعر العربى من شعراء طافوا بهذه الأماكن المقدسة ، فاكتفوا من المواقف بأداء الشعيرة ، وقضاء المناسك . ورأوا فى الشعائر نفسها والقيام بها على أكمل وجوهها ما يغنى عن استنطاق

الشعر ، واستلهام الخيال . كما رأوا فى التكبير والتهليل ، والتلبية والتسبيح ، ما لا يتسع معه المجال ، ولا يليق معه المعرض لنظم شعر ، أو كد قريحة ، أو عمل قصيد . ويبدو أن عظمة الموقف فى الكعبة وعرفات ، ومنى ، وغيرها من هذه البقاع الطاهرة ، وجلال العبادة ، والاستغراق فى المناجاة تشغل كثيرا من الشعراء عن أن يفتحوا أفواههم بالشعر ، فهم بذكر الله ، فى شغل عن من عداه ....

ولكن هناك شعراء ، منذ قيام الدعوة الاسلامية ، وكتابة فريضة الحج لم تشغلهم الفريضة عن أن يتغنوا بالشعر فيها ، تعبيرا عن عاطفة خاصة لهم ، وتسجيلا لبعض أحاسيسهم ، وهم فوق ثرى هذه الأرض المباركة ، وقد انقطع عندهم الأمل من الدنيا ، وخمدت شهوات النفوس ، وسكنت المطامع ، ولم يبق من صوت الا مناجاة الحجيج لربهم ، يتضرعون اليه بالدعاء ، ويتقربون له بالتهليل ..

والحق أن موقف الناس بين يدى الله فى موسم الحج يدنى النفوس من شفافية الروح ، ويبعدها من كل عرض أو غرض مادى من أغراض الدنيا ، ويصرف أذهان الحجيج عن كل ما تعلق به النفوس من شهوات الحياة . فترى الحاج — وهو على مواقف عرفات ومنى — وقد نفض عن جسده ونفسه كل هوى من أهواء الدنيا ، وشغلته حلاوة الوقوف ، ولذة النزول بتلك البقاع عن أن يتعلق قلبه بشيء مما يتعلق به الناس فى الحياة . وكأنه فنى — أو افنى نفسه — ومطامعه فى رحاب الله . حتى أكثر الناس إمعانا فى المعصية ، وأشدهم إسرافا على أنفسهم فى الذنوب ، نراهم اذا ما أشرفوا على تلك البقاع الطاهرة وقاربوها اعترتهم هزة عنيفة من جلال ما هم مقدمون عليه من مناجاة الله ، ومناداته ، والانابة اليه . واعتقدوا هوان الدنيا وصغارها وتفاهة شأنها ، وتضاءلوا — مهما كان شأنهم فى الحياة — أمام عظمة الخالق ، وقد جمعهم فى تلك المواقف والمشاعر على الايمان به ، والعبودية له ، والتوجه اليه .

وما يزال تاريخ الأدب العربى يذكر الشاعر الماجن فى أول عمره ، الزاهد فى نهاية مطافه ، ، أبا نواس ، وقد تاب الى الله يوما ، فاعتزم الحج ، اداء للفريضة ، واستجابة للأمر ، واستغفارا من الذنب ، وتجردا من المعاصى ، فاذا به فى هذا الموقف الرائع ، والحشد الحاشد ، تذوب عيناه من الدمع ، ويذوب قلبه من الرقة ، وتخشع نفسه من الهيبة ، فينظم أبياتا فى النجوى والدعاء ، تعد من أرق ما احتواه ديوان الشعر العربى فى المناجاة والتلبية . والحق ان أبا نواس قد وفق فى أبياته — التى سنوردها بعد — الى أبعد حدود التوفيق ، فقد جمع فيها بين خشوع التائب ، ورقة الشاعر ، واستغفار المذنب الى الله الرحيم الغفار . واستطاع فى فنية شعرية خاصة أن يوفق بين المعنى الخاشع ، واللفظ الذائب .

وهل هناك أرق وأخشع من شاعر يقول وهو فى موقف الضراعة ، والتلبية ، والدعاء بعرفات :

إلهنا ما أعدلك
مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك
لبيك إن الحمد لك
والملك ، لا شريك لك
ما خاب عبد سألك
أنت له حيث سلك
لولاك يا ربى هلك
لبيك إن الحمد لك
والملك ، لا شريك لك

كـل نبـي ومـلك
وكـل من أهـل لك
وكـل عبـد سألك
سبح ، أو لبى ، فلك
لبيـك إن الحمـد لك
والملك ، لا شـريك لك
والليـل لمـا أن حـلك
والسابحـات فى الفلك
على مجارى المنسلك
لبيـك إن الحمـد لك
والملك ، لا شـريك لك
اعمـل وبادر أجـلك
واختم بخيـر عمـلك
لبيـك إن الحمـد لك
والملك ، لا شـريك لك

وهذا الموقف : موقف الاستسلام لله ، والتجرد من كل رغبة سانحة أو جامحة فى الدنيا ، وعقد العـزم على ترك الذنب وطـرح المعصية ، يناقضه موقف آخر من شاعر عربى سابق فى الوجود على أبى نواس ، هو الشـاعر المحب المدله المخبل فـى الحب : قيس بن الملوح ، المعروف فى كتب الأدب والمحاضرات والأخبار باسم : مجنون ليلى ..

ففوق ثرى هذه البقاع المقدسة ، وفى موسم الحج ، والحجيج تضج أودية الحجاز بأصوات تهليلهم ، كان رسيس الهوى قد بلغ من المجنـون حدا حير أهله، وأيأسهم من الأمـل فى شفائه مما يجد من حب « ليـلى العامرية » . فأخذه أبوه ــ إشفاقا عليه ــ الى موسم الحج،لعـل هذه المواقف والمناسك تخرجه مما هو فيه من خبل الحب العنيف ، وترد اليه صوابه المفقود ، وترجع له عقـله الضائع .

وفى لهفة الوالد الشـفيق على شفاء ابنه مما يكابده ، وخلاصه مما يعانيه ، أخذ أبوه بيده الى محفـل من الناس ، وسألهم أن يدعوا الله تعالى لولده بالفرج ... فلما أخـذ الناس فى الدعاء أخذ مجنـون ليلى يقـول :

ذكرتك ، والحجيج لهم ضجيج
بمكـة والقلوب لهـا وجيب
فقلت ونحـن فى بلـد حرام
به لله أخلصـت القـلوب !
أتوب اليـك يا رحمن ممـا
عملت ، فقد تظاهرت الذنوب
فأما من هوى « ليلى » وتركى
زيارتهـا ، فإنى لا أتوب ..
وكيف ــ وعندها قلبى رهين ــ
أتوب اليـك منهـا أو أنيب ؟!

فهنا فى هذا الموقف ــ وللحجيج بمكة ضجيج،وللقلوب وجيب ــ يصر شاعرنـا المخبـل علـى أن يظل على موقفه من هـوى ليـلى ، وغرامها العاصف ، وأن لا ينفض يديه من حبها .. فهو مصر على هواها ، ولو بلغ به الأمر ما بلغ ، أو فعل به التبريح ما فعل .. وهو تائب الى الله عن كل ذنب ، مع اعترافه بتكاثر الذنوب وتظاهرها ، الا هوى «ليلى» فانه لا يتوب عنه ، ولا ينسلخ منه . وقد بسط الشاعر العذر لاصراره على موقفه هذا ، بأن قلبه رهين عندها ، فكيف يستطيع التوبة من حبها ، أو الاثابة من هواها ؟

وقد يكون الشاعر مجنون ليلى فى حالة نفسية وعصبية مرهقة ، الى حد جعله يتخذ هذا الموقف العنيد فى موقف الحج . وهى بلا شك شطحة جامحة من الشـاعر الهائم المدله ، يشفع له فيها ما صارت اليه حالته النفسية والعقلية ، مما تفيض بـه كتب الأدب والنوادر .

ولا شك أن مزج الشعر الدينى فى هذه البقاع المقدسة بشعر الغزل ــ وخاصة العنيف ــ هو ضرب من قلة المراعاة ، وإغفال المبالاة ، بل ضرب من الاجتراء على الله .. فان صون هذه البقاع عن أهواء النفوس وشهواتها ورغباتها الجـوامح هو

أحجى وأليق بالانسان الذي خرج من داره ليكون ضيفا على الله في بيتـه وفي رحابه . فمن شاء الغـزل أو النسيب أو التشبيب ، فليجعلها بعد انتهاء المناسك ، حتى ولو كان ذلك الغزل تقليديا على سبيل المحـاكاة لا على سبيل الأصالة .

ومن الشعراء الذين وقفـوا في هذا الموقف الشـاعر الأديب الوزير الأندلسي « أبو عبد الله بن زمرك » وزير بني الأحمر ملوك غرناطـة ، وصديق مؤرخنا العـربي العظيـم « عبد الرحمن بن خلدون » ، صاحب المقدمة المشهورة . فقد كاتب هـذا الشاعر الرقيق مؤرخنا وهو ناهض لأداء فريضة الحج بقصيدة يقول فيها:

فهل عند (« ليلى » نعم الله ليلها
بأن جفـوني ما تمل من السهد ؟
وليـلة اذ ولى الحجيج على منى
وفت لي المنى فيها بما شئت من قصد
فقضيت منها (فوق ما أحسب) المنى
وبرد عفافي صانه الله من برد

••• •••

واذا كان بعض شعرائنا قد هفا بهم الشوق وهم في مواقف الحج الى بعض مآرب من الدنيا ، فان شاعرا حجازيا من شعراء القرنين الحادى عشر والثانى عشر الهجريين — وهو السيد الشريف « على بن معصوم » صاحب كتاب « سلافة العصر » قد استطاع أن يصور لنا الحاج المتجرد من كل غرض دنيوى ، المتوجـه الى الله في صدق وإخلاص ، وقد كان الموسم حارا لاهبا ، والجمار كأنهـا قطع من النار ، فيقول :

لا يطعم الماء إلا بل غلته
ولا يذوق سوى سد الطوى بيتا
يغرى جيوب الغلا في كل هاجرة
يماثل العنب في رمضائها الحوتا
ترى الحصا جمـرات من تلهبها
كأنمـا أوقدت في القفر كبريتا
اجاب دعـوة داع لا مرد له
قضى على الناس حج البيت توقيتا
يرجو النجاة بيوم قد أهـاب به
في موقف يدع المنطيق سـكيتا

الى أن يقول :

حتى أناخ على أم القرى سحرا
وقد نضا الصبح للظلماء اصليتا
فقام يقـرع باب العفـو مبتهلا
لم يخش غير عتاب الله تبكيتا
وطاف بالبيت سبعا ، وانثنى عجلا
الى «الصفا» حاذرا للوقت تفويتا
وراح ملتمسا نيل المنى « بمنى »
ولم يخف غير حل «الخيف» تعنيتا
وقام في «عرفات» عارفا ، ودعا
ربا عـوارفه عمتـه تربيتـا

ولقد أطال على بن معصوم النفس في هذه القصيدة التي عارض بهـا قصيدة الشاعر « أبى العلاء المعرى » التي يخاطب بها القاضي « أبا القاسم على بن المحسن التنـوخى » والتي يقول في مطلعها :

هات الحديث عن الزوراء أو هيتا
وموقـد النـار لا تكرى بتكريتا

وقصيدة المعرى هذه مودعة في ديوانه « سقط الزند » ويجدهـا القارىء كاملة في كتاب « شـروح سقط الزند » الذى أصدرته لجنـة إحياء آثار أبى العلا المعرى سـنة ١٩٤٨ — جـزء ٤ — ص ١٥٩٣ ، وتبلغ عدة أبياتها واحدا وخمسـين بيتا ، مشحونة بكثير من القـوافي الغريبة على روى التاء . .

واذا كان الشاعر ابن معصوم قد ذكـر بالتفصيل كثيرا من مناسـك الحج وشعائره في قصيدته التائية ، فان شاعرا دمشقيا سابقا له بقليـل قد استطاع أن يلم بالمناسك والمواقف الملمة قصيرة جميـلة في قصيدة له عينية . هذا الشاعر هو « يوسف بن أبى الفتح » . وقد استطاع « محمد أمين بن فضـل اللـه المحبى » — صاحب « خلاصة الأثر » ، و « نفحة الريحانة » — أن يسجل لنا أبياتا من

هذه القصيدة يقول فيها الشاعر ابن أبي الفتح :

سقى الله من وادي «منى» كل ليلة
هي العمر كانت،والشباب المودعا
ويا جاد أياما بها قد تصرمت
ثلاثا : ومن لي أن أراهن أربعا ؟
وحيا مقامي « بالمقام » وأربعا
لدي« عرفات » يا سقاهن أربعا ؟
فلله ما أبهى « بمكة » مشعرا
ولله ما أحلى « لزمزم » مشرعا

ولا نعرف فيتاريخ الشعر العربي شاعرا دعى الى أداء فريضة الحج في ركاب أمير حاكم فلم تتهيأ له عزيمته ، ولم تقو له همته ، غير شاعرنا أحمد شوقي . فقد دعاه الخديوي عباس الثاني ليكون فيجملة ركبه حين خرج من مصر لأداء الفريضة سنة ١٣٢٧هـ ، على ظهر سفينة أو مطية ، فخشي الشاعر المترف هذا المركب الذي ظنه خشنا بالنسبة اليه ، وقدم الى الخديوي الأعذار التي قبلها . وهكذا لم يهيىء الله الشاعر أحمد شوقي لأداء فريضة الحج في ركب كان من رجاله الأديب الرحالة لبيب البتانونيبك (١) الذي وصف هذه الرحلة في كتابه القيم : (الرحلة الحجازية) .

واكتفى شوقي من ذلك النكول والاعتذار بقصيدة رفعها الى الخديوي عباس الثاني ، يخاطب فيها ربه قائلا :

لك الدين يا رب الحجيج جمعتهم
لبيت طهور الساح والعرصات
أري الناس أصنافا ومن كل بقعة
اليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا ، فلا الأنساب فيها تفاوت
لديك ، ولا الأقدار مختلفات
عنت لك في الترب المقدس جبهة
يدين لها العاتي من الجبهات
دعاني اليك الصالح « ابن محمد »
فكان جوابي صالح الدعوات ..
وخيرني في سابح ، أو بجيبة
اليك ، فلم أختر سوى العبرات
وقدمت أعذاري ، وذلي وخشيتي
وجئت بضعفي شافعا ، وشكاتي

... ...

ومن الشعراء من لم يفوزوا بنعمة التوفيق الى أداء فريضة الحج ، فحولوا حرمانهم الى التغني بأشواق الرحلة ، وظلوا يتحرقون شوقا الى تلك البقاع . فاذا ما ودعوا مسافرا الى أرض الحجاز ، أو استقبلوا عائدا من ضيافة الله في بيته الحرام تحركت مواجدهم وأشواقهم الى أداء الفريضة وعبروا عن ذلك بشعر فيه حنين وتشوق . ومن هؤلاء الشعراء الرحالة المؤرخ « ابن جبير » الأندلسي صاحب الرحلة المشهورة ، والمتوفى بالاسكندرية سنة ٦١٤هـ . فقد أزمع — قبيل رحلته — الحج الى بيت الله الحرام مرتين تكفيرا عن بعض خطايا اعتقد ارتكابها . وكان دائم الحنين الى هذه المواطن المشرفة . ولقد سجل له تاريخ الأدب أبياتا قالها يهنىء وفدا أندلسيا عائدا من الحج بقوله :

يا وفود الله فزتم بالمنى
فهنيئا لكمو أهل « منى »
قد عرفنا « عرفات » بعدكم
فلهذا برح الشوق بنا
نحن بالمغرب نجري ذكركم
وغروب الدمع تجري بيننا

ولقد بلغ من غرام الرحالة ابنجبير الأندلسي بعرفات ، وتعلقه بالوقوف بها أنه في رحلته — وهو يصف مكة — لم يتردد ، وهو يتحدث عن باب المعلى أن يقول في شوق واضح : (وعلى هذا الباب المذكور

---

(١) هو محمد لبيب البتانوني — أو البتنوني—صاحب « الرحلة الحجازية » و « رحلة الى الأندلس » ، « الرحلة الى أمريكا »وغيرها و توفي بالقاهرة سنة ١٩٣٨ ..

طريق الطائف ،و طريق العراق ، والصعود الى عرفات ، جعلنا الله ممن يفوز بالموقف فيها ..)

ولا ينفرد الشعراء وحدهم بالاحتفال بعرفات ومنى والمواقف .. فهناك أدباء خطباء غير شعراء عبروا عن إحساسهم بالموقف في نثر فصيح وروت بعض كتب الادب والمحاضرات والأخبار أخبارهم . فقد ذكر ابن عبد ربه صاحب « العقد الفريد » رواية عن العتبى ، أنه سمع بعرفات عشية الوقوف بعرفة اعرابيا وهو يقول : (اللهم ان هذه عشية من عشايا محبتك ، وأحد أيام زلفتك ، يأمل فيها من لجأ اليك من خلقك لا يشرك بك شيئا ، بكل لسان فيها تدعى ، ولكل خير فيها ترجى . أتتك العصاة من البلد السحيق ، ودعتك العفاة من شعب المضيق ، رجاء ما لا خلف له من وعدك ، ولا انقطاع له من جزيل عطائك . أبدت لك وجوهها المصونة صابرة على لفح السمائم ، وبرد الليالى ، ترجو بذلك رضوانك يا غفار يا مستزادا من نعمه ، ومستعاذا من كل نقمه ، أرحم صوت حزين دعاك بزفير وشهيق) .

واذا كان هذا الدعاء الصادق الجميل قد صدر عن أحد الاعراب ، فان طاووسا بن كيسان الواعظ الفقيه المحدث ، المتوفى سنة ١٠٦هـ يروىٰ لنا دعاء آخر سمعه من أعرابى تبعه ، حتى أتى « الملتزم » فتعلق بأستار الكعبة ، ثم أخذ فى مناجاة الله قائلا : (اللهم بك أعوذ ، واليك الوذ ، فاجعل لى فى اللهف الى جوارك ، والرضا بضمانك ، مندوحة عن منع الباخلين ، وغنى عما فى أيدى المستأثرين . اللهم عد بفرجك القريب ، ومعروفك القديم ، وعادتك الحسنة) . فلما فرغ من الدعاء عند الملتزم ، توجه الى عرفات ، فتبعه طاووس ، وهناك سمعه قائما على قدميه يقول : (اللهم إن كنت لم تقبل حجى ونصبى وتعبى ، فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبته . فلا أعظم مصيبة ممن ورد حوضك ، وانصرف محروما من سعة رحمتك ..)

ومن الشعراء الذين عبروا عن أشواقهم الى عرفات وبقية المواقف فى الأرض المطهرة ، الشاعر « ابن معتوق الموسوى » من شعراء القرن الحادى عشر الهجرى ، وهو صاحب الديوان المطبوع فى بيروت سنة ١٨٨٥ الذى جمعه ابنه : معتوق . فله أكثر من قصيدة يحن فيها الى مواقف الحج ويتشوق ، وهى قصائد لم ينظمها أصلا فى الحنين ، ولكنه نظمها فى التهنئة لبعض أمراء عصره بعيد الفطر او الأضحى ، ثم عرج على الحنين،كقصيدته فى مدح السيد على خان التى يهنئه فيها بعيد الفطر ويستأذنه للحج ، قائلا :

وركبتعاطوا فىالدجى دلج السرى
يميلون من سكر الكرى لم يهوموا
سهاما على مثل القسى ارتمتبهم
يؤمون نجدا ، والهوى حيث يمموا
تراءى لهم قلبى اماما ، فغرهم
وأوهمهم نار الغضا ، فتوهموا
أروح ، ولى روح الى نحو رامة

وآرامها شوقا تحن وترأم
وقلب الى نحو الحجاز ، وأهله
يفور به الود الصحيح ويتهم
اذا مر ذكر « الخيف » لو لم يكن به
ولاءُ علىٍّ كاد بالنار يضرم

وكقصيدته التى نظمها سنة ١٠٦٤هـ يهنىء السيد على خان بعيد النحر ، والتى يقول فيها :

أموا بنا أم القرى ، فلعلنا
ندنوا الى ليلى الفداة ونقرب

وصفوا لسكان «الصفا» كدرى عسى
أن ينصفوا يوما فيصفو المشرب
وذروا القلوب الواجبات بربعه
تقضى الحقوق الواجبات ، وتندب
وقفوا على «الجمرات» نسأل من بها
عمن لها بصدورنا قد ألهبوا
وانحوا يمين « منى » فثم من المنى

سر باحشاء المنون محجب ..
وكقصيدته التى يهنىء فيها بعيد النحر أيضا ، ويتشوق الى أهل « الخيف » من منى ، والتى يقول فيها :
ولى فى « الخيف » أحباب كرام
لدى ، وان هم لم يكرمونى
خضعت لحبهم ذلا ، معزوا

ودنت لحكمهم فاستعبدونى
هم اجتمعوا على قتلى بجمع
ففيم على المنازل فرقونى ؟
وحين نقبل مع مسيرة التاريخ الى العصر الحديث ، نجد الشاعر الفحل « عبد الحليم المصرى » الذى كان ينافس أحمد شوقى على امارة الشعر ، يهنىء الخديوى عباس الثانى بحجته التى اعتذر الشاعر أحمد شوقى من الخروج معه فيها كما سلف القول ، فيعبر عن أشواقه الى « البيت » و « الركن » وبقية المناسك قائلا :

بدر الحجيج : لقد هيجت بى شغفا
الى أطباء الحمى ، والأنيق الرسم
«البيت» صوبك فادع الطائفين وطف
«والركن» صوبك فادع الله واستلم
منى سلام على «وادى الحجاز» وان
لم يرو من طمأى أو يشف من ألمى
يا ليتنى شمت « عباسا » بموكبه
كأنه حرم يسعى الى حرم ..!
وهو فى البيت الأخير يشير إشارة بارعة الى تمنيه أن يكون فى موكب الخديوى الى الحج بدلا من الشاعر المتخلف المعتذر عن الركب أحمد شوقى ..

ولم يحتج صديقنا الشاعر المعاصر محمد مصطفى الماحى الى أن يتشوق الى الكعبة وعرفات ، فقد أظفره الله بالبيت الحرام غير مرة . ففى سنة ١٣٧٧هـ طاف بالكعبة ، ونظم فى تلك المناسبة السعيدة قصيدتين : أولاهما « تضرع ودعاء » وثانيتهما : « فى البيت الحرام » وهما فى صفحتى ١٣٤ ، ١٣٥ من ديوانه الأخير الجامع . وفى سنة ١٣٩٣هـ أكرمه الله بالحج ، فلما عاد من رحلته المبرورة ، كانت تستقبله أبيات لنا نقول فى شوق فيها الى تلك البقاع :

أيها العائدون من كنف الله

ومن بيته العتيق القديم
كنف الله لا تزالون فيه

فهو كهف لنازح ومقيم
رحلة فى معارج الروح كانت
فى مقام للقانتين عظيم
حيث باب « الصفا » يضيق بالصفو ، وباب « السلام » بالتسليم
ليتنى كنت بينكم أتملى
فى رحاب الله الغفور الرحيم
تائبا عن مساوئى ، وذنوبى
عاريا من مشاغلى وهمومى
قبل الله حجكم .. وهداكم .

باطراد الى السبيل القويم
وغدا نلتقى على عرفات
بين أرجاء زمزم ، والحطيم

وهكذا سجلت هذه المواقف الطيبة رصيدا غاليا من الشعر والنثر ، ما زلنا نجد فيه متاعا للأذن حين تسمعه ، وللقلب حين يعيه .

الحضارة الغربية في ساعتها الخامسة والعشرين



للدكتور : عماد الدين جليل

إن سيطرة الآلية على الحضارة الغربية قوض قيما قديمة وأوجد قيما اخرى ، سحق مكتسبات قرون طويلة من القيم الخلقية والاجتماعية والنفسية والروحية ، وأحل محلها قيما منتزعة من روح الآلة الصماء وعلاقاتها الرتيبة وتجريدها الميت . وها نحن نجد هذا التقابل المحزن بين نوعين من القيم في الحضارة المعاصرة الجماعية ضد الفردية ، التشابه ضد التنوع ، التعميم ضد التخصيص ، المادية ضد الروحية ، الرمزية ضد الشخصانية ، الارهاب ضد الحرية ، التجريد ضد الحياة ، التكرار ضد التطور الخلاق ، الموضوعية ضد الذاتية ، والظاهر ضد الباطن (إن ظهور العصر التكنى قد حطم كل ما ربحناه وأقمناه خلال قرون من الحضارة . لقد أدخل المجتمع التكنى من جديد احتقار الكائن الانسانى .. لقد تحول الانسان اليوم الى مقياسه الاجتماعي فحسب — (ص ٢٢٢) .

ولنستعرض الآن مع جيوروجيو صورا حية من هذا الطغيان للقيم الآلية الجديدة على علاقات الانسان ووجدانه ، انه يشير الى هذه السلالة التي انبثقت عن زواج الانسان بالآلة زواجا غير شرعي ، وكيف أنها ورثت عن الآلية كيانها الأصم ووجودها الثقيل الرتيب .. هذه السلالة الجديدة هي (المواطنون) الذين ملأوا الشوارع والمكاتب والأزقة والمؤسسات ، وطفوا على سطح الأرض ، وأصبح زمام الإنسان ومصيره بأيديهم (إن الانسان يستطيع السيطرة على كل الحيوانات المفترسة ، غير أن حيوانا جديدا ظهر على سطح الأرض في الآونة الأخيرة وهذا الحيوان الجديد اسمه المواطنون . إنهم لا يعيشون في الغابات ولا في الأدغال ولكن في المكاتب مع ذلك فانهم أشد قسوة ووحشية من الحيوانات المتوحشة في الأدغال ، لقد ولدوا من اتحاد الرجل مع الآلات .. انهم نوع من أبناء السفاح !! وهم أقوى الأصول والأجناس الموجودة الآن على سطح الأرض ان وجههم يشبه وجه الرجال ، بل ان المرء غالبا ما يخلط بينهم ، ولكن لا يلبث المرء حتى يدرك بعد حين ، انهم لا يتصرفون كما يتصرف الرجال ، بل كما تتصرف الآلات . ان لهم مقاييس وأجهزة تشبه الساعات بدلا من القلوب . وأدمغتهم نوع من الآلة ، فهم بين الآلة والانسان ، ليسوا من هذه ، ولا من ذاك ، ان لهم رغبات الوحوش الضارية مع أنهم ليسوا وحوشا ضارية ، بل انهم مواطنون .. انهم سلالة اكتسحت الأرض (ص ٣٨٦) . وفي مكان آخر يقدم لنا جيوروجيو وصفا للمواطن أكثر دقة وروعة (انه الكائن البشري الذي لا يعيش الا في الحدود الاجتماعية من الحياة كمكبس الآلة الذي لا يقوم الا بحركة واحدة يكررها مدى الحياة . لكن المواطن ، خلافا لما هو عليه المكبس يحاول تنصيب نشاطه على شكل رمز وتعميمه مثلا يحتذى به في العالم أجمع ليقلده فيه العالم أجمع . ان المواطن هو أخطر وحش ظهر على سطح الأرض منذ أن تلاقى الانسان مع الرقيق التكني فهو يملك قوة الانسان والوحش وبرودة الآلات ولا مبالاتها (ص ٩١) وهكذا فان المواطن ليس الا نتيجة محققة لتحويل الرجل الى (مقياس واحد من مجموع المقاييس التي كان يتمتع بها وهو المقياس الاجتماعي) ومن ثم فان كلمة مواطن (لم تعد مرادفة لمعنى : انسان) !!

وما أن أحكمت الآلية قبضتها على خناق الانسان واتخذ (المواطنون) مواقعهم في الشوارع والمؤسسات وفي كل مكان .. حتما كان من المحتوم أن تنتصر الجماعية على الفردية بشكل لم يشهد له التاريخ مثيلا (ان المجتمع الغربي يعمم كل شيء (وبسبب الاستمرار على التعميم والبحث أو ايداع كل القيم فيما هو عام ، فان الانسانية الغربية فقدت كل شعور بالقيم الفردية وبالتالي بالكيان الفردي . ومن هنا نشأ خطر الجماعية سواء كان على الطريقة الروسية أو على الطريقة الأمريكية . وبسبب ذلك نستطيع أن نتأكد من أن هذا المجتمع سينهار .. ان مجتمع الحضارة الفنية أصبح متناقضا مع حياة الفرد لأنه يخنق الانسان .. اننا نموت جميعا مختنقين في الجو الخانق الذي يخلقه هذا المجتمع حيث لا يمكن لغير الرقيق الآلي والآلات والمواطنين أن تتحرك فيه (ص ٤٥٢) .

والفردية والتنوع هما جزء أصيل من قدر الله وخطته المعجزة لتحريك الحياة وتلوينها وتطويرها الأبدي الخلاق ، لذا فان ما تشهده الحقبة الحاضرة من التاريخ يمثل انحرافا كبيرا عن نواميس الكون والبشرية (ان البشر بهذا الشكل يخطىء خطيئات خطيرة ويعتبر مذنبا حيال الله . إننا نعمل بكل قوانا ضد خيرنا الخاص وضد الله سبحانه على الأخص وذلك هو آخر منحدر بلغت اليه البشرية .

وفى يوم من الأيام سوف ينقرض هذا المجتمع كما انقرضت مجتمعات كثيرة خلال حقبات التاريخ ، وقبل أن يبدأ التاريخ (ص ٤٥٢) .

والجانب الديمقراطي .. من جغرافيــة أمريكا وأوروبا يتحمــل نفس المسئولية فى سحق الفردية وطغيــان الجماعة (ان الديمقراطية ــ مثلا ــ لون تنظيمى اجتماعى متفوق تفوقا واضحا على النظام الكلى ــ توتاليتا ديزم السائد فى المجتمعات الأخرى ، لكنها لا تمثل إلا مقياس الحياة البشرية من الوجهــة الاجتماعيــة . فاذا بلغ المرء مبلغ الخلط بين الديمقراطية واتجاه الحياة نفسها فانه بذلك يقتل الانسان ويحيله الى مقياس واحد ، وتلك هى الخطيئة الكبرى ، الخطيئة التى ارتكبها النازيون والشيوعيون (ص ٤٥٣ ، ٤٥٤) .

إن اعتماد الغرب على الأساليب الرياضية والمنطقية والاحصائية فى توجيه الحياة وتطويرها لسوف لن يحقق إلا كمالا اجتماعيا ظاهريا ، ولكن هذا سيكون على حساب الحياة الداخلية ، الحياة فى مجاريها الحقيقية العميقة التى تصنع الحضارة وتوجه التاريخ وتسير بالبشرية الى الأمام . ان ردم هذه المنابع الباطنية سوف يقضى على سر التطور الذى وهبه الله للانسان ، ومن ثم فان هذا الكمال الاجتماعى السطحى سوف يمتد أفقيا فحسب ، ويفقد ــ بالتدريج ــ قدرته على الامتداد العمودى ، صوب البعد الثالث فى الانسان ، وهذا يعنى أنه تطــــور مأسور بقيود الزمن ، وان المستقبل القريب سوف يشهد تحطما مريعا لمجتمع يركن الى القيم الجماعية الظاهرة فى تماسكه .. هذا هو ما يعنيه جيوروجيو فى قوله :

(إن الحيــاة الانسانية ليس لها أى معنى اذا لم تؤخذ ولــم تحى فــى مجموعتها . ولكى يتعمق الانسان فى الاتجاه الأقصى من الحياة يجب أن يستعمل الأدوات نفسها التى نستعملها لفهم الفن والدين ، أدوات لكل ابداع .. ان العقل يشغل دورا ثانويا فى اكتشاف هذا الاتجاه الأقصى من الحياة . فالرياضيات والاحصاءات والمنطق ليس لها فى تفهم وتنظيم الحياة البشرية إلا ذلك المفعول الذى يحدثه الاصغاء الى الحق من ألحان بتهوفن أو موزار . لكن المجتمع الغربى الآلى يلح بعنــاد فى الوصول الى فهم بتهوفن ورافائيل عن طريق الحســابات الرياضية ، ويلح بعناد على فهم الحياة الانسانية وتحسينها بواسطة الاحصاءات وان هذه المحاولة منافية وأليمة معا . إن الإنسان يستطيع أن يبلغ ــ على أبعد حد ــ استنادا الى هذا الأسلوب الى ذروة الكمال الاجتماعى لكن ذلك لن يفيد فى شىء ، لأن حياة الانسان نفسها لن يكون لها وجود فى اللحظة التى تنقلب فيها الى الجماعيــة والآلية ، والى قوانين تتعلق بالآلة . ان هــذه القوانين لا يمكن مطلقا أن تعطى لونا لحياة البشرية ، واذا نزعنا من الحياة لونها ــ وهو اللون الوحيد الذى تحتفظ به والذى يفوق حد المنطق ــ فان الحيــاة إذاً ستبلغ الفناء .. ان المجتمع المعاصر نبذ منذ زمن طويل هذه الحقائق ومضى بســرعة مريعة نحو سبل أخرى (ص ٤٥٤ ، ٤٥٥) .

وكان من المحتــوم أن ينتصر التجــريد الميت على الحيــاة .. وها هو (جيوروجيو) يتكلم على لسان أحد أبطاله وهو يواجه ممثلى الحضارة المعاصرة (إن البشر مخلوقون من ألم وإيمان ورغبات وجوع ويأس وخيال ، وأنت لا تعنى بأجسادهم ولا بدمائهم ، أى بعناصرهم الشخصية ، ولا بآمالهم أو يأسهم وهــى العناصر الأكثر خصوصية وتعلقا بهم . إنك تهتــم بالأوراق والأرقام .. ان المعلومات والأشياء المجردة الأخرى هى التى تستأثر باهتمامك وليس الرجال أنفسهم . حتى أنا : إننى لا أظفر باهتمامك بصفتى إنسانا . اننى بالنســبة

إليك لست إلا كسرا من وحدة مقسمة الى عشرين ألف قسم، انك لم تعرف أي مخلوق على سطح الأرض .. إنك لم تعرف الا مخلوقات بشرية معدلة ومحـولة الى مقياس واحد ، لكن هؤلاء ليسوا مخلوقات بشرية بمعنى الكلمة كما أن المكعبات التى يؤخذ ضلع واحد منها لا يمكن أن تكون مكعبا حقيقة (ص ٤٨٠ ، ٤٨١) .

وكان من المحتوم أن تموت العواطف وتذوى فى وجدان إنسان يعيش فى مجتمع التعميم والمادية والتجريد والرتابة والموضوعية .. ها هو جيوروجيو يتكلم هذه المرة على لسان امرأة ليحدد موقع الحب فى كيان حضارة لا وجدان لها ، ليقول ــ بمعنى آخر ــ إن الحب وكل العواطف الانسانية قد عفى عليها ! (ان أى رجل من حضارتك لا يستطيع إنماء عاطفة فى نفسه ــ ان الحب تلك العاطفة البليغة ، لا يمكن أن يكون إلا فى مجتمع يؤمن بأن الكائن البشري فريد لا يمكن استبداله ــ والمجتمع الذى تنتمى اليه يؤمن بشدة بأن كل رجل يمكن استبداله بسهولة . إنكم لا ترون فى الانسان ، وبالتالى فى المرأة التى تزعمون أنكم تحبونها ، مثالا وحيدا خلقه الله .. دفعة واحدة ومرة واحدة . إن الانسان فى نظركم خلق على دفعات ، والمرأة فى نظركم تشبه أى امرأة أخرى ، وبمثل هذا الاعتقاد يمكنكم أن تحبوا أبدا ــ ص ٥٥٢) .

والآلام يريدون أن يزنوها بالكيلوغرامات والأطنان ، ومن ثم نسمع هذه الصرخة المحزنة التى تدين حضارة القياسات (ان آلام البشر لا يمكن أن تقاس بالكيلو غرامات والأطنان !.. ان الحياة لا يمكن أن توزن ، ان ذلك الذى يحاول وزنها يرتكب خطيئة قاتلة ــ ص ٤٠٤) .

وكان من المحتوم أن تتلقى العدالة ضربة قاضية ، العدالة التى تنبثق عن إيمان عميق بالمسئولية الفردية وبأن كل امرىء رهين بما يكسب ، وان كل إنسان يعمل على شاكلته .. وهل يبقى ــ بعد الذى رأينا ــ مجال للعدل ونحـن نسمع أحد ممثلى الحضارة المعاصرة يقول بثقة لا حد لها : (ان التعليمات المتعلقة بالتوقيف أو اطلاق السراح ، لا ينظر فى شأنها الا على أساس جماعى ، ان عملنا يقوم على أساس جماعى ، ان عملنا يقوم على أساس توزيع كل شخص الى الفئة التى ينتمى اليها . انه عمل حسابى دقيق .

سؤال : أولا تجدون أن إلغاء الإنسان ومعاملته كجزء من فئة عمل غير إنســـــاني ؟

جواب : كلا ...!! ان هذا الأسلوب عملي وسريع بل إنه علاوة عن ذلك عادل ، ان العدالة لا يمكن أن تريح الا من هذا الأسلوب . ان العدالة تسير وفق مناهج العلوم الرياضية والفيزيائية أى بحسب الأساليب الأكثر دقة . ان الشعراء وحدهم وعلماء اللاهوت يستنكرون هـذه الوسائل والأساليب . لكن المجتمـع المتمدن قد نقح المبادىء اللاهوتية والشعر . اننا الآن نجتاز حقبة علميـــة رياضية سليمة ، ولا يمكن لنا العودة الى الوراء لأسباب عاطفية . ان العواطف ليست على كل حال إلا من ابتكار الشعراء وعلماء المعقولات .

وكان من المحتوم أن يفقد الانسان حريته ، ويستعبد ، ومن ثم يفقد القدرة ــ كذلك ــ على تحرير الآخرين (ان أى رجل ــ بعد الآن ــ لن يستطيع تحرير رجل آخر أو تحرير نفسه . لقد أصبح البشر الآن أقلية موثوقة الأيدى مغلولة العنق ، وأصبح الانسان عاجزا عن مد يد العون الى أترابه ، انه مربوط الى سلاسل آلية .. إنها سلاسل البيروقراطية الآلية التى تزين معاصمنا وأقدامنا . إن كل ما تستطيع الحضارة الغربية الحاضرة تقديمه الى الانسان : الأصـــفاد (ص ٥٠٢) .

(للبحث بقيـــــة)



للأستاذ : عبد اللطيف
محمد صالح العوضي

مقدمة :

علم التاريخ ونظرياته وتفسيره ومفهومه يلقى اهتماما خاصا من المؤرخين العرب وغيرهم قديما وحديثا ، ويرجع ذلك لأهميته فى البحث التاريخى وكمادة مدرسية وكعلم له دور هام فى حياة كل مجتمع لأنه يعطى انطباعا شاملا عن العالم بشكل عام كما أنه يؤدى الى صبغ النظام التربوى لكل مجتمع بشكل معين .

والنقاش لم يعد مقتصرا على كون التاريخ علما أو أدبا أو فنا بل ان له دورا عظيما فى تربية النشء واعدادهم للحياة والمواطنة السليمة فى المجتمع الذى يعيشون فيه ومن هنا ظهرت أهمية التاريخ كعلم من العلوم وكموضوع حيوى له منزلته الخاصة بين علوم المعرفة المختلفة حتى أطلق على العصر الحديث اسم (عصر التاريخ) وأدى بالتالى الى تغيير النظرة حول طبيعة التاريخ ومفهومه بل ينظر اليه كعلم اجتماعى .

واختلاف المؤرخين المسلمين وغيرهم من الأجانب حول مفهوم التاريخ وتفسيره وفائدته للمجتمع اختلاف راجع الى العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى أثرت فى طبيعة التاريخ وتحديد أغراضه من عصر لآخر ، وكذلك الاختلاف

راجع الى الطريقة التي تتم بواسطتها عملية انتقـــاء المادة التاريخيـــة ومعــالجتها ، فمثلا بعض المؤرخين يرى التاريخ فنا من الفنون ، والبعض يعتبره ضمن العلوم الموضـــوعية ، وآخرون يرونه من العلوم الاجتماعية، ومنهم من يعرض التاريخ على شكل الأساطير الموشاة بالحقيقة، والبعض يقصره على المعجزات والأســـاطير والقصص الدينية . وعلماء التاريخ المسلمون يرون الاشتغال به لخدمة الفرض الدينى ، ومطية لفهم الفقـــه والشريعة ، فهو من هذه النـــاحية (اداة) لخدمة الدين ووسيلة اليه .

وهكذا نرى اختلاف المؤرخين حول طبيعة التاريخ ومفهومه قديما وحديثا، ولسنا فى سبيل استعراض تلك الآراء والاتجاهات والنظريات ، أو تعدد انواع التعريفـــات ، فذلك أمر يطول بنا ، ويتطلب تتبع التاريخ فى تطوراته المختلفة ، ولكن سوف نقصر البحث هنا على مفهوم التـــاريخ ، وسببيته ، عند علماء المسلمين .

ما المقصود بكلمة (التاريخ) .. ؟

يدل لفظ التاريخ على معان مختلفة فبعض الكتاب يعتبر التـــاريخ : يشتمل على المعلومات التى يمـــكن معرفتها عن نشأة الكون بما يحويه من أجرام وكواكب . وما جرى على سطحها من حوادث الماضى .. أى كل ما يتعلق بالانسان منذ بدأ يترك آثاره على الصخر والأرض ، ولقد لعبت التطورات فى علم الكلمات دورا هاما فى تكوين الفـــكرة الحديثة للتاريخ ، وقد حدث هذا فى التاريخ الاسلامى .

لقد كان التعبيران اللذان استعملا للتعبير عن فكرة التاريخ بالعربيـــة هما علم (الأخبار) و (تاريخ) الا أن كلمة الاخبار هى الأكثر شـــيوعا واستعمالا من كلمة التاريخ ، فكلمة اخبار تطابق التـــاريخ من حيث أنه قصة أو حكاية لا تتضمن أى تحديد فى الزمن .

وفى اللغـــة العربية التـــاريخ والتأريخ والتـــوريخ يعنى الإعـــلام بالوقت ، وقد يدل تاريخ الشيء على غايته ووقته الذى ينتهى اليه زمنه ، ويلتحق به ما يتعلق من الحـــوادث والوقائع الجليلة ، وهو فن يبحث عن وقائع الزمان من ناحية التعيين والتوقيت وموضوعه : الانســـان ، والزمان ، ومسائله : أحواله المفصلة للجزئيـــــات تحت دائرة الأحوال العارضة للانسان وفى الزمان .

صلة التاريخ بالدين :

يرجع اهتمام العرب بالتاريخ الى ما قبل الاسلام حيث كانوا يعتقدون بأهمية الدم فى تقرير خلق الانســـان ويؤمنون بأن أعمال الآباء والأجداد تسبغ على الأبناء مكانة فى المجتمع ، وهذا دفعهم الى الاهتمام بالنسب ، وحفظ شجراته ، وتدارسها .

ثم جاء الرسول عليه الصــــلاة والسلام يدعو الناس الى الاسلام ، وانزل الله تعالى القرآن الكريم وفيه أخبار الأمم الماضـــية كقوم نوح ، وهود ، ومدين ، وثمود ، وهارون ، وفرعون ، وقارون ، وأصـــحاب الكهف ، تلك القصص القرآنية تدعو الناس الى التفكير بها وأخذ العبرة والعظة منها .

ولما كان التـــاريخ من أهم فروع المعرفة الانسانية ، بل هو المعرفة أو العلم الذى يظهر الانسانية على حقيقتها . فلقد اهتم أغلب المؤرخين والمشتغلين بالتاريخ الاسلامى بالتدليل على أهمية التاريخ وفائدته للبشرية .

لذلك قلما نجد مرجعا من المراجع الاسلامية فى التاريخ أو مصدرا من مصادرها خاليا من الاشارة الى اهمية هذا العلم والاشتغال به .

واستظهر بعض العلماء ضرورة الاشتغال بالتاريخ لاستكمال أمر الدين واصلاح المعاملات والمعاش الدنيوى حتى تتحقق الحكمة من الوجود الانسانى فى الحياة على أكمل الوجوه ، وقد ذهب بعض العلماء الى أهمية التاريخ وعظمته فى النفوس لأن القرآن الكريم ذكر التاريخ ، وفى ذكره دلالة وبرهان على ما له من أهمية فى نفوس البشر ، فالتاريخ ملىء بقصص الأبرار والشهداء ، وبحوادث العرب ووقائعهم ، وأخبار الأنبياء والرسل ، والقادة والملوك ، وفى القرآن قصص عن الأمم الماضية ، وأخبار الأولين من الملوك والدول ، ومن هنا نشأت العلاقة بين التاريخ وهو أحد المواد الانسانية والأدبية وبين القرآن الكريم ، فالقرآن والتاريخ يرميان الى عناية دينية وخلقية ، فهما يتناولان الظلم والفساد الذى يودى بالناس وبالأمم والملوك الى الهلاك والدمار ، ويشترك القرآن مع التاريخ لا فى تحذير وتخويف الناس من الدمار والهلاك فحسب ، بل يشترك معه فى وظيفة ايجابية وهى مد الدارس بالأخلاق الفاضلة كالشجاعة والتضحية والصبر ، الأمر الذى يجعل لدراسة التاريخ وتعلمه أهمية خاصة فى تربية النشء فهو ليس تسلية وترويحا للخاطر بقدر ما هو نافع ومفيد حتى اشترط المؤرخون أن يكون الحاكم والسلطان والوزير والعامل ملما بمادة التاريخ ، عارفا به ، مستفيدا منه .

عوامل اهتمام المسلمين بالتاريخ :

ان التاريخ من أهم ميادين المعرفة عند العرب ، ومن أوائل العلوم التى اهتموا بها فتدارسوه ، ورووا أخباره واهتموا بتوقيتها ، وظل هذا الاهتمام والتدارس مستمرا طوال العصور والأزمنة . وقد أدى هذا الاهتمام الى انتاج فكرى هائل فى علم التاريخ فألفت فى مختلف الأزمنة والأقاليم كتب فى التاريخ تناولت جوانب متعددة من النشاط الانسانى، ويرجع اهتمام العرب الى دراسة علم التاريخ والاشتغال به الى عدة عوامل منها اهتمامهم بغزوات الرسول عليه السلام ، فاهتموا بتدوينها وتسجيلها تسجيلا كاملا دقيقا فى مراجعهم وكتبهم ومصادرهم .

ومنها كذلك تقاليدهم القديمة التى تهتم بالنسب والمفاخرات ، ومنها دعوة القرآن الكريم الى الاهتمام بأحوال الأمم السالفة لا سيما وقد حوى القرآن قصص الأولين لتكون عظة وعبرة لأولئك المؤمنين ، ومنها أن العرب بطبيعتهم محافظون يهتمون بالسنن والتقاليد . ويعملون على مراعاتها ، بالاضافة ما للتاريخ من متعة عند السماع . وعبرة عند التفكير .

بعض التفسيرات عن مفهوم التاريخ :

المؤرخون العرب مثل الطبرى والبلاذرى وابن الجوزى قدموا بعض التفسيرات عن مفهوم التاريخ وطبيعته ، البلاذرى فسر التاريخ العربى الاسلامى على أنه تعبير عن دور العرب الأشراف الذين حملوا رسالة الاسلام ونشروا اللغة العربية فى العالم ، والبعض فسر التاريخ

تفسيرا أخلاقيا ورأى فيه الأخلاق الفاضلة وعونا للاهتداء نحو حياة أفضل ، أما ابن الجوزى فقد فسر التاريخ على أنه تعبير عن دور العلماء والأدباء والزهاد والأشراف ، أما الطبرى عميد مؤرخى الاسلام فيرى أن التاريخ البشرى بما فيه تاريخ العرب تعبير عن المشيئة الإلهية المتمثلة فى الرسالات ، وأصبح بعد ظهور الاسلام تاريخ أمة هى الأمة الاسلامية .

هذه بعض التفسيرات لبعض مؤرخى العرب الذين كتبوا عن التاريخ ، وهنا نختار أشهر المؤرخين العرب الذين كتبوا عن أهمية التاريخ ومفهومه وطبيعته وغرضه بشىء من التفصيل ومنهم الطبرى ، وابن الأثير ، وابن خلدون ، والسخاوى ، وابن الجوزى ، وعماد الأصفهانى ، والكافيجى .

الطبرى :

شيخ مؤرخى الاسلام ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى يشير الى أهمية التاريخ فى كتابه (تاريخ الرسل والملوك) بقوله « فهو كلام فى مسائل مادية حدثت وأخبار ماضية وقعت ، وهى وان كانت يجرى عليها الصدق والكذب الا أنها تستخرج بالرواية والأخبار ، ولا تستنبط بحجج العقول والأفكار » .

المؤرخ عز الدين بن الأثير (صاحب كتاب الكامل فى التاريخ) :

يقول عن فائدة التاريخ وتعلمه :

« ان الانسان لا يخفى أنه يحب البقاء ويؤثر أن يكون فى زمرة الأحياء فيا ليت شعرى أى فرق بين ما رآه أمس أو سمعه وبين ما قرأه فى الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين . فاذا طالعه فكأنه عاصرهم ، واذا علمها فكأنه حاضرهم . ومنها أن الملوك ومن اليهم الأمر والنهى اذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة فى الكتب يتناقلها الناس فيروونها خلف عن سلف ونظروا الى ما قد أعقبت من سوء الذكر وقبيح الأحدوثة وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الأموال وفساد الأحوال استقبحوها وأعرضوا عنها » .. الخ .

ابن خلدون :

يشير الى فائدة التاريخ فى مقدمته بقوله « أعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب ، جم الفوائد ، شريف الغاية اذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم فى أخلاقهم ، والأنبياء فى سيرهم ، والملوك فى دولهم ، وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى أحوال الدين والدنيا » .. الخ .

ابن الجوزى فى مقدمة كتابه (المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم) يقول :

للسير والتواريخ فوائد كثيرة أهمها فائدتان :

احداهما : أنه ان ذكرت سيرة حازم ، ووصفت عاقبة حاله أفادت حسن التدبير ، واستعمال الحزم ، أو سيرة مفرط ووصفت عاقبته أفادت الخوف من التفريط فيتأدب المتسلط ، ويعتبر المتذكر ، ويتضمن ذلك شحذ صوارم العقول ، ويكون روضة للمتنزه فى المنقول .

والثانية : أن يطلع بذلك على عجائب الأمور ، وتقلبات الزمن ، وتصاريف القدر ، وسماع الأخبار .

عماد الاصفهاني :

يشير الى فائدة التاريخ فى كتابه المشهور (الفيح القسى فى الفتح القدسى) : « ولولا التاريخ لضاعت مساعى أهل اسياسات الفاضلة ولم تكن المدائح بينهم وبين المذام هى الفاصلة وتعذر الاعتبار بمسالمة الأيام وعقوبتها وجهل ما وراء صعوبة الأيام من سهولتها وما وراء سهولتها من صعوبتها » .

السخاوى : فى كتابه (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ) يعرف التاريخ بقوله « ان التاريخ فن يبحث فيه عن وقائع الزمان وحيثية التعيين والتوقيت بل عما كان فى العالم ، وأما موضوعه فالانسان والزمان ومسائله : أحوالهما المفصلة للجزئيات تحت دائرة الاحوال العارضة الموجودة للانسان وفى الزمان » .

ويقول : أن التاريخ جم الفوائدكثير النفع لذوى الهمم العالية والقرائح الصافية ، لما جبل عليه طباعهم من الارتياع عند سماعهم هذه الاخبار الى التشبه والاقتداء بأربابها ليصير لهم نصيب من حسن الثناء ، وطيب الذكر الذى حرص عليه خلاصة البشر وأخبر الله تعالى عن امام الحنفاء .

الكافيجى : يعرف التاريخ فى كتابه (المختصر فى علم التاريخ) :

« وأما علم التاريخ فهو علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته »(١) .

مؤرخين وفقهاء :

علم التاريخ والاشتغال به ليس قاصرا على مجموعة من المؤرخين أو الاخباريين فقط ولكن ظهر عدد من الفقهاء وعلماء التشريع اهتموا بعلم التاريخ وجعلوه ضرورة للعلوم الدينية واضافة لها ومن هؤلاء ابن ابى الدم الفقيه الشافعى ، حيث يقول عن أهمية التاريخ :

« انما الفائدة فى التاريخ الاسلامى مع قربه من الصحة ذكره لعلماء هذه الأمة المحمدية وذكر محاسنهم وعلومهم ومواعظهم وحكمهم وسيرهم التى يستدل العامل بها فى أموره ويتدبرها ويتفكر بها فينتفع بما قالوه وعانوه وما ينقل عنهم من المحاسن دينا وأخرى » .

ومن الذين جمعوا بين الفقه والتاريخ ، الامام الطبرى فقد جمع بين التفسير والتاريخ ومنهم كذلك ابن كثير الدمشقى فى كتابه (البداية والنهاية) جمع بين التفسير والتاريخ ويعتبر مرجعا هاما من المراجع الاسلامية فى التاريخ .

---

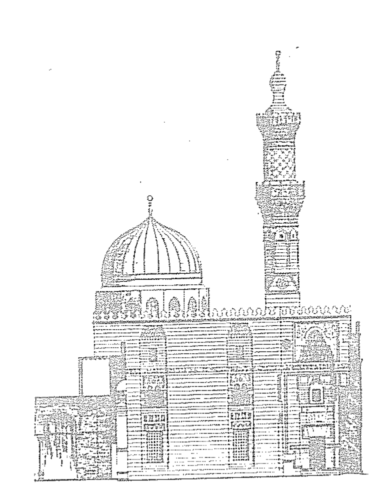
(١) اسمه محيى الدين محمد بن سليمان الكافيجى : يعتبر كتابه (المختصر فى علم التاريخ) أقدم رسالة اسلامية مدونة عن نظرية علم التاريخ وقد اجاب باختصار عن المسائل المتعلقة بخصائص التاريخ وغرضه وهدفه وفوائده وعن مركز التاريخ فى العلوم الدينية الاسلامية .

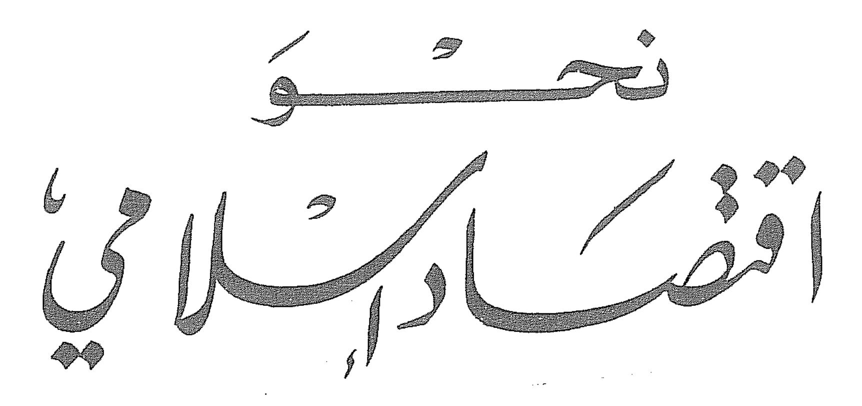
وكذلك الحافظ الذهبي ، فقد كان فقيها وحافظا ومؤرخا وكتبه (تاريخ الاسلام) و (دول الاسلام) ، والحافظ المؤرخ شمس الدين السخاوي وله كتاب في التاريخ (الضوء اللامع في أخبار القرن التاسع) وكتاب (الإعداد بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ فقد جمع بين الفقه وحفظ الحديث والاشتغال بالتاريخ .

الخلاصة :

وهكذا ترى من تلك الأقوال والتعريفات عن مفهوم التاريخ وتفسيره للمؤرخين العرب مدى مبلغ اهتمامهم بدراسة التاريخ وتعلمه وحثهم عليه وضرورة الاشتغال به لايمانهم بقيمته وفضله لجميع البشر .

ولو استعرضت اقوال مؤرخي الاسلام عن فوائد التاريخ لوجدت أن العبرة والموعظة والقدوة الحسنة هي العامل المشترك وما من أحد من المربيين المسلمين حاول أن يغفل الهدف الديني والاخلاقي من تعلم التاريخ بيد أن لكل واحد منهم تفسيرا خاصا في تحديد الوظيفة والغرض من تعلم التاريخ اذ لم يكن الهدف من تعلم التاريخ ودراسته مجرد اعداد ملوك أو تجار أو قادة حرب أو ساسة دول بقدر ما كان يرمي الى توجيه أبناء المسلمين الوجهة الصحيحة حتى ينشأوا على مبادىء الاسلام فدراسة التاريخ لأبناء المسلمين تكون محركا ومنشطا لعقولهم وباعثا لهم على أفعال الخير والاقتداء بالسلف الصالح .





- ٣ -

للدكتور ابراهيم فؤاد احمد على

دعوت فى مقالى الأول المنشور بالعدد رقم (١٠٩) من مجلة (الوعى الاسلامى) الغراء والصادر فى غرة المحرم ١٣٩٤ هـ الموافق يناير ١٩٧٤ م الى قيام الدول الاسلامية بتطبيق تعاليم الاسلام الاقتصادية بعد أن هجرتها كثير من تلك الدول ، واشرت الى مزايا هذه التعاليم التى ظهرت منذ بداية القرن السابع الميلادى اى فى أوائل العصور الوسطى المظلمة ، والتى بزت جميع التعاليم الاقتصادية التى ظهرت فى القرن العشرين .

وحيث إن المال من اهم العناصر اللازمة لتطبيق اى نظام اقتصادى ، فقد بدأت فى مقالى الثانى والمنشور بالعدد رقم (١١٤) من المجلة ، والصادر فى جمادى الآخرة ١٣٩٤ هـ الموافق يونيو ١٩٧٤ الكلام عن مورد من أهم الموارد الرئيسية لبيت المال الاسلامى وهو (الزكاة) ، وبينت أهم خصائصها وأنها حق يجب على الدولة القيام بجبايتها ، وإنفاق حصيلتها ، وان هذا الحق من أهم الحقوق المحلية التى يقوم كل إقليم فى الدولة بجبايته من المكلفين به ، وانفاقه فى نطاق الإقليم .

وفى هذا المقال سوف أتعرض الى أنواع الأموال التى تجب فيها الزكاة .

أنواع الأموال التى تجب فيها الزكاة :

وجبت الزكاة فى أربعة أنـــواع من الأموال بينتها السنـــــة الشريعة ، وقام الصحابة بجبايتها ، وهذه الأنواع هى :

١ ــ النقود كالذهب والفضة ، والحلى من الذهب والفضة .
٢ ــ عروض التجارة ، وهى الأموال التى يتجر فيها .
٣ ــ الزروع والثمار .
٤ ــ النعم ، وهى الإبل والبقر والغنم .

وقد قام النبى صلى الله عليه وسلم ببيان أحكامها وكيفيـــــة جبايتها ونصابها والمقادير الواجبة فيها ، وكان يبعث ولاته لجمعها من الدول التى دانت بالاسلام فى عهده ، وهناك أنواع من الأموال المستحدثة ذهب بعض الفقهاء الى وجوب الزكاة فيها .

وقبل البدء فى تناولها أرى لزاما أن أتعرض للشروط الواجب توافرها فى الأموال الخاضعة للزكاة .

الشروط الواجب توافرها فى الأموال المزكاة :

قبل التعرض لأنواع تلك الأموال نذكـــر الشـــروط الواجب توافرها فى الأموال الواجب فيها الزكاة وهى :

١ ــ أن تكون تلك الأموال بحيث تخرج الرجل من الفقر الى الغنى ، فيكون عليه واجب الأغنياء للفقراء ، ويتعلق بماله حق معلوم للسائل والمحروم ، ولذلك وجب أن يكون معه النصاب الذى تجب فيه الزكـــــاة .

٢ ــ يجب الا تكون ملكية الفرد للأموال ملكية عارضة تزول ، بل يستمر مالكا لها حتى يتحقق فيه وصـــف الغنى لا بمجرد أن يملك مقدارا من المال ولو كان كبيرا ، ثم يزول بعد أمد قصير .

٢ ــ يجب الا تكون ملكية الفرد للأموال ملكية عارضةتزول،بل بحيث يمكن أن يتخذها سبيلا لتنمية ثروته ، ولا يعد ممـــن يكتنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونهافى سبيل الله تعالى ، فان كنز الذهب والفضة ليس معناه كما يفهم بعض الناس أن يملك الشخص شيئـــا منها يدخره ، بل المراد أن يخفيه ويجعله كنزا مخفيا لا يعلم به أحد ، ولا يخرجه للتنمية والاسهام بماله فى بناء اقتصاد المجتمع الذى يعيش فيه (١) .

٤ ــ ولأجل اشتراط أن تكون الأموال نامية بالفعل أو بالقوة ،

لم تجب الزكاة فى الأموال التى تعد من الحاجة الأصلية كالمال الذى يدخره لقوت نفسه وعياله ، وكالسكن الذى يسكنه ، وكالفراش الذى ينام عليه ، وكأدوات الصناعة التى يعمل بها لقوته ، وكأدوات النجارة لنجار يستخدمها بيده ، وكأدوات الحدادة التى يستخدمها الحداد وليست هى رأسماله ، بل رأسماله مهارته ، وهكذا ..

وكذلك يشترط فى أموال الزكاة عدم وجود دين يستغرق النصاب أو ينقصه فمن كان عنده مال وجبت زكاته وهو مدين فليخرج منه ما يفي بدينه ، ثم يزكي الباقي إن بلغ نصابا ، لأن المدين محتاج والصدقة إنما تجب على الأغنياء عملا بالحديث الشريف (لا صدقة إلا عن ظهر غنى) .

٥ ــ حولان الحول على تملك النصاب النامى ــ فيشترط حولان الحول الهجرى (اى مضى عام هجرى) على تملك النصاب فى النقود أو الأثمان والمواشى وعروض التجارة ، فلا زكاة فيما ذكر الا بعد مضى حول تام ، والعبرة فى ذلك ان مثل تلك الأموال مرصدة للنماء ، فاشترط مضى سنة عليها ، لكون تلك الفترة مقبولة لتنمية المال واستثماره ، ليمكن للشخص إخراج الزكاة من الربح ، فإنه أسهل وأيسر عليه ، ولا يشترط أن ينمو المال فعلا ، بل يكفى أن يكون فى حكم النامى حتى يكون ذلك حاثا لصاحبه على استثماره، أما الزروع والثمار فهى نماء فى نفسها ، وهذه تجب فيها الزكاة دون اشتراط الحول ، بل تجب فيها بمجرد حصادها أو قطفها .

٦ ــ كمال النصاب فى طرفى الحول ــ من شروط افتراض الزكاة، كمال النصاب فى طرفى الحول ، ولا يضر نقصانه فى أثناء الحول طالما بقى من هذا النصاب شىء ، أما لو عدم بالمرة أو نقص فى آخر الحول فلا تجب الزكاة ، وفى هذا تيسير فى احتسابها ودفعا للمشقة .

وسأستعرض باختصار أنواع الأموال المذكورة ، حتى يمكن التعرف عليها وادراك مدى أهميتها عندما تقرر الدولة فرض الزكاة فيها وجعلها موردا من موارد الهيئات المحلية .

اولا : زكاة الذهب :

تجب الزكاة فى الذهب اذا بلغ نصابا وهو عشرون مثقالا أو دينارا وحال عليه الحول ، وكان فائضا عن الحاجات الأصلية والدين .. والدينار يزن ١ ٣/٧ درهم ، والدرهم يزن ١٢ر٣ جرامات فكأن الدينار يزن ٨٩ر٢ جم (عيار ٨٧٥ر) واذا كان ثمن الجرام من الذهب عيار ٢١ هو حوالى الجنيهين فى مصر ، فإن النصاب يساوى حوالى

مائة وثمانين جنيها تقريبا ، وعلى العموم فإن يوم اداء الزكاة يقدر الفرد ثمن النصاب على أساس السعر السائد للذهب فى ذلك اليوم ، وهو يختلف من زمان الى زمان ومن مكان الى مكان ، وقدر الزكاة ٥ر٢ ٪ فمن بلغ عنده النصاب بهذه الشروط أو أكثر من النصاب فإنه يزكيه دون إعفاء فى القاعدة ، كما هو الحال بالنسبة للضرائب الحديثة .

ثانيا : زكاة الفضة :

تجب الزكاة بنفس الشروط الواجبة فى زكاة الذهب ، ولكن النصاب يختلف فهو مائتا درهم ، والدرهم يزن ١٢ر٣ جم ، فالنصاب يزن ٦٢٤ جم من الفضة عيار ٩٠٠ ، واذا قلنا ان ثمن الجرام فى مصر يساوي حوالى ٦٠ مليما ، فالنصاب يساوى حوالى سبعة وثلاثين جنيها تقريبا وقيمة الزكاة ٥ر٢ ٪ ايضا .

ثالثا : زكاة الحلى من الذهب والفضة :

اختلفت الآراء بالنسبة لوجوب الزكاة فى حلى الذهب والفضة، فبعض الأئمة يرى فيها الزكاة لأنها تعتبر من النقدين : الذهب والفضة وهما تجب فيهما الزكاة ، وذهب البعض الآخر الى عدم وجوبها لأنها لا تتخذ للنماء ، بل تتخذ للاستعمال ، وسبب الزكاة هو المال النامى ، ولا نماء فى الحلى بالفعل ولا بالقوة ، وأميل الى الأخذ بهذا الرأى الأخير ، لأن السيدة عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم كانت تتولى تربية بنات أخيها فى حجرها ، ولهن الحلى ولا تخرج عنها الزكاة .

ولكن ان اتخذت الحلى كنوع من الادخار كما يفعل بعض النساء من عامة الشعب فى بلادنا ، أو اتخذت بقصد الفرار من الزكاة ، ففى هاتين الحالتين يجب فيها الزكاة، وان استخدمت للتزين بشكل يخرج عن الحدود المعتدلة للتزين بحسب الحالة الاجتماعية ، فان الزكاة تجب فى القدر الزائد عن حدود التزين .

رابعا : زكاة أوراق البنكنوت :

كانت العملة فى الماضى تتخذ من الذهب والفضة ، فلما كثرت المبادلات أصبحت الكميات الموجودة من هذين المعدنين لا تفى بحاجة الناس للتعامل ، فكان من الضرورى الالتجاء الى استخدام أوراق البنكنوت لتخفيف الضغط على العملة المعدنية الذهبية ، وكانت تلك

الأوراق قابلة لدفع قيمتها عينا بمجرد تقديمها للبنك الأهلى المصرى قبل تاريخ ١٩١٤/٨/٢ الذى جعل فيه سعرها إلزاميا ، واصبح الأفراد ملزمين بقبولها فى التعامل بدون ان يكون لهم الحق فى استبدالها بنقود معدنية ، واصبحنا فى مصر نسير على نظام النقود الورقية الالزامية منذ ذلك التاريخ .

وقد صدرت فتوى للشيخ محمد حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية سابقا بوجوب الزكاة فى أوراق البنكنوت باعتبارها تمثل ديونا على البنك الاهلى المصرى ، وذلك تخريجا على مذهب الإمام الشافعى من أن الدين فى بعض أحواله يزكى كل عام ، ودين البنكنوت دين حال والمدين (وهو البنك) موسر غير جاحد للدين ولا مماطل فى سداده ، فتجب الزكاة فى البنكنوت اذا حال عليه الحول وان لم يستبدل بالنقود ، ذلك هو مضمون فتوى فضيلة المفتى ، ولكن هل التخريج الذى استندت اليه الفتوى سليم من الناحية الاقتصادية ؟ وهل أوراق البنكنوت تمثل ديونا على البنك يمكن قبضها ؟ الجواب بالنفى للأسباب الآتية :

١ — لأن أوراق البنكنوت لا يمكن استبدالها .

٢ — والدين غير حال لأنه لا يمكن المطالبة بقيمة تلك الأوراق من الذهب .

٣ — ولأن سعرها أصبح إلزاميا ، ولا يمكن لحاملها استبدالها .

٤ — وأصبحت أوراق البنكنوت بقوة القانون أوراق عملة رسمية يتحتم على الأفراد قبولها فى المعاملات مع مابين قيمتها السلعية وقيمتها القانونية من فارق كبير .

والمعروف فى كتب الفقه أن الزكاة تجب فى العملة إذا كانت كواغد (أى جلودا) أو فلوسا (بمعنى فكة) مثل النيكل والبرونزوذلك اذا بلغت قيمتها نصاب الذهب ، وعند تقدير قيمة البنكنوت نرجع الى سعر الذهب وتقدر قيمة النصاب منه بأوراق البنكنوت ، وتخرج الزكاة فيها بنسبة ٢ر٥ ٪ من قيمتها وهى اصبحت بديلة الذهب الآن .

خامسا : زكاة عروض التجارة :

العروض جمع عرض (بسكون الراء) وهو لغة اسم لما سوى النقدين ، ومال التجارة هو كل ما قصد به الاتجار عند شرائه ، وتجب فيها الزكاة لحديث سمرة بن جندب قال (أما بعد فإن النبى صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذى نعده للبيع) .

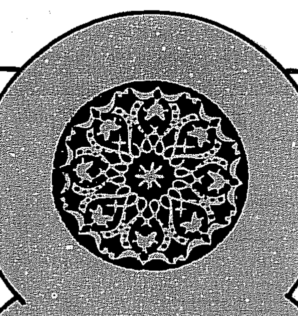
وتجب فيها الزكاة بالشروط الآتية :

١ — أن تبلغ قيمتها نصابا (أى نصاب الذهب) .

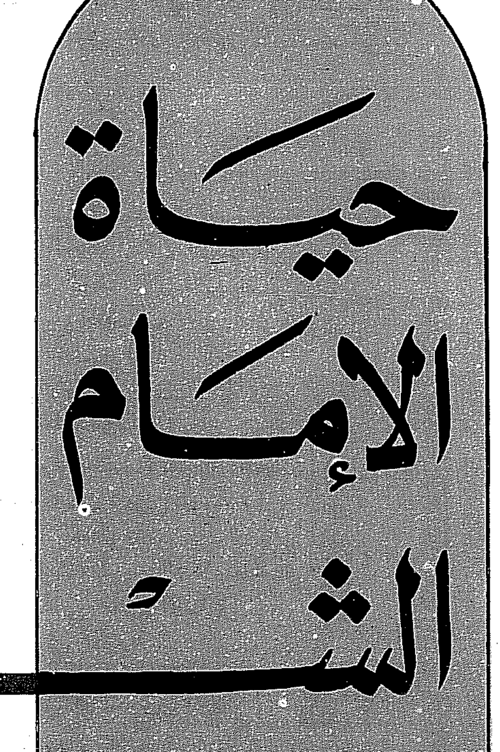
٢ — أن يحول عليها الحول .
٣ — أن ينوى به التجارة ، وأن يكون مصحوبا بعمل التجارة .
٤ — أن تكون العروض قد ملكت بمعاوضة .
واذا قارنا تلك الشروط بما ورد فى قانون التجارة المصرى (المادة الثانية فقرة أولى بأنه يعتبر تجاريا كل شراء غلال أو أى نوع من أنواع المأكولات أو البضائع لأجل بيعها أو بعد تهيئتها بهيئة أخرى، أو لأجل تأجيرها للاستعمال) وهذه المادة تشير الى أن القانون يستلزم شروطا ثلاثة لكى يعتبر العمل تجاريا ، أى يجب أن تتوافر أركان معينة فى الشراء بقصد البيع أو التأجير لكى يعتبر العمل تجاريا ، وهذه الشروط هى :
١ — أن يكون هناك شراء .
٢ — أن يكون المشترى غلالا أو غيرها من أنواع المأكولات أو البضائع .
٣ — أن يكون الشراء بقصد البيع أو التأجير .(١)
وبمقارنة تلك الشروط بما ورد فى الفقه المالى الاسلامى ، نجد تشابها كبيرا بينها ، وتتضح منها عصرية الفقة الاسلامى مع الفارق الزمنى الكبير بين وقت التشريع الاسلامى والتشريع الحديث . وكنت أود التوسع فى دراستها ولكن المجال لا يتسع لذلك الآن .
ووعاء زكاة عروض التجارة هو الأصول المتداولة فقط ، فلا يدخل فى الوعاء الأصول الثابتة كالأدوات والاوانى والارفف الفاترينات والأثاث والموازين .. الخ . وتضاف قيمة الأصول المتداولة الى ما عند التاجر من نقود وما له من ديون قوية على الغير، ويخصم من ذلك الخصوم المتداولة وهى المطلوبات من التاجر للغير (أى ما عليه من ديون للغير) ، ووعاء الزكاة فى هذه الحالة هو ما يعبر عنه فى المحاسبة الحديثة بصافى راس المال العامل .
وتقيم عروض التجارة باحدى الطرق الآتية :
١ — على أساس ثمن البيع يوم وجوب الزكاة .
٢ — أو تقوم العروض بسعر الشراء ، وهذا لا يمثل القيمة الحقيقية للعروض يوم إخراج الزكاة فقد يكون أزيد أو أقل من السعر الحالى .
٣ — احتساب سعر البيع الفعلى ، وهذا الأساس دقيق ، ولكن يصعب اتباعه عمليا .
وأرى انه من الأوفق تقييم عروض التجارة على اساس ثمن البيع يوم وجوب الزكاة ، لأن هذا هو الأقرب للصحة ، وتخرج الزكاة بنسبة ٢٫٥٪ من صافى رأس المال العامل.
وسأتناول فى المقال التالى باذن الله باقى أنواع الأموال التى تجب فيها الزكاة .

---

(١) بحث فى الزكاة ص ١٥٠ قدمه فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة للمؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية ١٩٦٥ .



للدكتور : محمد حسن هيتو



حياة الإمام الشيرازي

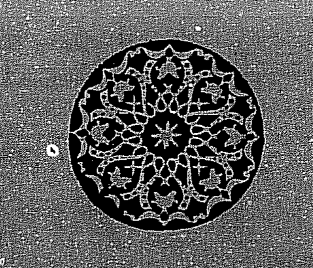
إن عظماء الأمة الإسلامية كثر ، لا تحيط بهم العشرات ولا المئات ، وقد سخر الله لكثير منهم من عرف بهم ، وأبان للناس قدرهم ، ولا زال كثير منهم فى طيات كتب التاريخ ، لم يعرف الناس شيئا عنهم ، رغم أنهم هم النجم إن بزغت فى سماء الحقيقة النجوم .

ومن مشاهير أولئك العظماء الإمام ابو اسحق الشيرازى ، صاحب الذكر الشائع ، والصيت المنتشر ، والمصنفات المشهورة ، والسيرة المحمودة ، وهو الذى سنتكلم عنه فى هذه المقالة .

١ ـ اسمه ونسبه :

هو الشيخ الإمام إبراهيم بن على ابن يوسف ، جمال الدين ، ابو إسحق الفيروزاباذى الشيرازى .

والفيروزاباذى ـ بكسر الفاء وتفتح ـ نسبة الى فِيروزاباذ التى ولد فيها ، وهى من مدن فارس ، ومعناها : أتم دولة ، والذى سماها بهذا الاسم هو عضد الدولة ابن بويه إذ كان اسمها قبله ، مدينة جور ، وهى من أجمل مدن بلاد الفرس .



والشيرازى نسبة الى مدينة شيراز ، وهى أول المدن التى خرج اليها الشيرازى فى رحلته من بلده لطلب العلم ، وهى بلدة عظيمة مشهورة ، تقع وسط بلاد فارس .

وأما سبب تلقيبه بالشيخ ، فقد حكى عنه أنه قال : كنت نائما ، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، ومعه صاحباه أبو بكر وعمر ، فقلت : يا رسول الله ، بلغنى عنك أحاديث كثيرة عن ناقلى الأخبار ، فأريد أن أسمع منك خبرا أتشرف به فى الدنيا ، وأجعله ذخيرة فى الآخرة فقال لى : يا شيخ — وسمانى شيخا وخاطبنى به ، وكان الشيخ يفرح بهذا ويقول : سمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخا — من أراد السلامة فليطلبها فى سلامة غيره .

٢ — مولده ونشأته :

ولد الإمام الشيرازى بفيروزاباذ سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة من الهجرة ٣٩٣ هـ ، وأقام بها حتى بلغ من العمر سبع عشرة سنة ، وهذه الفترة من حياة الشيرازى تعتبر غامضة بالنسبة لنا ، الا أنه ومما لا شك فيه كان ذا شغف بالعلم منذ بداية تمييزه ، فتلقى العلم خلال هذه الفترة عن الإمام أبى عبد الله محمد بن عمر الشيرازى ، وهو أول من تلقى عنه الشيرازى العلم بفيروزاباذ .

وفى سنة عشر وأربعمائة خرج الشيرازى من فيروزاباذ فى سبيل طلب العلم ، ودخل شيراز ، وأقام بها مدة من الزمن تلقى العلم فيها عن كبار أئمتها ، كأبى عبد الله محمد بن عبد الله البيضاوى (م ٤٢٤ هـ) ، وابن رامين (م ٤٣٠ هـ) ، وهما من كبار أصحاب الإمام أبى القاسم الداركى ، وأعيان المذهب الشافعى .

ومن ثم خرج الى الفندجان ، والتقى فيها بالإمام الفندجانى ، وهو من أصحاب الإمام أبى حامد الاسفراييني ، وعلق عنه شيئا من العلم ، كما أخبر عن نفسه فى طبقاته .

ومنها خرج الى البصرة ، فدخلها ، وأقام بها مدة يسيرة أخذ فيها الفقه عن الإمام الخرزى .

وفى شوال سنة خمس عشرة وأربعمائة دخل الشيرازى بغداد ، وبدأ مرحلة جديدة فى حياته ، وهى مرحلة الاستقرار والنبوغ ، فاتصل بالإمام الكبير القاضى أبى الطيب الطبرى ، طاهر بن عبد الله بن عمر (م ٤٥٠هـ) إمام الشافعية فى بغداد فى زمانه وشيخهم ، فاتصل الشيرازى به ، ولازمه فى مجلسه بضع عشرة سنة ، كما أشار الى ذلك الشيرازى فى « طبقاته » ، واستفاد منه كثيرا ، ويمكن أن نعتبره من أهم الأئمة الذين اتصل بهم الشيرازى واستفاد منهم .

وبقى الشيرازى على هذه الحالة الى أن وثق به الطبرى ، واطمأن اليه ، فأنابه عنه فى مجلسه ، وأذن له فى تدريس أصحابه ، ثم سأله الجلوس فى مسجده للتدريس ، فاستجاب الشيرازى لذلك سنة ثلاثين وأربعمائة . وفى هذه المرحلة بدأت حياة الشيرازى بالاستقرار ، وأخذت شهرته بالذيوع ، وبدأ نجمه فى عالم الفقه ، والأصول ، والخلاف والجدل ، بالبزوغ ، حتى أصبح شيخ الشافعية فى القرن الخامس الهجرى بدون مدافع أو منازع ، فاحتل الشيرازى منزلة شيخه أبى الطيب الطبرى بعد وفاته سنة ٤٥٠ هـ ، وفى سنة ٤٥٧ هـ أمر نظام الملك ببناء المدرسة النظامية فى بغداد من أجل أن يدرس بها الشيرازى ، وفى عام ٤٥٩ هـ دعى الإمام الشيرازى للتدريس فى النظامية بعد أن تم

بناؤها من أجله ، فامتنع الشيرازى من الإجابة لذلك ، لأنه بلغه أن بعض آلاتها غصب ، ولكنه وبعد إلحاح طلبته عليه ، استجاب لطلبهم ، وبدأ بالتدريس فيها حتى توفاه الله تعالى سنة ٤٧٦ هـ .

فمراحل حياة الشيرازى خمسة :

الأولى : فى فيروزاباذ من سنة ٣٩٣ هـ الى سنة ٤١٠ هـ .

الثانية : فى شيراز والفندجان والبصرة من سنة ٤١٠ هـ الى سنة ٤١٥ هـ

الثالثة : فى بغداد من سنة ٤١٥هـ الى سنة ٤٣٠ هـ حيث بدأ بالتدريس مكان شيخه .

الرابعة : من سنة ٤٣٠ هـ الى سنة ٤٥٩ هـ حيث انتقل الى المدرسة النظامية .

الخامسة : من سنة ٤٥٩ هـ الى سنة ٤٧٦ هـ حيث توفاه الله تعالى .

٣ ـ عصره :

لا أريد أن أستطرد فى الكلام على عصر الإمام الشيرازى ، لأنه لا يمكن أن يهضم فى هذه السطور القليلة ، ولكنى أريد أن أشير اليه إشارة موجزة بسيطة .

فقد اتسم عصر الشيرازى بأنه عصر اضطرابات وفتن . حيث كانت السيطرة فيه من الناحية السياسية للبويهيين ، وكانت السيطرة من الناحية الدينية للشيعة .

وكذلك ضعف أمر الخليفة حتى أصبح لا عمل له الا الطعام والشراب وأما الحل والعقد فقد انتقل الى أيدى ملوك بنى بويه .

وبقى الوضع على هذا الى أن زال ملك البويهيين تماما سنة ٤٤٧ حين ملك طغرلبك بغداد ، وبدأ ملك السلاجقة الذين ظاهروا أهل السنة بالظهور .

ولكن زوال بنى بويه لا يعنى زوال الفتن إذ انتقلت الفتن التى كانت بين أهل السنة والشيعة الى فتن بين الأشاعرة والحنابلة ، تأثر منها الإمام الشيرازى أشد التأثر حتى حاول الخروج من بغداد سنة ٤٦٩ هـ انتصارا للإمام أبى نصر القشيرى لشدة إيذاء الحنابلة له ولمذهب الإمام الأشعرى ، لولا تدخل الخليفة ، وانتصاره للإمام الشيرازى ، وقضاؤه على الذين أثاروا تلك الفتن.

وعلى الرغم من كثرة الفتن وشيوعها فى ذلك العصر ، كانت العلوم تتقدم وتزدهر بصورة مطردة وواضحة جلية ، ولقد نبغ فيه مجموعة كبيرة من العلماء بين فقهاء وأصوليين ، وخلافيين ، وجدليين ، وفلاسفة ، اشتهر بهم عصرهم ، وعرف بهم زمانهم ، ولقد كان لهذه العلوم المختلفة التى اشتهرت فى ذلك العصر أكبر الأثر على شخصية الإمام الشيرازى ، فخاض غمارها ، ودأب على تحصيلها ، حتى أصبح الإمام المشار اليه بالبنان فيها .

٤ ـ دأبه فى طلب العلم وتحصيله :

لقد كانت حياة الإمام الشيرازى كحياة جميع عظماء الأمة الاسلامية فى الدأب والتحصيل ، والجد والمثابرة من أجل الوصول الى قمة المجد العلمية ، وان الدارس لحياة هذا الإمام العظيم منذ أن بدأ فى طلب العلم طفلا الى أن أصبح إمام أئمة الشافعية فى بغداد يجد أنه لم يدخر وسعا يمكنه بذله إلا وبذله ، ولم يفرط بلحظة واحدة من حياته الا فى سبيل العلم والتعلم ، ومن كان هذا دأبه ، فلا بد أن يصل الى ما يصبو اليه ويتمناه .

لقد كان أمره فى بداية طلبه عجبا،

حتى كان يقول من شاهده ، « عجبا لهذا القلب والكبد كيف ماذابا ؟! » .
ولقد قال عن نفسه : « كنت أعيد كل قياس الف مرة ، فاذا فرغت منه أخذت فى قياس آخر ، وهكذا ، وكنت أعيد كل درس الف مرة ، فاذا كان فى المسألة بيت من الشعر يستشهد به حفظت القصيدة » .
وبلغ به الجد فى طلب العلم الى أن اشتغل به عن الطعام والشراب وملاذ الدنيا ، ومما روى عنه فى هذا انه اشتهى يوما ثريدا بماء الباقلاء ، قال : فما صح لى أكله ، لاشتغالى بالدروس ، وأخذى النوبة .

٥ ــ مكانته وثناء الناس عليه :

إن من المجمع عليه ، ولا شك فيه،ان رياسة المذهب الشافعى فى القرن الخامس الهجرى قد انتهت اليه ، اقر له بذلك تلامذته ، وشيوخه ، واقرانه بل إنه أصبح شيخ الفقهاء فى ذلك العصر ، ولم تنحصر شهرته فى الفقه فقط ، بل كان له الباع الطويل فى كل العلوم .
ففى الأصول ، هو الإمام المبرز ، والناقل الثبت ، والمحقق البارع ، ذو الراى الصائب ، والاختيار الموفق ، والنظر الدقيق ، له فيه المصنفات النافعة ، والآراء المعتبرة .
وأما الجدل ، فكما قال ابن السبكى : « هو ملكه الآخذ بزمامه ، وإمامه اذا اتى كل واحد بإمامه ، وبدر سمائه الذى لا يغتاله النقصان عند تمامه » .
وأما الخلاف ، فهو الخلافى المشهور ، حافظ مسائله ، وجامع أطرافه ، حتى قيل عنه : انه كان يحفظ مسائل الخلاف كما يحفظ أحدنا الفاتحة .
وأما الفصاحة والمناظرة ، فقد كان فيهما مضرب المثل ، واقرب شاهد على ذلك قول السلارى أوحد شعراء عصره :

كفانى إذا عن الحوادث صارم
ينيلنى المأمول بالإثر والأثر
يقد ويفرى فى اللقاء كأنه
لسان ابى إسحق فى مجلس النظر

وأما ثناء الناس عليه فهو عظيم واليك بعض ما قيل عنه :
قال ابو بكر الشاشى : الشيخ ابو إسحق حجة الله تعالى على ائمة العصر .
قال أبو سعيد السمعانى : كان الشيخ أبو إسحق إمام الشافعية ، والمدرس فى بغداد والنظامية ، شيخ الدهر ، وإمام العصر ، رحل اليه الناس من الأمصار ، وقصدوه من كل الجوانب والأقطار .
وقال الإمام أبو الحسن الماوردى صاحب « الحاوى » وقد اجتمع بالشيخ وسمع كلامه فى مسألة : « ما رأيت كأبى إسحق ، لو رآه الشافعى لتجمل به » .
الى غير ما قيل فى هذا الإمام العظيم .

٦ ــ مناظراته :

لقد كان للمناظرات اهمية كبرى بين العلماء والعامة فى عصر الشيرازى ، ولقد كان الخلافى يحفظ المسألة الفقهية الخلافية بكل ما فيها من أدلة ، سواء أكانت من الكتاب ، أم السنة ، أم القياس ، أم الاجماع ، وما يرد على هذه الأدلة من اعتراضات ، وكيفية الدفع عنها ، وادلة الخصم ، وما يرد عليها من أجل ابطال الاستدلال بها ، ضمن نطاق آداب البحث والمناظرة .
ولقد كانت المناظرة علنية ، يحضرها أكبر عدد ممكن من الطلاب والعلماء ، والعامة ، ولا سيما اذا كانت بين إمامين عظيمين كالشيرازى واقرانه .

ولقــد قامت بين الشيرازى وبين كثير من اقرانه مناظرات كثيرة ، فى الفقه وغيره من العلوم ، ولقد كانت الغلبة فيها دائما للإمام الشيرازى ، لأنه كان انظر أهل زمانه كما قدمنا ، قال الإمام ابن السبكى فى وصفه : وكان كالأسد الغضنفر فى المناظرة ، لا يصطلى له بنار .

ولقد وددت لو تمكنت من الوقوف على جميع مناظراته ونشرها ، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ، فلقــد وقفت له على أربع مناظرات ، اثنتان منها بينه وبين القاضى ابى عبد الله الدامغانى فى بغداد ، واثنتان بينــه وبين إمام الحــرمين فى نيسابور ، أوردها الإمام ابن السبكى فى طبقاته اثناء ترجمته وترجمة إمام الحــرمين الجوينى ، وكانت الغلبة فيها للإمام الشيرازى .

٧ ــ زهــده وورعه :

اما الزهد والورع ، فقد بلغ بهما الشيرازى الغاية ، فضرب بهما المثال الصادق للعالم العامل ، الذى يجب ان يكون قدوة لكل من خلفه من عالم ، أو عامى ، أو متعلم ، اما الزهد ، فقد قال الإمام ابو العباس الجرجانى: كان الشيرازى لا يملك شــيئا من الدنيا ، فبلغ به الفقر ، حتى كــان لا يجد قوتا ولا ملبسا ، قال : ولقــد كنا نأتيه وهو ســاكن فى القطيفة ، فيقوم لنا نصف قومة ، ليس يعتدل قائما ، من العرى ، كى لا يظهر منه شىء . .

وقال القاضى الماهانى : « إمامان ما اتفق لهما الحج ، الدامغــــانى والشيرازى ، اما الشيرازى فما كان له استطاعة الزاد والراحلة ، ولكن لو اراد ان يحج لحملوه على الأحداق الى مكة » .

ومن ورعه انه دخل يوما مسجدا ليتوضأ ، فنسى دينارا ، ثم ذكره ، فرجع فوجده ، ففكر ، ثم قال : لعله وقع من غيرى ، فتركه .

قال ابن السبكى : هذا هو الزهد هكذا هكذا ، والا فلا لا ، وهذا هو الورع .

وإن سيرته فى زهده وورعه لكبيرة وواســعة ، ومثيرة ، لو أردنــا أن نستقصى الكــلام عنهــا وندونها ، وحسبنا منها ما ذكرنا .

٨ ــ ادبه وشعره :

وكان الإمام الشيرازى ذا لســـان فصيح ، وبيان قوى ، مع حســـن العبــارة ، وقــوة التركيب ، يحب الشعر ، فيحفظه ويعيه ، وينشــده ويرويه ، ولقد قال عن نفسه : كنت إذا مررت ببيت يستشهد به حفظت القصيدة كاملة . فمن شعره الذى تناقله الأدباء ، وتغنى به الشعراء ، لدقيق معناه ، وجمال تركيبه ، وحسن الصنعة فيه قوله :

سألت الناس عن خلٍ وفىٍّ
فقالوا ما الى هــذا ســبيل
تمسك إن ظفرت بود حــر
فإن الحــر فى الدنيــا قليل

ومنه فى تعزية بغريق :

غريق ، كأن الماء رق لفقــده
فلان له فى صورة الماء جانبه
أبى الله أن انساه دهرى لأنه
توفاه فى الماء الذى انا شاربه

الى غير ذلك من الشعر والقصائد فى المعانى المختلفة التى تنم عن قدرته على الشعر ، ومكانته فيه .

٩ ــ مؤلفــــاته :

اما مؤلفاته فقــد بلغت ذروتها ، وذاعت شهرتها ، وانتشر بين الناس

اثرها ، فأفاد منها العام والخاص ، والصغير والكبير ، حتى أصبحت ملاذ العلماء المتقنين ، ومرجع الفقهاء المحققين ، وانكب الناس عليها حفظا وشرحا ، وتعليقا واختصارا ، ونظما .

إلا أنه لم يكن — رحمه الله — من المكثرين بالنسبة لما خلفه لنا من تراث إذا ما قيس بغيره من الأئمة كالغزالي — رحمه الله — مثلا ، ولكن العبرة في هذا الميدان ليست بالكم ، وإنما هي بالكيف ، فان كتبه على قلة عددها قد احتلت المكانة العليا ، والمنزلة الرفيعة العظمى ، وشغلت الأجيال المتتابعة حتى عصرنا الحاضر بها . وحسب المرء أن يعرف أن كتاب التنبيه قد شرحه ست وسبعون إماما من كبار أئمة الدنيا ، فيما وقفت عليه في كتب التاريخ والتراجم ، وفهارس المكتبات العالمية ، وربما بلغ الشرح الواحد ثلاثين مجلدا ضخما — ليعلم قيمة كتب الإمام وأهميتها . وإليك مؤلفاته حسب الفنون .

أ — في الفقه :

١ — المهذب ، وقد وقفت له على خمسة وعشرين شرحا .
٢ — التنبيه ، وقد وقفت له على ستة وسبعين شرحا .

ب — في الأصول :

١ — التبصرة ، وهو في الأصول المقارن .
٢ — اللمع ،
٣ — شرح اللمع .

ج — في الجدل :

١ — الملخص .
٢ — المعونة .

د — في الخلاف :

١ — النكت .
٢ — تذكرة الخلاف .
٣ — المناظرات التي كانت تدور بينه وبين أقرانه .

هـ — في التراجم :
طبقات الفقهاء .

و — مؤلفات عامة :

١ — نصح أهل العلم .
٢ — الفتاوى .
٣ — رؤوس المسائل .
٤ — الحدود .

وهذا ما وقفت عليه من مؤلفات الإمام ، وربما كانت له مؤلفات أخرى لم نقف عليها .

١٠ — وفاته :

وتوفي الشيخ الإمام الشيرازي ليلة الاحد ، الحادي والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وأربعمائة ٤٧٦ هـ ، وكانت وفاته في دار أبي المظفر ابن رئيس الرؤساء .

وغسله أبو الوفاء الحنبلي .

وصلى عليه بباب الفردوس من دار الخلافة ، وشهد الصلاة عليه الخليفة المقتدي بأمر الله ، وكان كثير الإعجاب به ، وشديد الحب له ، وتقدم للصلاة عليه أبو الفتح المظفر رئيس الرؤساء ، ثم صلى عليه ثانية بجامع القصر .

ودفن بباب إبريز بمقبرة باب حرب ومن ثم اشتهرت هذه المقبرة باسمه.

رحم الله الشيرازي ، وأسكنه فسيح جنته ، وألهمنا الرشد للاقتداء به وبأمثاله من عظماء أمتنا .



للدكتور أحمد على المجدوب

بالرغم مما هو معروف عن وجود عقوبات معينة فى الشريعة الاسلامية تطبق فى جرائم الحدود والقصاص إلا ان ذلك لم يرد فى الشريعة على سبيل الحصر بحيث لا يجوز اضافة غيرها اليها ، وانما تركت الشريعة الباب مفتوحا لولى الامر لاستحداث صور من العقوبات يواجه بها الجديد من ضروب السلوك الاجرامى التى يسفر عنها التطور المستمر فى الجماعة سواء من حيث العلاقات او من حيث السلوك وهى الجرائم المسماة بالتعازير والتى تكاد تشمل فى قوانين العقوبات الوضعية أكثر من ٩٠ ٪ من اجمالى الجرائم الواردة بها .

إلا أن هناك قيدا يرد على حرية ولى الامر أو بالأحرى المشروع ، حين يجرم سلوكا ويفرض على من يأتى به أو يمتنع عنه عقابا ، وهو أن يراعى ما تقضى به مبادىء الشريعة الاسلامية فى هذا الصدد ، حتي لا تأتى العقوبة متعارضة معها ، فلا ينخدع بتلك الثرثرة التى لا تكاد تنقطع عن حقوق الانسان ، وكرامة الانسان والتى يخيل للمرء مع كثرة سماعه لها أن علماء العقاب فى الغرب قد خلصوا العقوبات من أية شائبة تتضمن الايحاء بوجود ادنى مساس بكرامة الانسان .

ولقد لجأ أولو الأمر فى الدولة الاسلامية منذ اليوم الاول لقيامها ، الى استخدام تلك الرخصة التى منحتهم اياها الشريعة فاستحدثوا من العقوبات بقدر ما استحدثوا من الجرائم حتى اضافوا الى التشريع العقابى الغالبية العظمى من الجزاءات التى لا زالت تطبق حتى اليوم ، كالحبس والغرامة والمصادرة والحرمان من اداء الشهادة وغير ذلك من العقوبات التى راعوا فى فرضها اتفاقها مع مبادىء الشريعة الاسلامية .

ولكن ما لبث ان جاء على المسلمين حين من الدهر تخلوا فيه عن شريعتهم ولجأوا الى محاكاة الغرب والنقل عنه ظنا منهم ان ذلك هو السبيل الوحيد لبلوغ ما بلغه من تقدم واحراز ما أحرزه من تحضر ، ولم يقتصر الامر فى النقل والمحاكاة على العناصر المادية فى حضارة الغرب كالصناعة مثلا وانما امتد ليشمل العناصر المعنوية أيضا وذلك نتيجة الفهم الخاطىء لدى البعض لمعنى التقدم وما يمر به من تفاعلات معقدة قبل أن تتحدد معالمه وتظهر خصائصه ويستكمل نموه . وفات دعاة التقليد وانصار المحاكاة أن التخلي عن العناصر المعنوية فى حضارة أى شعب كالمثل العليا والقيم والعادات والتقاليد والاعراف لا يعنى سوى التجرد من الخصائص الاساسية التى تميز جماعة عن جماعة وشعبا عن شعب ، ولا يؤدى إلا الى جعل المجتمع المقلد مسخا مشوها فقد ملامحه المميزة وانطمست قسماته وضاعت هويته .

وكان القانون وبالذات قانون العقوبات من بين ما شمله التقليد وامتدت اليه المحاكاة ، بل لعله كان أولها . والسبب واضح ولا غموض فيه ، وهو ادراك الغرب وهو يخوض حربه الصليبية فى جانبها الفكرى ان المثل العليا الاسلامية وكل قيم وعادات وأخلاق المجتمع الاسلامى تنعكس بشكل مباشر على السلوك بصورتيه السوية والمنحرفة ، بل وتنعكس كذلك على طبيعة رد الفعل الاجتماعى كما وكيفا أيضا ، مما يجعل التحريم والإباحة وكذلك العقوبات هى الوسيلة المثلى للقضاء على الشريعة الاسلامية وكل ما ينبثق عنها من مثل عليا وقيم ومبادىء وعادات .

وهكذا رأينا تشريعنا الجنائى الوضعى يبيح أفعالا جرمتها الشريعة الاسلامية رغم وضوح ما تنطوى عليه من خطر ، وجلاء ما تتضمنه من ضرر ، لا لشىء إلا لأن التشريعات الغربية التى نقلنا عنها تفعل ذلك ، وبما أن ضيق الأفق وقصر النظر يقولون ان ذلك هو سر تقدم الغرب فيجب أن نحذو حذوه تيمنا به وتبركا .

وكان من بين ما نقلناه عن التشريع العقابى الغربى ما يسمى بعقوبة مراقبة الشرطة التى تقتضى وضع المحكوم عليه بها مدة تتراوح بين حدين ادنى وأقصى تحت مراقبة الشرطة فى مكان يختاره المحكوم عليه أو الشرطة بحيث يلزم بالتواجد به فى فترة محددة من اليوم تقع عادة بين الغروب والشروق ويمر عليه رجال الشرطة مرتين أو ثلاثة للتأكد من وجوده .

ومن الواضح أن الهدف من هذا الاجراء أو تلك العقوبة هو الحيلولة بين المحكوم عليه وارتكاب الجرائم فى تلك الفترة من اليوم ، أى الليل ، حيث تتوفر ظروف تجعل ارتكاب الجرائم أكثر سهولة وأشد تأثيرا .

وقد تبين أنه لم يرد فى التشريعات القديمة ذكر لعقوبة المراقبة ، ولعل ذلك يرجع الى عدم اتفاق المراقبة مع الفلسفة العقابية التى كانت سائدة فى تلك الازمنة .

وكان أول تطبيق لنظام المراقبة فى فرنسا ابتداء من منتصف القرن الثامن عشر وذلك فى صورة منع الاشخاص الذين سبق الحكم عليهم

بعقوبة السجن لمدة طويلة فى الليمانات من الدخول الى المدن الرئيسية والزامهم بالبقاء فى الريف أو فى المدن الصغيرة والحيلولة دون تسللهم الى المدن الكبرى لارتكاب الجرائم فيها منتهزين فرصة الازدحام للاختفاء عن أعين رجال الشرطة ، وكان تحديد الاقامة أو المنع من الاقامة ، الذى هو فى الوقت نفسه الوسيلة لممارسة الرقابة على المجرمين يتم باحدى طريقتين :

الاولى ـ تحديد محل اقامة للمفرج عنه ، ومنعه من الانتقال منه الى غيره بدون اذن من الحكومة .

الثانية ـ منع المفرج عنه من الاقامة فى بعض المناطق التى تكون اقامته فيها من بين العوامل التى تسهل له ارتكاب الجرائم ، وهذه الطريقة تترك للمفرج عنه حرية أكبر للحركة .

وفى كلتا الحالتين تقوم الشرطة بمراقبته حيث يقيم ، واطلق على النظام الاول فى فرنسا اصطلاح مراقبة الشرطة العليا الذى استمر مطبقا حتى سنة ١٨٨٥ حين صدر قانون جديد فى ٢٧ مايو سنة ١٨٨٥ يلغى مراقبة الشرطة ويستبدلها بنظام المنع من الاقامة الذى يختلف عن سابقه فى الغائه الرقابة على المفرج عنه والاكتفاء باخضاعه لنظام يمنعه من الاقامة فى بعض الاماكن .

إلا أن مجرد المنع من الاقامة دون فرض رقابة على المفرج عنهم جعل نظام المنع من الاقامة بلا فاعلية ومن ثم صدر المرسوم بقانون فى ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٣٥ بفرض مراقبة الشرطة على المفرج عنهم وان لم تسم كما كانت فى الماضى مراقبة الشرطة العليا ، ثم لم تلبث فرنسا أن تبينت النتائج الخطيرة التى أسفر عنها تطبيق هذا النظام فأقدمت على الغائه .

وكانت أول دولة اسلامية وعربية تأخذ بهذا النظام هى مصر فى عهد محمد على الذى نص عليه فى المادة ١٥٢ من قانون « ناما » ثم توالى النص عليه فى القوانين التالية .

أما قبل ذلك فلم يكن لعقوبة المراقبة وجود فيما كان مطبقا فى البلاد العربية والاسلامية من عقوبات قاسية لا تقرها الشريعة كالوضع على الخازوق أو بتر أعضاء من الجسم غير اليدين والقدمين مما تزخر به كتب التاريخ والتى نقلها هؤلاء الحكام عن دول الغرب .

كذلك قد يختلط الامر على البعض فيظنون ان ما استحدثه معاوية بن ابى سفيان من نظام لمراقبة خصومه واعداء نظامه هو نفسه ما اعتبر فيما بعد عقوبة ، فالواقع ان الفرق واضح بين النظامين اذ بينما لا يطبق نظام مراقبة الشرطة إلا على من ارتكبوا نوعا معينا من الجرائم ، فإن نظام المراقبة الذى استحدثه معاوية كان يطبق على سبيل الوقاية والمتابعة ودون أن يكون الخاضع للمراقبة قد ارتكب اثما أو أتى جرما وهو نظام لا يزال مطبقا حتى اليوم فى الكثير من الدول ، حيث تراقب الحكومة خصومها السياسيين .

وليس صحيحا أيضا أن ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم من امره بوضع المدين المماطل تحت مراقبة دائمة حتى يؤدى دينه ، فاستبقاه هذا فى مسكنه ومنعه من الانتقال الى أى مكان آخر ، وكان الرسول يمر

عليه أو يلتقي به فيسأله عن اسيره ، يعتبر تطبيقا مبكرا لعقوبة المراقبة ، كما قد يظن البعض وانما هو فى حقيقة الامر حبس وليس اى شىء آخر ، وذلك لسببين هامين ، احدهما يرجع الي طبيعة المراقبة ، والثانى يرجع الى فلسفة العقوبة فى الشريعة الاسلامية ، مما سنبينه فيما يلى :

اولا — تختلف المراقبة عن الحبس من حيث طبيعة كل منهما ، فالمراقبة لا تقتضى السلب الكامل لحرية الشخص فى الانتقال والحركة مدة طالت أو قصرت ، وانما يكفي فيها قيد حريته فترة معينة من اليوم كأن يلزم بعدم مغادرة مسكنه ، أو اى مكان آخر يختاره أو تختاره السلطة القائمة بالمراقبة ، بين الغروب والشروق مثلا ، او قبل هذا او بعده ، كما هو الحال فى بعض القوانين الوضعية الحالية .

أما اذا شمل الالزام بالبقاء فى مكان ما اليوم بكامله أو بضعة أيام كاملة فذلك ليس سوى الحبس بعينه ، لانه يقتضى لا قيد الحرية ولكن سلبها ، بغض النظر عن المدة التى يشملها السلب ، طالما انها قد امتدت يوما كاملا ، مثال ذلك ما يقضى به القانون من الحكم بالحبس لمدة أربع وعشرين ساعة على كل من لا يمتثل لأمر المحكمة بالخروج من قاعة الجلسة لإخلاله بنظامها وتماديه فى هذا الاخلال (مادة ٢٤٣ من قانون الاجراءات الجنائية) .

والملاحظ ان المدين المماطل كان ملزما بالبقاء قيد اسر دائنه مدة متصلة لا يباح له فيها مغادرة المكان الذى اسر فيه ، أو بمعنى أصح حبس فيه .

ثانيا — ان عقوبة المراقبة لا تتفق مع فلسفة العقوبة فى الشريعة الاسلامية ، التى وان بدت متشددة مع المجرمين ، كما يزعم البعض ، إلا انها تراعى انسانيتهم بصورة فريدة ليس لها نظير فى التشريعات الوضعية فهى تلزم السلطة المسئولة عن العقاب بالمبادىء الاساسية التالية عند تطبيق العقوبات :

أ — ان العقوبة مطهرة للجانى من كل اثر للجريمة ، فلا يجوز ملاحقته بعد اقتضائها منه أو اتخاذ ما وقع منه ذريعة لتوقيع أى عقوبة أخرى لا يستلزمها الحال . لذلك لا نجد فى الشريعة أثرا لما يسمى بالعود الى الجريمة الذى تستند اليه التشريعات الوضعية فى تشديدها للعقوبات .

ب — ان الشريعة تنهى عن التشهير بالجانى والحديث عن جريمته طالما انه قد عوقب وانتهى الامر ، واعتبرت ذلك اشاعة للفاحشة فى المسلمين « **ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة** » كما اعتبرته جهرا بالسوء لا يحبه الله « **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم** » .

كذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « المعصية اذا خفيت لم تضر الا صاحبها ، ولكن اذا ظهرت فلم تنكر أضرت العامة » وهو ما يتحقق اذا شهر الناس بالجناة واذاعوا جرائمهم التى عوقبوا من أجلها .

جـ — أن الشريعة تنهى عن التعيير أى لوم الجناة وتقريعهم والتشفى فيهم بسبب ما ارتكبوا من جرائم عوقبوا من أجلها ، ولذلك ينهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله « لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم » .

كذلك نهى صلوات الله وسلامه عليه عن تعيير المجرم بجرمه بعد عقابه فقد قال للناس الذين قالوا للرجل الذى عوقب بالجلد بسبب شربه الخمر : اخزاك الله . « لا تقولوا هكذا ولا تعينوا عليه الشيطان ، ولكن قولوا رحمك الله » .

وهكذا وجه الرسول الانظار مباشرة الى ما يؤدى اليه التشهير بالجناة وتعييرهم بجرائمهم ، وهو اعانة الشيطان عليهم ، أى دفعهم الى التمادى فى الاجرام انتقاما من المجتمع وردا على ما الحقه بهم من مهانة وتحقير وما اصابهم به من ظلم رغم اقتضائه للعقوبات التى يستحقونها .

فكيف يتفق كل هذا مع ماتتضمنه عقوبة المراقبة من عيوب خطيرة دفعت المشرع فى الدول المختلفة الى الغائها واحلال انظمة أخرى محلها ، وهى عيوب تتعارض بشكل واضح مع المبادىء الاساسية فى الشريعة الاسلامية على الوجه التالى :

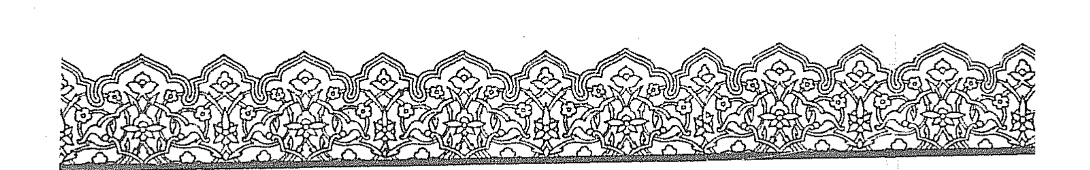
اولا ـ ان المراقبة لا تحول دون ارتكاب المراقب للجرائم لا فى وقت المراقبة ولا فى غيره ، فهو يستطيع أن يرتكب ما يشاء من جرائم نهارا ، كما انه يستطيع أن يتحايل على شروط المراقبة ليلا ويرتكب الجرائم ، وهو ما كشفت عنه العديد من التحقيقات التى اجريت فى الكثير من الجرائم .

ثانيا ـ ان المراقبة تحول بين المراقب والالتحاق ببعض الاعمال التى تمتد ساعات العمل فيها الى جزءالليل أو تبدأ قبل الشروق فضلا عن الاعمال الليلية ، مما يجعله يعود الى الجريمة .

ثالثا ـ ان المراقبة تؤدى الى التشهير بالمراقب حيث يقيم بين جيرانه ومعارفه نتيجة تردد رجال الشرطة عليه بضع مرات فى الليل للتأكد من وجوده وهذا يسىء فى الوقت نفسه الى أفراد اسرته الذين لا يلبثون أن يشعروا بأنه عبء عليهم ومصدر للتشهير والتعيير .

رابعا ـ ان المراقبة تؤدى الى انعدام الضبط فى الاسرة اذا اختار المراقب مكانا آخر غير مسكنه ليقضى فيه فترة الليل منعا للتشهير الناشىء عن تردد رجال الشرطة عليه والذى يسىء اليه والى ابنائه وبناته .

وغير ذلك الكثير من الاضرار التي لا يتسع المجال لذكرها والتى لا تقرها شريعتنا الغراء ، تلك الشريعة التى آن لنا أن نراجع عقولنا فى ضوء ما تتضمنه من مبادىء سامية كرمت الانسان وأعلت من قدره ورفعت من شأنه . واذا كانت الدول الغربية التى استوحينا قوانينها قد عدلت عن فرض عقوبة المراقبة لتفادى الاضرار التى اشرنا اليها ، ألا يجدر بنا أن نستخلص من هذا دليلا على صواب شريعتنا ؟ !



للدكتور : محمد سلام مدكور

في المقال السابق تكلمنا عن الحكم الشرعي ، وبينا أقسامه وأشرنا الى اننا تكلمنا قبل عن الحكم التخييري ووعدنا بالمتابعة والكتابة عن الحكم الاقتضائي .

الحكم الاقتضائي : هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل الاقتضاء أي الطلب ، والطلب اما أن يكون طلب فعل أو طلب ترك ، وفي كل منهما إما أن يكون الطلب على سبيل الالزام والتحتيم وهو الايجاب والتحريم او على غير سبيل الالزام والتحتيم وهو الندب والكراهة فصارت أقسام الحكم الاقتضائي أربعة : الايجاب والندب والتحريم والكراهة .

وقد يبدو في بعض الأحيان اختلاف التعبير بين الايجاب والوجوب والواجب ، وبين التحريم والحرام والمحرم ، وكذلك بين الندب والمندوب والكراهة والمكروه .

وتحقيق ذلك أن الايجاب هو نفس خطاب الشارع الآمر على وجه الالزام وهو استعمال أصولي دارج ، والوجوب هو الأثر المترتب على ذلك الخطاب وهو استعمال فقهي دارج وقد يستعمله الأصوليون أيضا ، وأما الواجب : فهو فعل المكلف الذي طلبه الشارع طلبا جازما . ومثل هذا يقال في التحريم والحرمة والمحرم .

وأما الندب والكراهة فليس لهما الا صيغتان : ندب وهو خطاب الشارع وفي نفس الوقت يطلق على أثر الخطاب ، والصيغة الثانية : مندوب وهو فعل المكلف ، ومثل هذا يقال في الكراهة والمكروه . اذ الكراهة تطلق بمعنى خطاب الشارع الناهي بغير جزم ، وبمعنى الأثر المترتب عليه ، وأما المكروه فهو الفعل الذي طلب الشارع تركه على هذا الوصف .

مسلك الحنفية في تقسيم الحكم الاقتضائي :

اذا كان جمهور الأصوليين قسموا الحكم الاقتضائي الى الأقسام الاربعة المذكورة . فان الحنفية جعلوه سبعة اقسام على الوجه الآتي :

١ ــ **فرض** : وهو ما كان الشارع طلب فعله على سبيل الجزم والتأكيد وكان دليل الالزام به قطعيا في ثبوته بأن كان نصا قرآنيا أو سنة متواترة وقطعيا في دلالته أيضا بمعنى أن دلالة النص لا تحتمل غير هذا الحكم ، أو كان مما علم عن طريق اجماع المجتهدين من الأمة الاسلامية في عصر من العصور بعد عصر الرسالة .

٢ ــ **واجب** : ما كان الشارع طلب فعله على سبيل الجزم أيضا لكن الدليل الذي يدل على طلبه دليل ظني في دلالته أو ظني في ثبوته أو ظني فيهما معا . ومن ظني الدلالة فقط قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم » .. فان الآية ، ان كانت قطعية الثبوت الا أنها بالنسبة للمقدار المطلوب مسحه من الرأس ظنية في دلالتها عليه لأن الباء يحتمل أن تكون زائدة ويكون المطلوب مسح كل الرأس وقد تكون للتبعيض فيكتفي بمسح بضعة شعيرات ، وقد تكون للالصاق ويكون المطلوب مسح موضع الكف وهو مقدر بربع الرأس وهو ما رجحه الحنفية بأدلة خاصة . وعلى هذا فيكون أصل المسح عندهم فرضا والمقدار المطلوب مسحه واجبا .

ومن ظني الثبوت والدلالة ما روى عن الرسول عليه السلام أنه قال : « لا صلاة لمن لم يقرأ الفاتحة » فهو من ناحية ثبوته خبر آحاد فيكون ظنيا ، ومن ناحية دلالته يحتمل نفي صحة الصلاة بغير قراءة الفاتحة كما يحتمل أن المقصود نفي الكمال لا الصحة كما قال الحنفية ولذا فانهم قالوا ان القراءة في الصلاة فرض ، وقراءة الفاتحة واجب .

أما غير الحنفية فالفرض والواجب عندهم لفظان مترادفان مدلولهما واحد وهو الطلب على سبيل الالزام والتحتيم دون نظر لكون الدليل قطعيا أو ظنيا .

٣ ــ **سنة مؤكدة** : وهي ما كان الطلب فيها على غير سبيل الجزم والالزام لكن واظب الرسول صلى الله عليه وسلم على فعله ولم يتركه في حياته دون عذر الا بضعة مرات . ومثلوا لذلك بصلاة ركعتي الفجر وصوم اليوم العاشر مع اليوم التاسع من المحرم .

٤ ــ **سنة غير مؤكدة** : وهي ما كان الطلب فيها على غير سبيل الجزم ولم يواظب الرسول صلى الله عليه وسلم على فعله وتركه كثيرا دون عذر . ويعبرون عنه أحيانا بالمندوب والمستحب والنفل . ومثلوا لذلك بصلاة أربع ركعات قبل صلاة العصر ، وصدقة التطوع وصوم يومي الاثنين والخميس .

فالحنفية جعلوا الحكم الاقتضائي الآمر وحده أربعة أنواع ، وأوجدوا

رتبة فوق الواجب ورتبة فوق المندوب بينما أقسامه عند غيرهم تنحصر في الواجب والمندوب .

٥ ــ **الحرام** : وهو الحكم الاقتضائي الناهي على سبيل الجزم والالزام مثل النهي عن قربان الزنا وتحريم الميتة والخنزير والربا ونكاح الأمهات والبنات والأخوات والأمر باجتناب الخمر ونحو ذلك .

٦ ــ **مكروه كراهة تحريمية** : وهو ما كان طلب الترك معه شيئا يفيد التشديد ، وبتعبير آخر ما كان الى الحرام أقرب مثل النهي عن بيع الرجل على بيع أخيه وخطبته على خطبة أخيه المأخوذ من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يبع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه » فانه قد وجد ما يدل على التشديد في باقي الفاظ الحديث ويظهر أثر فعل ذلك من ايجاد الضغينة في النفوس ويسبب الأذى والوحشة ، ومثلوا لذلك أيضا بما ورد من النهي عن البيع وقت النداء لصلاة الجمعة في قوله سبحانه « يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع » ومن البين أن غير البيع من العقود يقاس على البيع لأنه فيه تعطيل عن صلاة الجمعة ، وانما خص البيع بالذكر لأنه الكثير الغالب بين الناس في التعامل اليومي ، وانما النهي كان في هذا وأمثاله للكراهة لأنه كما يقول السرخسي في المبسوط لمعنى في غير المنهي عنه غير متصل به على ما هو بين في كتب الفقه والأصول .

لكن محمد بن الحسن الشيباني الفقيه الحنفي ينظر للحكم الاقتضائي الناهي على سبيل الجزم والالزام بنفس النظرة التي نظروا بها الى الحكم الاقتضائي الآمر على سبيل الالزام ، وقال انه يجب النظر الى دليل النهي فان كان قطعيا أفاد التحريم وان كان ظنيا أفاد الكراهة التحريمية ، وبذا يكون المكروه تحريما عنده منزلته من الحرام بمنزلة الواجب من الفرض .

٧ ــ **المكروه تنزيها** : ما لم يكن الطلب فيه على سبيل الجزم ووجدت قرينة تفيد عدم التشديد في النهي ، وقالوا : انه ما كان الى الحلال أقرب ومثلوا له بصوم يوم الجمعة ، وصوم اليوم العاشر من المحرم ــ عاشوراء ــ دون اليوم التاسع ، وبناء على ما قاله محمد بن الحسن يكون المكروه نوعا واحدا مثل ما قال سائر الفقهاء اذ قد أدخل المكروه تحريما ضمن المنهي عنه على سبيل الجزم والالزام كما ذكرنا .

ما يترتب على تقسيم الحنفية من آثار :

الفرض لازم عملا واعتقادا ومنكره كافر ، ولو كان متأولا اذ لا مجال فيه للتأويل وقد ثبت بدليل قطعي في ثبوته وقطعي في دلالته ، كما أن تاركه عمدا جاحدا به يعتبر كافرا أيضا لأنه لا يعتقد به أما ان تركه اهمالا مع اعتقاده بفرضيته فانه يأثم بهذا الترك ويفسق فقط أما الواجب فانه لازم عملا فقط فلا يكفر منكره لأن اعتقاده غير لازم إذ طريق ثبوته دليل ظني وتاركه يأثم ويفسق الا اذا كان متأولا نتيجة اجتهاد .

ويترتب ايضا على تفرقتهم بين الفرض والواجب ما قالوه من أن ترك الفرض يبطل العمل كما إذا ترك المصلى الركوع او السجود فى صلاته فان صلاته تبطل لفوات ركن فيه ولا تبرأ ذمته الا باعادتها فى الوقت على الوجه الصحيح أو قضائها عند فوات الوقت .

وأما تارك الواجب فان عمله يكون صحيحا الا انه ناقص ومع ذلك فان تاركه مطالب بالاعادة ، فان لم يعد فان ذمته تبرأ ويسقط عنه التكليف مع الاثم واستحقاقه العقاب على ما ترك .

وبالنسبة للسنة المؤكدة وغير المؤكدة فانهم قالوا ان المرء يثاب على فعل المؤكدة ، ويعاتب على تركها دون أن يعاقب ، أما غير المؤكدة فان فاعلها يثاب ولا شيء على تاركها فلاعتاب ولا عقاب .

وبالنسبة للمكروه تحريما فقالوا : ان فاعله يعاقب ومنكره لا يعد كافرا ، وأما المكروه تنزيها فان فاعله لا يستحق عتابا ولا ذما ولا أثم عليه فيما فعل وان كان فعل غير الأولى .

وقد تناول الأصوليون الأقسام الرئيسية للحكم الاقتضائي بتفصيل وخاصة الواجب وقد عرضنا ذلك فى كتابنا مباحث الحكم عند الأصوليين ، واننا سنوجزه هنا بالقدر الذى يظهر الموضوع ويناسب هذا المقام .

١ ــ الواجب وأقسامه :

عرفنا أن الواجب هو ما طلب الشارع فعله على سبيل الالزام ، وأساليبه متنوعة فيكون بصيغة من صيغ الأمر ــ وقد سبق ذكرها فى مقال سابق ــ كما يستفاد من أساليب أخرى مثل : « كتب عليكم الصيام .. » ومثل : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات » ومثل : « ولله على الناس حج البيت » وينقسم الواجب باعتبارات مختلفة الى أقسام متعددة . فمن ناحية ارتباطه بالزمن يقسمونه الى :

واجب مطلق : وهو ما لم يقيد الشارع أداءه بوقت معين كالحج وقضاء رمضان عند من يرى جواز التراخي فيهما ومثل كفارة الايمان فان الحانث ليس مقيدا فى أداء الكفارة بوقت معين .

واجب مؤقت : وهو الذى قيد الشارع اداءه بوقت محدد كالصلاة المفروضة فانها مؤقتة بوقت موسع يسعه ويسع غيره من صلوات أخرى من جنسها ، وقد اتفق الأصوليون على أن وقت كل صلاة هو سبب وجوبها فلا تجب الصلاة قبل دخول وقتها ولا يصح التعجيل بها الا بدليل خاص ، ويجب تعيينها بالنية ما دام الوقت يتسع لشيء آخر من جنس العبادة .

وكالصوم فانه مؤقت بوقت مضيق بمعنى أن وقته لا يتسع لفعل واجب آخر من جنسه فصوم رمضان لا يتسع وقته لصوم آخر ، ولذا فانه تجزيء فيه مطلق النية بل قال الحنفية انه يتأدى ولو بنية شيء آخر كالنفل أو القضاء لأن الفرض متعين فيه .

وكالحج فانه بالنظر الى تحديد وقت معين له فى السنة لا يتسع الا لحج واحد كان من قبيل المؤقت بوقت مضيق ، وبالنظر الى أن اعمال الحج لا تستغرق أشهر الحج كلها أشبه المؤقت بوقت موسع ، ولذا فانهم قالوا : انه ذو الشبهين : ومع هذا فقد جعل البعض الحج يشبه الواجب المطلق من ناحية وجوبه على التراخي دون الزام بسنة معينة ويشبه الموقت من ناحية تخصيص وقت معين من السنة لأدائه ، وعلى الأول فانه لشبهه بالموسع كانت نية النفل فيه لا تبرىء الذمة عن الفرض ، ولشبهه بالمضيق جاز بمطلق النية .

وينقسم الواجب من ناحية الملزمين به الى :

واجب عينى : وهو ما يطلب فعله شرعا من كل فرد من المكلفين بعينه ولا يكتفى فيه بقيام الآخرين فالخطاب فيه يتجه الى الفاعل نفسه بحيث اذا عجز لم يطلب الفعل من غيره اذ التكليف يرجع الى نفس المكلف ، ومن هذا القبيل أركان الاسلام الخمسة ، وبر الوالدين وصلة الرحم .

واجب كفائى : وهو ما يطلب فعله شرعا من مجموع المكلفين لا من كل فرد على حدة كفريضة الجهاد فى سبيل الله ما لم يتطلب الموقف دفاع كل قادر ، ومن ذلك رد السلام وما الى ذلك من كل واجب يتحقق الفرض منه بقيام بعض المكلفين به اذ القصد منه وقوع الفعل دون نظر لشخص الفاعل .

هذا وقد تكون الجزئية الواحدة فرض عين فى حالة وفرض كفاية فى حالة أخرى ، فاذا تعين لاظهار الحق فرد بذاته كان أداء الواجب عينيا وان كان فى أصله واجبا كفائيا فاذا كان فى البلدة عدة أطباء ووجد مريض ثم ارتحل الأطباء الا واحدا قبل علاج المريض فالتكليف بعلاجه كان كفائيا عند وجود مجموعهم فأصبح عينيا على الموجود منهم .

وينقسم الواجب من ناحية تقديره من الشارع الى واجب محدد ، وواجب غير محدد .

فالواجب المحدد : ما عين له الشارع مقدارا معلوما لا تبرأ الذمة الا بأدائه بمقداره الذى حدده الشارع كالصلوات والزكاة والصوم .

والواجب غير المحدد : ما لم يعين له الشارع مقدارا معينا كالعدل والاحسان والأمر بالمعروف ويلاحظ أن غير المحدد لا يثبت وينافى الذمة ولا يطالب به المكلف قضاء بعكس الأول .

وينقسم الواجب من حيث تعين المطلوب والتخيير فيه الى واجب معين وواجب مخير :

فالمعين : ما يكون المطلوب فيه مبينا بعينه من غير تخيير بينه وبين غيره مثل أركان الاسلام الخمسة وكل واجب لا تبرأ الذمة الا بأدائه حسب تعيين الشارع .

والمخير : ما كان الواجب فيه مترددا بين شيئين أو أكثر كالتخيير بين المن والفداء في قوله تعالى : « فاما منا بعد واما فداء » وتخيير الدائن للمعسر بين الابراء والنظرة الى الميسرة ، والتخيير في الكفارات بين العتق والصوم والاطعام .

٢ — **المندوب** : هو المطلوب فعله شرعا من غير ذم على تركه مطلقا ، وكما يرى الجمهور فان صيغة الأمر لا تدل على الندب الا بالقرينة كما في قوله تعالى : « يا أيهاالذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى **فاكتبوه** » والقرينة الصارفةعن الجواب قوله تعالى « فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته » وقد تكون القرينة الصارفة مأخوذة من مبادىء الشريعة وقواعدها الكلية كما في الأمر بالمكاتبة : « فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا » .

فقد دلت القواعد الشرعية العامة الخاصة بالملكية على أن المالك حر في ملكه لا سلطان لأحد عليه الا السلطان العام .
مثل قوله عليه السلام في رمضان « سننت لكم قيامه » وقوله « من توضأ يوم الجمعة فبهاونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل » .

ويقسم الأصوليون المندوب ثلاثة أقسام :

١ — مندوب على وجه التأكيد : وهو ما يثاب فاعله عليه ولا يستحق تاركه عقابا وان استحق اللوم والعتاب ومن هذا السنن المكملة للواجبات كصلاة الجماعة والأذان .. وهو ما سماه الحنفية بالسنة المؤكدة .
٢ — مندوب لا على وجه التأكيد : وهو ما يثاب فاعله على فعله ولا يستحق على تركه لا عقابا ولا عتابا كصلاة الضحى وصوم يوم الاثنين ويوم الجمعة من كل أسبوع ، وهذا ما سماه الحنفية سنة غير مؤكدة كما يسمى مستحبا ويسمى نفلا .
٣ — سنن زوائد : وهو ما فعله الرسول بحكم العادة مما لا يتعلق بالأحكام العملية كما ينقل عن أحواله صلى الله عليه وسلم في أكله ونومه . وهذا لا عقاب ولا عتاب على تركه ، ولا ثواب على فعله الا اذا كان فاعله ينوى متابعة الرسول والتأسي به .
ويرى الشافعية أن المندوب لا يلزم بالشروع فيه ومن شرع فيه وأبطله لا يجب عليه قضاؤه لما روي عن الرسول عليه السلام « المتطوع أمير نفسه » أما الحنفية فيرون أن النفل لازم بالشروع فيه ويجب على المكلف القضاء بافساده لأنه بالشروع فيه صار حقا لله فوجبت صيانته عن البطلان لقوله تعالى : « ولا تبطلوا أعمالكم » .
٣ — **الحرام** : ما طلب الشارع من المكلف الكف عنه على سبيل الجزم وتختلف الأساليب والعبارات التى تدل عليه فمنها صيغ النهى ، وقد سبق

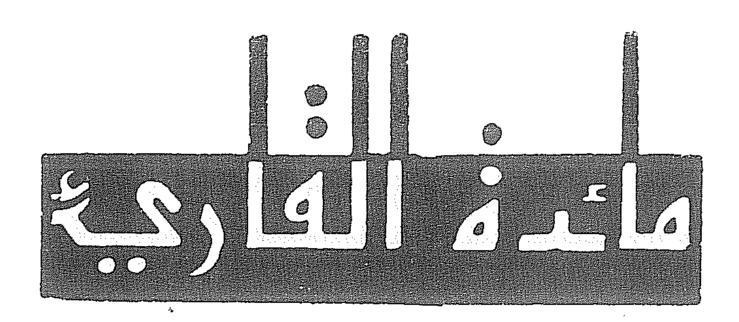
بيانها في مقال سابق ـ مثل « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » وقوله « اجتنبوا قول الزور » وقوله « حرمت عليكم الميتة .. » وقوله « لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ».

وتحريم الشارع لأى فعل لا يكون الا بناء على مفسدة غالبة تترتب على فعله ، وهذه المفسده اما أن تكون راجعة الى ذات المحرم فيسمى محرما بأصله وهذا غير مشروع أصلا ومنه حرمة اكل الميتة ولعب الميسر والزنا وأكل أموال الناس بالباطل ، واما أن تكون راجعة لأمر يتصل به وهذا النوع لم يحرمه الشارع بأصله لكنه أتصل به من المفاسد ما جعله حراما وان كان فى أصله مشروعا ومن هذا الصلاة فى الثوب المغصوب والأرض المغصوبة فان الصلاة فى ذاتها مشروعة ولكنها حرمت هنا لما اتصفت به وكذلك البيع وقت النداء لصلاة الجمعة .. على خلاف بين الفقهاء فى اعتبار ذلك مكروها او حراما .

وعلى كل فالنوع الأول لا يظهر فيه الأثر مطلقا أما الحرام لغيره فيصح أن يكون سببا ، لكن لما اتصل به من فساد كان لا ينبغى فعله فاذا وقع كان صحيحا فى ذاته مع اثمفاعله. لكن بعض الفقهاء كالحنابلة ورواية عن الشافعى غلبوا جانب البطلان .

٤ ـ المكروه : هو ماطلب الشارع الكف عنه من غير جزم أو هو مايمدح تاركه ولا يذم فاعله وقد بينا قبل ان الحنفية يجعلون المكروه قسمين : مكروه كراهة تحريمية ، ومكروه كراهة تنزيهية وأساليب الكراهة من أساليب النهى والقرينة هى التى تعين فيكون بصيغة النهى المقترن بما يدل على الكراهة مثل قوله تعالى : « لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم » والقرينة على صرف النهى عن التحريم الى الكراهة هى قوله جل شأنه : « وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم » وقوله : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » ومن أساليب الكراهة لفظ اكره وأبغض ومن ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « اكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ، » وقوله : « أبغض الحلال الى الله الطلاق » .

وحكم المكروه على ما يراه الجمهور أن فاعله لا يأثم وان كان ملوما ، وتاركه يمدح ويثاب اذا نوى بتركه التقرب الى الله ، لكن الحنفية بناء على مسلكهم فى تقسيم المكروه يرون أن المكروه تحريما يذم فاعله ويستحق العقاب كالحرام الا أنه لا يكفر جاحده نظرا لعدم قطعية الدليل كما يرى محمد بن الحسن ، والمكروه كراهة تنزيهية ان كان فاعله لا يعاقب فانه ملوم معاقب .
وبذا نكون قد عرضنا على القارىء الكريم صورة موجزة للحكم الاقتضائى بنوعية الآمر والناهى .



التلبية :

قال ابن عباس : كانت تلبية النبى صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك .. لا شريك لك .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يلبى إلا لبى من عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ها هنا وها هنا » أخرجه ابن ماجه والبيهقى والترمذى والحاكم وصححه .

بئر اريس :

تقع في الجنوب الغربى لمسجد قباء . قال أنس بن مالك كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده ، وفى يد أبى بكر من بعده ، وفى يد عمر بعد أبى بكر ، فلما كان عثمان جلس على بئر أريس فأخرج الخاتم فجعل يحركه فسقط فى البئر ، فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ننزح البئر فلم نجده .

أخرجه البخارى

الحجر الاسود :

هو أشرف أجزاء البيت الحرام ،ولهذا سن تقبيله واستلامه ووضع الخد والجبهة عليه ، وجاءت فىفضله أحاديث منها

قول الرسول صلىالله عليه وسلم« يأتى هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق بهيشهد لمن استلمه بحق » رواه الترمذى وحسنه .

وقوله صلوات الله وسلامه عليه« نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن فسودته خطايابنى آدم » رواه الترمذى وصححه .

فضل المساجد الثلاثة :

عن أبى الدرداء رضى الله عنــهقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة فى المســجد الحرام بمائة ألف صلاة ، والصـــلاة فى مسجدى بألف صلاة ، والصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة .

رواه الطبرانى فى الكبير
وابن خزيمة فى صحيحه

مقام ابراهيم :

هذا الحجر الذى كان الخــــليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام يقف عليه عند بنائه الكعبة ، وقيل أن فيه أثرا من قدمى الخليل حيث ساخت قدماه فيه .

والله سبحانه أمرنا أن نتخذ مصلى من مقام ابراهيم فنصلى خلف المقام عند الاستطاعة ركعتين بعد الطواف بالبيت . قال تعالى : « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » .

اسطوانة المصحف :

هى علم على مصلى النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد النبوى الشريف وكان أمامها الجذع الذى كان يخطب اليه الرسول الكريم . ويروى أن ســـلمة بن الأكوع كان يتحرى الصلاة عند الاســـطوانة التى عند المصـــحف ، فقيل له نراك تتحرى الصلاة عند هذه الاسطوانة . قال : رايت النبى صلى الله عليه وســـلم يتحرى الصلاة عندها .

ايام فى الحج :

فى الحج أيام لها أسماء تناسب الأعمال التى تتم فيها .

يوم التروية :

وهو اليوم الثامن من ذى الحجة .

يوم عرفة :

وهو اليوم التاسع من ذى الحجة وفيه يقف الحجاج بعرفة .

يوم النحر :

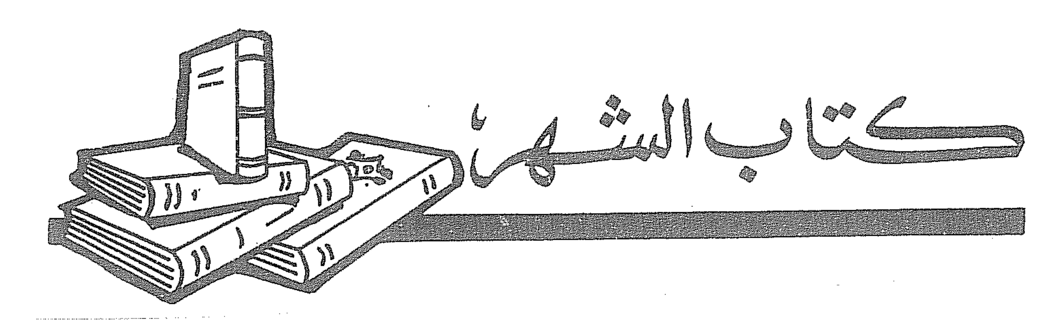
وهو اليوم العاشر من ذى الحجة وفيه يكون الحجاج فى منى وينحرون الأضاحى .

يوم النفر الأول :

وهو اليوم الثـــانى عشر من ذى الحجة لأن بعض الحجاج ينصرف من منى فى هذا اليوم .

يوم النفر الثانى :

وهو اليوم الثالث عشر من ذى الحجة لأن باقى الحجاج ينصرفون من منى فى هذا اليوم .



العقيدة والقوة معاً

كتاب جديد للأستاذ محمد عبد الله السمان

(منشورات دار الجيل - بيروت)

تقديم الاستاذ أنور الجندى

من حق الاستاذ السمان أن يعرض كتابه الجديد الضخم الذى بلغ ٣٨٢ صفحة من القطع الكبير والذى يمثل مرحلة جديدة من حياة هذا الكاتب الاسلامى الصادق الايمان برسالة القلم ، من حقه هذا فى هذا المكان وقد قدم عشرات الكتاب من هذا المكان ، والاستاذ السمان كمادته رجل جرىء ناصح ، يعيش للاسلام بكل ذرة من دمه ، ويحمل اعباء رسالة يجعل كل لحظة من حياته ملكا لها وأنت حين تطالعه فى هذا الكتاب تجده فى اهاب الجندى اليقظ الذى يحمل بندقيته فلا تغيب عنه ناحية من النواحى ، لا تغيب عنه كلمة تقال ، أو مقال ينشر فى صحيفة أو كتاب يصدر أو ندوة تعقد فهو مشارك فى كل هذا ، يقدم كتب أعلام الفكر الاسلامى ويعرضها عرضا جيدا فى مجلة الوعى الزاهرة ، فلا يغفل عن وجهته الصحيحة ، ويحاسب كاتبه فى أصالة ودقة ، ومع قدر كبير من الانصاف ، تراه واضحا فى كتابه هذا وهو يناقش زكى نجيب محمود وفؤاد زكريا وحسين فوزى وتوفيق الحكيم ولويس عوض ونجيب محفوظ ، فلا يغفل عن عبارات التقدير قبل أن يدخل فى مداخل النقد والخلاف .

ومن خلال صفحات ذلك الكتاب تجد صورة كاملة لما عرضه النقاد والكتاب في الصحف والكتب والندوات خلال السنوات الاخيرة فمن ندوة القذافي الى مجمع البحوث ، الى معركة العاشر من رمضان الى حلقات التلفزيون الى أفلام السينما ومسرحيات الفن دون أن تفوته شاردةولا واردة ، ولا كلمة واحدة نشرتها صحيفة أو تعليق معلق .

هذا هو أول ما يبهرك وأنت تطالع كتاب (العقيدة والقوة معا) الذى يقوم على ركيزة واضحة اساسية هي ان الدعوة الاسلامية استطاعت بالعقيدة والقوة معا أن تفتح مشارق الارض ومغاربها ، وما تخلى النصر عنها الا لسبب اهتزاز في العقيدة واضطراب في الايمان ، فالعقيدة هي العامل الاساسي في كل نصر احرزته الدعوة الاسلامية وفي كل هزيمة ألمت بها فكلما كانت العقيدة قوية نابضة بالايمان القوي والثقة المطلقة في الله عز وجل ، كلما كان النصر المؤزر مؤكدا والا كانت الهزيمة . وانه لم يحدث في تاريخ الدعوة الاسلامية في نضالها مرة واحدة ، ان اعتمدت على القوة المادية وحدها وكتب لها النصر ، بل كانت هذه العقيدة هي السند الاول .

* * * * * * * * * * * * * * * *

من هذا المنطلق يندفع الاستاذ السمان الى تصور كامل للمجتمع الاسلامي القائم ولقضاياه وتحدياته على نحو غاية في الاستفاضة والاستقصاء كاشفا عن تلك السلبيات الكثيرة التي تعوق الحركة الى النصر الكامل ثم هو لا يلبث أن يتقدم نحو رحاب العقيدة فيكشف عن صورها القوية التي بناها الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك الجيل من الرواد ثم يمضي مصورا رسالة العلماء والقادة وأهل الفكر وكيف قاموا بالامانة وحملوا الرسالة وواجهوا الامراء بالنصح وقول الكلمة لا يخافون في الله لومة لائم .

* * * * * * * * * * * * * * * *

ويمضي حتى يصل الى العز بن عبد السلام بعد أن عرض لبطولة الامام احمد بن حنبل كاشفا عن هذه الرسالة التي حملها العلماء والمفكرون في كشف الزيف وتعرية المنافقين والمبطلين وتصحيح المفاهيم وتحرير العقول من مختلف الشبهات التي يضعها خصوم الاسلام أمامه في محاولة لتعطيل مسيرته ويقدم في ذلك النماذج من خلال تاريخ الاسلام كله .

ثم يعرض لرحاب القوة في العقيدة الاسلامية فيصور عدل العرب في حكمهم الاسلامي مما شهد به المؤرخون المنصفون ويستعرض معنى القوة في الاسلام ممثلة في قول الرسول الكريم :

* * * * * * * * * * * * * * * *

لا تتمنوا لقاء العدو ، وكيف يدعو الاسلام المسلمين الى تأمين الدعـوة ضد اعدائها المتربصين فاذا جنحوا للسلم قبل منهم وكيف ان الجهاد في الاسلام انما هو نشر الدعوة الاسلامية لاعلاء كلمة الله ويقرر ان العقيدة هي اساس الجهاد وحتميتها فالعقيدة تفرض على المسلم أن تهون الحياة كلها أمام الجهاد فى سبيل الله لنصرة العقيدة فهو يتمنى احد خيرين :
إما الشهادة وإما النصر .

ۭۭۭۭۭۭۭۭۭۭۭۭۭۭۭ

ثم يصل المؤلف من ذلك كله الى حاضر المسلمين والى مرحلـة الضعـف والتخلف التي ما كانت لتقع فى تاريخ المسلمين الحديث لولا انفصالهم عن مفهوم الاسلام الجامع للعقيدة والقوة معا ، ثم يصل المؤلف الى اخصب فصول كتابه وهي التحديات المختلفة التي تتمثل فى كتابات اعداء الاسلام فيعرض الـى مانشرتـه الصحف وتحدث به اعداء الاسلام بعد هزيمة ١٩٤٨ ثم بعد نكسة ١٩٦٧م وكيف ضاعت فلسطين فى الاولى وضاعت القدس فى الاخرى .

ۭۭۭۭۭۭۭۭۭۭۭۭۭۭۭ

ويركز الاستاذ السمان على قضية فلسطين ويرى أنها كبرى قضايا العصـر ويعدد الاخطار التي اتصلت بها والاحداث التي تمت لتشريد أهلها وموقف الدول الكبرى والامم المتحدة ، ويعرض لما أورده محمود شيت خطاب وعبد الله التل من حقائق عن هذا الخطر وهما من أصدق من تصدى للتحدى الصهيوني وكشف عن خطره ورسم الخطة المثلى لمقاومته ، ويصل من ذلك الى مأساة مسلمي كشمير ، ثم يتطرق الى موقف الهند والهندوكية من مؤامرة لقسم فلسطين ، ويصل من ذلك الى الحبشة والى موقعها من مسلمى أرتيريا ، ويتعرض لباكستان وموقفها بعـد الانفصال ويربط ذلك كله برباط وثيق مؤكدا أن الضربات الموجهة للعالم الاسلامى كلها واحدة وان اختلفت مواقعها ، ثم يشير الى المؤامـرة التي ذهب ضحيتهـا أحمدوبيللو زعيم اقليم الشمال فى نيجيريا الذى يضم ثلاثين مليونا من المسلمين والحاج أبو بكر تفاوباليوا ثم يترك نيجيريا الى تشاد والسنغال وكلا الدولتين يمثل شعبها المسلم اكثر من ٩٠ فى المائة ويصل الى زنجبار ، ومذبحة ١٢ يناير ١٩٦٤ حيث ذهب خمسة عشر الفا من العرب المسلمين ، ثم يستطرد الى ذكر الفلبين ومأساة مسلمى الفيلبين .

ۭۭۭۭۭۭۭۭۭۭۭۭۭۭۭ

ثم ينتهى من هذا الاستعراض الى ما قاله اللورد اللنبى فى نهاية الحـرب العالمية الاولى حين قال : لقد انتهت الحروب الصليبية ويؤكد الاستاذ السمان أن الحروب الصليبية لم تتوقف فضلا عن ان تنتهي ، وانها مستمرة ذات اهـداف تلتقى عند ابادة الاسلام وشعوبه وتراثه وحضارته .

ومن خلال هذا الاستعراض القوى الواسع الابعاد تجد تلك الارضيـة

الخصبة التي يمتلكها هذا الكاتب المسلم المقتدر العارف بقضايا الاسلام المعاصر وخلفياتها وآثارها البعيدة المدى .

* * * * * * * * * * * * * * *

ثم يخلص من واقع المسلمين اليوم الى التحديات الفكرية والعقائدية التي يواجهها الاسلام من خلال تلك السموم التي يدسها كتاب التغريب هنا وهناك وفي كل مرحلة وفي كل مناسبة من حيث الدعوة الى فصل الدين عن الدولة ومن حيث دعوة القوميات الضيقة والاقليميات بالاضافة الى اهواء المستشرقين واخطار المسرح والقصة ثم يكشف عن ذلك التداخل المعيب في تجاهل الطابع الاسلامي واحلال كلمة العربي مكانه تجاهلا وانتقاصا للاسلام .

* * * * * * * * * * * * * * * *

ثم يتحدث عن ندوة العقيد القذافي التي نشرتها الاهرام ابريل ١٩٧٢ ويراجع مادتها وكل ما يتصل بالآراء التي عرضت فيها،وينتقل منها الى الهجوم على التراث الذي بدأه زكي نجيب محمود وغالي شكري ، ثم ينتقل منها الى قضية المرأة وحريتها وعملها ومن ذلك الرد على امينة السعيد ، ثم يعرض الكاتب للمسرحيات التي تحرف تاريخ الاسلام ورجاله ثم يصل الى الكتب التي تساوق آراء المستشرقين امثال كتاب عبد المنعم ماجد (التاريخ السياسي للدولة العربية) ثم يتحدث الباحث عن الصحافة الاسلامية وضرورة صدور جريدة يومية اسلامية ثم يشيد بدور مجلة الوعي الاسلامي ومجلة لواء الاسلام ، وفي طريق هذا البحث المتصل لا يترك المؤلف شاردة ولا واردة الا احصاها ولا يترك تصريحا في صحيفة أو كلمة لكاتب ثم يصل الى الطرق الصوفية ، ويتحدث عن المعسكرات الدينية واحاديثها واسئلة شبابها .

ولا يدع الاستاذ السمان كتابات الشيوعيين أو الوجوديين أو التغريبيين دون أن يفندها ويكشف عن زيفها كما فعل مع كتابات الدكتور/فؤاد زكريا ومن أفزعهم انتصار العاشر من رمضان ، ثم ينتهي الى غاية واضحة لا بد من ايجاد رأي عالمي اسلامي واع يقظ مثقف واسع الافق يستغني الى الابد عن التشبث بالفرعيات والشكليات التي يمكن الاستغناء عنها ويجب أن تقوم أكثر من مؤسسة صحفية تقدم صحفا يومية واسبوعية اسلامية على مستوى الصحافة العالمية ، واكثر من مؤسسة للنشر تجعل من الكتاب الاسلامي كتابا عالميا على مستوى الكتب العالمية هذا مع ايقاف الخلافات المذهبية بين المسلمين تمهيدا لاقامة وحدة معنوية للعالم الاسلامي .





اعداد الاستاذ عبد الستار محمد فيض

من الخالق الله أم الصدفة ؟

للأستاذ / رشدى مدبولى حسن

محاولة جادة ومخلصة لمتابعة سؤال ردده الكثير عبر الزمن وحار فيه الفلاسفة والمفكرون وتعددت الاجابات وتفاوتت ، ولذا نرى أن فكرة الخالق قد جانبها الصواب عند الكثير من هؤلاء وعند الذين تزعموا القيادات الفكرية في اممهم وبين شعوبهم .

أن كل ما حولنا في الحقيقة يدعونا أن نبحث عن الله وسوف نراه في كل ما حولنا ونحس بقدرته فيما يحيط بنا .

وفي هذا الكتاب يتحدث المؤلف بهذا المنطق الذى يسمونه برهان الغاية واتخذه سبيلا للوصول الى الحقيقة ومعرفة الخالق .

وقد يزعم الملحدون في بقاع كثيرة أن قضاياهم علمية تقدمية وسوف نرى من كلام المؤلف أن مزاعمهم أوهام جريئة ،وأن حقائق الاحياء كما سردها بذكاء ويسر تشهد ضدهم ولا تشهد لهم ويعتبر الكتاب بحثا جيدا في هذا الميدان الذى يرقبه الكثيرون ليكون مددا من امداد الخير وشعاعا من أشعة اليقين وهو يقع في (٢٣٠) صفحة ومن نشر مكتبة الزهراء ٨ شارع عبد العزيز ــ عابدين ــ القاهرة .

حكم الاسلام في القضاء الشعبي

للدكتور / فؤاد عبد المنعم

بحث يتناول نظام القضاء الشعبي في الأنظمة القديمة ونظام المحلفين وانتخاب القضاة . .

كما يتناول وجهة نظر الاسلام في القضاء الشعبي .

وقد قام المؤلف بدراسة هذا الموضوع دراسة مقارنة وقسم بحثه الى دراسة تمهيدية وبابين رئيسيين .

الباب الأول : في حكم الاسلام في القضاء الشعبي .

الباب الثاني : في المقارنة بالانظمة الغربية والماركسية .

وخاتمة تعرض فيها الصور من القضاء الشعبي في مصر مع دراسة لمستقبل هذا النظام . والكتاب يحتوي على (١٤٠) صفحة ومن طبع شركة الاسكندرية للطباعة والنشر (١) شارع فنتورا ــ الاسكندرية .

نظرات في الحديث

« مرحلة تدوين المسند »
مسند الطيالسي ومسند الحميدي

للدكتور/محمد عبد الرءوف

ذكرنا فيما تقدم أن مرحلة تدوين المسانيد بدأت قبل نهاية القرن الهجرى الثانى ، وعرّفنا « المسند » بأنه : مجموعة مكتوبة من الأحاديث مرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم عن طريق صحابىّ واحد ، وذلك مثل « مسند عمر بن الخطاب » و « مسند عائشة الصديقة » و « مسند جابر بن عبد الله » رضى الله تعالى عنهم . كما يطلق اسم « المسند » أيضا على الكتاب الذى يحتوى على عدد من هذه المسانيد ، وهو الغالب ، وفى هذه الحالة قد يكون العدد من المسانيد المدونة فى كتاب واحد قاصرا على نوع معين من الصحابة كمسانيد العشرة أو مسانيد المدنيين أو مسانيد المكيين أو مسانيد البصريين أو مسانيد المقلين ، وقد يكون المسند عاما شاملا فيه أسانيد المقلين والمكثرين ، وذوى السابقة فى الاسلام والمتأخرين ، والأنصار والمهاجرين والرجال والنساء من أصحاب سيد المرسلين ، صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم أجمعين . ويطلق صاحبُ المسند الجامع على المسانيد المدونة به عبارة « مسند فلان » أو « أحاديث فلان » ، كعنوانٍ على كل بابٍ مدوّن بالمسند ، كأن يقول : « مسند عمر » و « مسند عائشة » و «مسند أبى هريرة» ، أو يسميها : « أحاديث عمر » و « أحاديث عائشة » و « أحاديث أبى هريرة » وهكذا ، والمؤدّى واحد ، والمقصود مجموعة الأحاديث التى تيسرت للمؤلف مما أسنده ذلك الصحابىّ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولقد ذكرنا أن عددا كبيرا من المسانيد تمّ تدوينها خـلال القرنين الثالث والرابع ، وأنه يرجع الى هذه الحركة الفضل في المحافظة على العدد الأكبر من الأحاديث بتدوينها قبل أن تضيع بموت حفظتها ورواتها ، ولكن بالأسف لم يقدّر إلا للنفر اليسير من هذه المسانيد الشهرة وكثرة التـداول بين الأجيال التاليـة ، ولعل ذلك يرجع الى ما لقيته الصحاح والسنن التى ظهرت بعد بدء حركة التدوين للمسانيد من شعبية كاسحة صرفت النظر والاهتمام عن المسانيد عـدا مسند الإمام أحمد رضى الله عنه ، فلم يكثر نسخها وتداولها ، ولم يعْن بدراسـتها وتمحيصها ولم يبادر فى العصر الحديث بطبعها ونشرها كما كان الشأن فى حال الصحاح والسنن ، حتى أن ما عثر عليـه من مخطوطات هذه المسانيـد فى السنوات الأخيرة لم يكن غالبا فى حال جيدة كاملة ، واننا لنرجو الله تعالى أن يوفق طلاب العلم المعنيين بدراسة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العثور على هذه الكنوز الثمينة ونشرها وتحقيقها وتيسيرها للراغبين في الاطلاع عليها ودراستها والاسـتفادة منها ، وذلك لما لهذه المسانيد من أهمية علميـة وتاريخية ، وأصحاب هذه المسانيد كانوا بلا شك من خيار المحدثين ودعائمه ، وأخذ عنهم وروى لهم أصحاب الصـحاح والسنن ، كمـا أن المسانيد المعللة الموسعة ، كمسند يعقوب بن شيبة ومسند الحسين بن على المارجي المشـار إليهما من قبل ، كانت بلا شك موسوعات علمية قيمة ، وكنوزا أثرية ثمينـة ، وقول بعض المؤلفين إن كتب المسانيد دون الكتب الستة في الاحتجاج بها حيث لم يتحرّ أصحابها الصحيح (١) لا ينقص مكانتها الشرعيـة ولا ينال من قيمتها العلمية ، وفضلا عن ذلك فاننا لنرى الكثير من محتويات هذه المسانيد يتفق مع ما ورد بالكتب الستة ، كما أن الأحاديث ضعيفة الاسناد مما يحتج به فى فضائل الأعمال ، وربّ حديث ضعيف صحيح فى حقيقة الأمر .

وسوف نستعرض فى هذا المقال بعونه تعالى ، استعراضا وصفيا تحليليا مبسطا اثنين مبكرين من هذه المسانيد تمّ بحمد الله نشرهما ، وذلك للتعـريف بهما والتنويه بفضلهما ، أحدهما مسند الحافظ الكبير ابى داود سليمان بن داود الطيالسي والآخر مسند الحافظ المتقن أبى بكر عبد الله بن الزبير الحميدي ، أولهما فارسيّ بصري والآخر قرشيّ مكى .

ولد الحافظ الطيالسي بالبصرة حوالى عام ١٣٠ وتوفى عام ٢٠٣ أو ٢٠٤ هـ(٢)، لذلك فهو قد ترعرع ونضج واشتد عوده طوال النصف الثـانى من القرن الثاني للهجرة ، وعاصر صاحبى الموطأ والمصنف ، مالك وعبد الرزاق ، اللذين تحدثنا عنهما ، فلو صح انه صاحب المسند المنسوب اليه ، وثبت أنه هو الذى دوّنه ، أو على الأقل نظمه ورتبه كما رواه عنه تلميذه ومريده الحافظ يونس بن حبيب الملقب بأبى بشر المتوفى عام ٢٦٧هـ لكان من أول مدونى المسند أو أولهـم كما ذكر ذلك الحاكم النيسابورى ، وكما اشرنا اليه من قبل .

---

(١) « علوم الحديث » لابن الصلاح ، (المدينة المنورة ١٩٦٦) ص ٣٤ و ٣٥ .

(٢) قال الحافظ الذهبى فى « تذكرة الحفاظ » الجزء الاول ص ٣٥٢ انه عاش ثمانين سنة ، وعليه يكون مولده عام ١٢٣ أو ١٢٤ هـ ، وقال ابن سعد فى طبقاته (القسم الثـانى من الجزء السابع طبعة ليدن ص ٥١) أنه عاش ٧٢ سنة ، وجاراه فى ذلك الحافظ ابن حجر فى « تهذيب التهذيب » الجزء الرابع ص ١٨٥ — وعليه يكون مولده عام ١٣١ أو ١٣٢ هـ .

وقد تلقى الطيالسي الحديث عن جماعة من المحدثين اللامعين ، من بينهم سفيان الثورى وشعبة ، كما تلقى عنه الكثير ممن اشتهر أمرهم وعرف فضلهم وكان من بينهم الإمام أحمد بن حنبل وعلى بن المدنى ، ولقد امتاز بحافظة قوية جدا ، ونقل عنه صاحب ميزان الاعتدال قوله : « حدثت باصبهان بأحد وأربعين ألفا من غير سؤال » (٣) ، ولكنه قد اعتمد على ذاكرته اعتمادا أكثر مما ينبغى فكان يملى من ذاكرته دون الاعتماد على الكتاب ، لا كما كان يصنع الإمام عبد الرزاق ، وجل من لا يسهو ، فأدته هذه الثقة البالغة الى بعض الخطأ فى الأحاديث أوصلها صاحب الميزان الى الألف (٤) ، ولكنه كان أمينا ، فقد قال عنه راويه يونس بن حبيب الاصبهانى : « قدم علينا أبو داود وأملى علينا من حفظه مائة الف حديث أخطأ فى سبعين موضعا منها ، فلما رجع الى البصرة كتب إلينا بأنى قد أخطأت فى سبعين موضعا فأصلحوها » (٥) ، وما أجمل الاعتراف بالخطأ ، ومع ذلك فقد اعتبر من كبار الحفاظ الثقات ، وقال البخارى عنه : « ارساله ثبت » ، كما قال بعضهم : « ما رأيت أحفظ من أبى داود » (٦) .

أما « مسند الطيالسى » فكما أشرنا آنفا ، رواه عنه يونس بن حبيب الملقب بأبى بشر ، ويحتوى على ٢٧٦٦ من الأحاديث رواها عن مائة وثمانين من الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد بدأها بمسند أبى بكر فمسند عمر بن الخطاب فمسند عثمان فمسند على فمسانيد سائر العشرة ، واستعمل غالبا لها لفظ « أحاديث » كعنوان على كل منها ، فيقول : « أحاديث أبى بكر رضى الله عنه » و « أحاديث عمر بن الخطاب » وهكذا . وأحيانا يقول : « ما أسنده فلان رضى الله عنه » واستعمل كلمة « مسند » نادرا كما صنع فى مسند عائشة رضى الله عنها ، غير أن المسند فى ترتيب المسانيد خلط بين المكيين والمدنيين والأنصار والمهاجرين والمتقدمين فى الاسلام والمتأخرين ، فأخر أحاديث بلال مثلا عن أحاديث معاوية وعمرو رضى الله عن الجميع ، ولكنه رتب مسانيد النساء فجاء أولا بمسانيد أمهات المؤمنين وأتبعها أحاديث سائر الصحابيات ممن روى لهن فى مسنده ، ولقد قسّم المسند الى أحد عشر جزءاً ، غير أن هذا التقسيم لم ينبنَ على أساس موضوعى بل يبدو أن الغرض منه تحديد عدد صفحات كل جزء ليتيسّر تناوله ، لذلك تجد أحاديث بعض الصحابة موزعة بين جزأين ، تبدأ فى جزء وتتم فى الذى يليه ، فأحاديث السيدة عائشة مثلا ورد منها ١٣٤ حديثا فى الجزء الثالث ، وسائرها وهو ٦٧ حديثا تبعتها فى أول الجزء السابع من المسند ، ووزعت أحاديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه بين الجزأين السابع والثامن ، وبلغ مجموعها ١٣٥ حديثا ، كما وزعت أحاديث أنس بن مالك رضى الله عنه بين الجزأين الثامن والتاسع ، ومجموعها ١٩٣ حديثا ، ووردت أحاديث عبد الله بن عمر وعددها ١٥٧ بين مسندى جابر وأنس رضى الله عنهم ، كما وردت أحاديث أبى هريرة وعددها ٣٠٣ بالجزأين التاسع والعاشر ، واستغرقت أحاديث عبد الله بن عباس وعددها ١٦٩ بعض العاشر وجميع الجزء

---

(٣) الجزء الثانى طبعة الحلبى ١٩٦٣ ، ص ٢٠٤ .

(٤) « ميزان الاعتدال » (الجزء الثانى) ص ٢٠٤ .

(٥) نفس المرجع ص ٢٠٣ .

(٦) نفس المرجع ص ٢٠٤ .

الحادي عشر ، ووردت احاديث أبى سعيد الخدرى وهى ٩٤ حديثا ، وأحاديث عبد الله بن عمرو وهى ٥١ حديثا بالجزء التاسع ، أما عدد أحاديث الصديق فتسعة فقط ، ولابن الخطاب واحد وستون ، ولعثمان ستة عشر ، ولعلى بن أبى طالب مائة وثلاثة ، وللزبير ثلاثة ، ولسعد تسعة وعشرون ، ولابن عوف أربعة ولكل من أبى عبيدة وطلحة ، ثلاثة ، ولسعيد بن زيد أحد عشر حديثا ، أما مسند عبد الله بن مسعود الذى تلا مسانيد العشرة ففيه ١٦٢ حديثا .

وقد طبع المسند فى حيدر اباد عام ١٣٢١هـ فى مجلد كبير صفحاته من ذات القطع الكبير .

يمثل مسند الطيالسى طبيعة المسانيد المجردة ، فتراه يروى الأحاديث دون تعليق عليها أو على أسانيدها إلا نادرا ، ويقدم أبو بشر راوى المسند لكل حديث بقوله : « حدثنا أبو داود قال : حدثنا شعبة أو أبو فضالة » مثلا ، وأحاديثه متصلة الإسناد مرفوعة كلها الى النبى صلى الله عليه وسلم الا القليل النادر ، ومما عثرت عليه من أقوال الصحابة أو موقوفا عليهم ما يلى ، نقدمها بأرقامها فى النسخة المطبوعة ليتيسر الرجوع اليها :

١٩٢ ــ « حدثنا أبو داود قال : حدثنا الصلت بن دينار قال : حدثنا عقبة بن صهبان وأبو رجاء العطاردى قالا : سمعنا الزبير وهو يتلو هذه الآية : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) (٧) ، ولقد تلوت هذه الآية زمانا وما أرانى من أهلها فأصبحنا من أهلها » .

٢٢١ ــ « حدثنا أبو داود قال : حدثنا عيسى بن عبد الرحمن قال : حدثنا ابراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه عن سعد قال : (ما من موتة أموتها أحبّ إلىّ من أن أقتل دون مالى مظلوما) » .

٤٢٨ ــ « حدثنا أبو داود قال : حدثنا شريك عن أبى اسحق عن سليم بن عبد عن حذيفة قال : (صلاة الخوف ركعتان وأربع سجدات ، فان عجلك أمر فقد حلّ لك القتال والكلام) » .

٤٣٧ ــ « حدثنا أبو داود قال : حدثنا همّام عن قتادة عن سبيع بن خالد عن حذيفة قال : (يخرج الدجال ومعه نهر ونار ، فمن دخل نهره وجب وزره وحط أجره ، ومن دخل ناره وجب أجره وحط وزره) » .

٧٢٢ ــ حدثنا أبو داود قال : حدثنا شعبة عن أبى اسحق قال : سمعت البراء قال : « مات قوم كانوا يصلون نحو بيت المقدس فأنزل الله عز وجل (وما كان الله ليضيع إيمانكم) (٨) أى صلاتكم الى بيت المقدس » .

ومما رواه مرسلا ما يلى :

٨٣٧ ــ « حدثنا أبو داود قال : حدثنا أبو حرة عن الحسن (٩) أن رسول

---

(٧) سورة الانفال ، الآية ٢٥ .

(٨) سورة البقرة ، الآية ١٤٣ .

(٩) هو الحسن بن أبى الحسن بن يسار البصرى سيد التابعين المتوفى سنة ١١٠هـ وأبو حرة هو واصل بن عبد الرحمن توفى عام ١٥٢هـ ، ويروى أنه لما مات وسئل شعبة عن حديث قال : « تسألنى وقد مات سيد الناس ؟ » وكان يختم القرآن فى ليلتين (من تهذيب ابن حجر ، الجزء ١١ ، ص ١٠٥) .

الله صلى الله عليه وسلم كان في سفر فناموا ، فما استيقظوا حتى طلعت الشمس ، فصلوا وقالوا : يا رسول الله : ألا نزيد في صلاتنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينهاكم الله عن الربا ويقبله منكم ؟ »

ومما عثرنا عليه منقطعا ما يلي :

٣٤٩ ــ « حدثنا أبو داود قال : حدثنا أبو ذؤيب عن سهيل بن أسحق الهذلي عن عون بن عبد الله عن ابن مسعود (١٠) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال في ركوعه ثلاث مرات سبحان ربي الأعلى فقد أتمّ ركوعه ، وذلك أدناه » .

ومما ورد فيه زيادة أو تعليق لطيف من الطيالسي نقتبس ما يلي :

٩١٧ ــ « حدثنا أبو داود قال : « حدثنا شعبة وسليمان بن المغيرة القيسي : كلاهما عن حميد بن هلال العدوي قال : سمعت عبد الله بن المغفل رضي الله عنه يقول : دلي جراب من شحم يوم خيبر فأخذته فالتزمته فقلت هذا لي ، لا أعطي أحداً منه شيئا ، فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحييت منه »

قال سليمان في حديثه، وليس في حديث شعبة ــ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هو لك » .

قال أبو داود : كأنه من الغنيمة .

١٢٥٧ ــ « حدثنا يونس قال : « حدثنا أبو داود قال : « حدثنا شعبة عن أشعث بن أبي الشعثاء قال : سمعت الأسود بن هلال يحدث عن رجل من بني ثعلبة بن يربوع أن أناسا منهم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بنو ثعلبة أصابوا رجلا من أصحاب رسول اله صلى الله عليه وسلم ، فقال رجل : يا رسول الله ! هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع قتلت فلانا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجزي نفس على أخرى » ، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يد المعطي العليا أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك » .

هكذا قال شعبة عن رجل من بني ثعلبة ، وقال الثوري عن ثعلبة ابن زهدم .

١٤١٦ ــ « حدثنا أبو داود قال : حدثنا شعبة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت : « كنت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نغتسل من إناء واحد من الجنابة » .

قال أبو داود : قال شعبة : يعجبني لأنه قال « من الجنابة » .

وإليك المختارات التالية من هذا المسند الجليل :

٢٣٦ ــ « حدثنا أبو داود قال : حدثنا شعبة عن الحر بن الصباح النخعي قال: سمعت عبد الرحمن بن الأخنس قال : شهدت المغيرة بن شعبة يخطب فنال من علي رضي الله عنه ، فقام سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي عدي قريش فقال : أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عشرة في الجنة : رسول الله وأبو بكر وعمر

---

(١٠) نقل المحققان عن الترمذي أن عون بن عبد الله لم يلق ابن مسعود ، فالاسناد منقطع .

وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن مالك وعبد الرحمن بن عوف »
ولو شئت أن أسمي العاشر لسميته ، ثم سماه فقال : «سعيد بن زيد»

١٥٢٣ — « حدثنا أبو داود قال : حدثنا شعبة عن سعد بن ابراهيم قال : سمعت طلحة بن عبد الله بن عوف يحدث عن عائشة قالت : « أهوى إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله إني صائمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا صائم ، فقبلها » .

١٤٢٤ — « حدثنا أبو داود قال : حدثنا قيس بن الربيع عن عاصم بن عبيد الله عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبّل عبد الله بن مظعون وهو ميت »
قال أبو داود : قال أشعث بن سعيد في هذا الحديث وفي هذا الاسناد : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فعل ذلك بكى حتى رأيت الدموع تجري على خديه » .

١٤٦١ — « حدثنا أبو داود قال : حدثنا ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه قال : قالت عائشة : « دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السباق ، فسابقني فسبقته » .

١٥٣٧ — « حدثنا أبو داود قال : حدثنا محمد بن راشد عن مكحول : قيل لعائشة : ان أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشؤم في ثلاث ، في الدار والمرأة والفرس » ، فقالت عائشة : لم يحفظ أبو هريرة ، لأنه دخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قاتل الله اليهود ، يقولون إن الشؤم في ثلاث ، في الدار والمرأة والفرس » فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله (١١) .

٢٤٨١ — « حدثنا أبو داود قال : حدثنا شعبة وحماد عن محمد بن زياد قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « صوموا لرؤيته ، وافطروا لرؤيته ، فان غمّ عليكم فصوموا ثلاثين »

٢٥٩٨ — « حدثنا أبو داود قال : حدثنا قيس بن هشام بن عروة عن وهب بن كيسان قال : توفي بعض كنائز مروان ، فحضر الجنازة مروان وأبو هريرة معه ، قال : فسمع مروان نساء يبكين فشدّ عليهن أو صاح بهنّ فقال له أبو هريرة : يا أبا عبد الملك : إنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فرأى عمر نساء يبكين فتناولهن أو صاح بهنّ ،

---

(١١) في هذا الإسناد انقطاع حيث لم يذكر مكحول اسم من سمع هو منه عن عائشة ، ويقولون انه معروف بالتدليس عليها (تهذيب التهذيب لابن حجر ، الجزء العاشر ص ٢٩) ، ومع ذلك وبالرغم من هذا الانقطاع فان نص الحديث وعبارة عائشة فيه يجعله ادنى الى القبول واقرب للتصديق من الرواية التي ساقها ابن قتيبة في كتاب « تأويل مختلف الحديث » وتشبث بها الشيخ محمود ابو ريه في كتاب « اضواء على السنة المحمدية ص ٢٠٥ » حيث تزعم تلك الرواية ان عائشة قالت : « كذب ابو هريرة والذي انزل القرآن على ابي القاسم » فاستشهد بها على اتهام أبي هريرة رضي الله عنه ، ولا نريد أن نخوض هنا في هذا النزاع او نبدي رأيا بشأن ما أورد عليه من روايات في الصحيحين ، والذي يهمنا أن عبارة الحديث هنا أروح الى القلب وأقرب لروح الاسلام في سماحتها وانسانيتها ، وأوفق بأدب بنت الصديق حيث اعتذرت لأبي هريرة في عدم حفظه بسببا معقول انساني واضح .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عمر : دع ، فان العين دامعة ، والنفس مصابة ، والعهد حديث » .

٢٧٥١ ـ « حدثنا أبو داود قال : حدثنا حماد بن سلمة عن أبي حجرة عن ابن عباس قال : « أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشرا ، ومات وهو ابن ثلاث وستين » .

أما الحميدي ، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى المتوفي عام ٢١٩ هـ فيعتبر من خيرة المحدّثين الثقات المتقنين ، صحب سفيان بن عيينة شيخ المحدثين بمكة لعدد من السنين ، وقيل عنه : « هو أثبت الناس في ابن عيينة ، وهو رئيس أصحابه ، وهو ثقة إمام » (١٢) ، ونقل عن يعقوب بن سفيان قوله : « حدثنا الحميدي وما لقيت أنصح للاسلام وأهله منه » (١٣) وذكره ابن حبّان في الثقات فقال : « صاحب سنة وفضل ودين » (١٤) ، وقد صحب الامام الشافعي وأصبح من أبرع أصحابه ، ورافقه في رحلة الى مصر ، ولكنه مع فضلة ودينه يقال إنه كان في طبعه حدّة وفي خلقه بعض الشدّة ، اذا أسيء اليه ردّ الإساءة بأقسى منها ، واذا اعتذر له عن مساءة ما كان يلين لقبول المعذرة . والكمال لله سبحانه وحده ! روى البخاري عنه في صحيحه ثلاثة وثلاثين حديثا مباشرة ، وأربعين أخرى من طريق بعض شيوخه . (١٥)

أما مسند الحميدي فقد رواه عنه عدد من أصحابه ، والنسخة التي وصلتنا هي برواية بشير بن موسى الملقّب بأبي عليّ المتوفي عام ٢٨٨ هـ (١٦) ، وقد طبعت في حيدر آباد عام ١٩٦٣ م بتحقيق العلامة الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي الذي حقّق هذه النسخة ورقّم أحاديثها وخرّجها وفهرس لموضوعاتها ، وأكبر الاحتمال أن الحميديّ دوّن مسنده بعد وفاة شيخه الإمام الشافعي رضي الله عنه عام ٢٠٤ هـ وعودة الحميديّ الى مكة ، والأحاديث في مسنده أقل عدداً من أحاديث مسند الطيالسيّ غير أنها مختارة منتقاة ، اتفق معه في رواية أكثرها البخاريّ أو مسلم أو أحد أصحاب السنن الأربعة كما نرى في تخريج السيد المحقق وتعليقاته ، وبعضها مرويّ في هذه المجاميع الحديثيّة عن طريق الحميديّ نفسه أو عن شيخ الحميدي من طريق راو آخر ، ولقد كان البخاريّ نفسه وعدد من المحدثين المعروفين من أمثال محمد بن يحيى الذهلي وعبيد الله بن فضالة ويعقوب بن شيبة ممّن تلقي وروى عن الحميديّ .

وترتيب المسانيد المدوّنة فيّ مسند الحميديّ ترتيب منطقيّ زمنيّ ، فقد بدأ بأحاديث من روى لهم من العشرة (١٧) ، ثم أتبعها بأحاديث السابقين المهاجرين من أمثال ابن مسعود وأبى ذرّ وصهيب وبلال ، فأحاديث أمهات المؤمنين ، فسائر النساء ، ثم أحاديث الأنصار فأحاديث من تأخرّ إسلامه من قريش فأحاديث غيرهم ، وقد بلغ عدد أحاديثه بالمسند ألفا وثلاثمائة رواها الحميديّ عن مائة

---

(١٢) « تهذيب التهذيب » ص ٢١٥ .

(١٣) نفس المرجع .

(١٤) نفس المرجع .

(١٥) « تاريخ التراث العربي » لفؤاد سيزجين ، الجزء الاول ، ص ٢٨٢ .

(١٦) مقدمة مسند الحميدى للمحقق حبيب الرحمن الاعظمى ، ص ٨ و ٩ .

(١٧) لم يرو المسند لطلحة بن عبيد الله من بين العشرة رضي الله عنهم .

وثمانين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد اختار كلمة « أحاديث » عنوانا على مسند كل صحابي ، فيقول مثلا : « أحاديث أبي بكر » ، « أحاديث عمر بن الخطاب » وهكذا ، وقد لا يكون للصحابي في هذا المسند الا حديث واحد كحديث أبي عبيدة ، وقد يكون له حديثان كأبي مريع الأنصاري ، ولأبي بكر به سبعة أحاديث ولابن الخطاب خمسة وعشرون ، ولعثمان أربعة ، ولعلي ثلاثة وعشرون ، وللزبير أربعة ، ولعبد الرحمن بن عوف اثنان ، ولسعد بن أبي وقاص خمسة عشر ، ولسعيد بن زيد أربعة ، أما أحاديث المكثرين به فلعبد الله بن مسعود منها واحد وأربعون حديثا ، ولأنس بن مالك اثنان وأربعون ، ولعبد الله بن عباس أربعة وسبعون ، ولجابر بن عبد الله تسعة وسبعون ، ولعائشة مائة وسبعة وعشرون ، ولأبي هريرة مائتان وثمانية وأربعون حديثا .

ومسند الحميدي مقسم الى أحد عشر جزءا صدرت في مجلدين بالطبعة المشار اليها ، وتقسيم الكتاب الى هذا العدد من الأجزاء ، كما هو الحال في مسند الطيالسي غير موضوعي ، اي أنه لم يبْنَ على أن موضوعا قد تم وانتهى فيتم الجزء بتمامه ويبدأ الجزء التالي بموضوع أو مسند جديد لصحابي آخر ، بل كان القصد تحديد حجم الجزء ليخف حمله ويسهل تناوله ، ولكننا مع ذلك نجد كل جزء منها يبدأ بسماع جديد فيما عدا الجزأين الثاني والخامس ، وإنك لترى أحاديث ابن مسعود بدأت بالجزء الأول وتمت في الجزء الثاني ، ووزعت أحاديث عائشة بين الثاني والثالث ، وأحاديث عمرو بن العاص بدأت في الخامس وأكملت في السادس ، وأحاديث أبي هريرة بدأت في الجزء الثامن واستغرقت التاسع وتمت في العاشر ، ومسند جابر بن عبد الله بدأت في العاشر واستغرق الجزء الحادي عشر .

ويتميّز مسند الحميدي عن مسند الطيالسي باضافات أكثر نوعا ما ، يزيدها الحميدي بعد رواية الحديث إما لمناقشة الاسناد أو لتوضيح كلمة أو تفسير عبارة ، كما أنه في بعض المسانيد المطولة تراه يرتبها وان كان لم يعنون لها الا نادرا ، فتجد أحاديث الصلاة معا ، وأحاديث الصيام معا ، وأحاديث الحج معا ، ووضعت عناوين لبعض أحاديث أبي هريرة ، وهي : « باب الجنازة » و « باب البيوع » و « باب في الأقضية » و « باب الجهاد » ، وقد تكون اضافة هذه العناوين من عمل بعض الرواة أو الناسخين ، ويبدأ بشر بن موسى ، الراوي عن الحميدي ، كل حديث بقوله : « حدثنا الحميدي قال ، » كما استعمل في السند « ثنا » رمزا لقوله « حدثنا » ، و « ثني » اختصارا لكلمة « حدثني » .

وأحاديث مسند الحميدي كلها متصلة مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم الا ما ندر جدا ، ومما عثرت عليه منها « مرسلا » ما يلي :

٣٢٩ — « حدثنا الحميدي قال : ثنا سفيان قال : ثنا صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار (١٨) قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : هل علي جناح أن أكذب أهلي ! قال : « لا ، فلا يحب الله الكذب » ، قال : يا رسول الله : استصلحها واستطيب

(١٨) كان عطاء تابعيا ، مولى ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها ، توفي سنة ١٠٢ هـ ، ومع ذلك يرفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم .

نفسها ، قال : « لا جناح عليك » .

وممّا وُقف على الصحابيّ ما يلي :

١٢٩٥ – « حدثنا بشر بن موسى : ثنا الحميدى قال : ثنا سفيان قال : ثنا زكريا عن الشعبى عن جابر بن عبد الله فى قوله عزّ وجلّ (سمّاعون للكذب) (١٩) يهود المدينة ، (سمّاعون لقوم آخرين) أهل فدك ، (لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أهل فدك (يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا) الرجم » .

وممّا قاله تابعيّ ما يلى :

١٣٠٠ – « حدثنا الحميدى قال : ثنا سفيان قال : ثنا صالح بن صالح قال : (وكان خيرا من أبيه) عن الشعبى(٢٠) قال : قالوا لرجل تعرف علينا قال : انما عريفكم الأهيس الأطلس المكدّ الملحس الذى اذا قيل له ها انتهش ، واذا قيل له هات حبس » .

ومما جاء مرفوعا وأبهم فيه اسم راو أدنى من الصحابى فهو لذلك منقطع ما يلى :

١٠٩٨ – « حدثنا الحميدى قال : ثنا سفيان قال : ثنا عمران بن ظبيان الحنفى عن رجل من بنى حذيفة قال : سمعنا أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن ينزل ابن مريم فيكم امام هدى وقاضى عدل ، يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد » .

ولكنّ ورود أسانيد نادرة جدا غير تامة كهذه لا ينقص من أهمية هذا المسند وقيمته ، ومع ذلك قد يؤدى البحث الى العثور على أسانيد لها تامة ، فالحديث الاخير الذى سقناه أخرجه البخاريّ متصلا عن طريق صالح عن الزهرى كما اشار الى ذلك السيد المحقق .

ومما أتبعه الحميدى باضافة مفيدة نقتبس ما يلى :

١٣٣ – « حدثنا الحميدى قال : ثنا بشر بن عاصم بن سفيان عن أبيه عن أبى ذرّ قال : قلت : يا رسول الله سبق أهل الأموال الدثر بالأجر ، يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفلا أدلك على عمل اذا أنت قلته ادركت من قبلك وفتّ من بعدك الا من قال مثل قولك ؟ تسبّح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وتحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وتكبر أربعا وثلاثين » .

قال الحميديّ : ثم قال سفيان : احداهن أربع وثلاثون ، وعند منامك مثل ذلك .

٣٢٨ – « حدثنا الحميدى قال : ثنا سفيان قال : أخبرونى عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أمه أم كلثوم بنت عقبة بن معيط قالت : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أفضل الصدقة على ذى الرحم والكاشح » قال سفيان : ولم أسمعه من الزهريّ(٢١)

---

(١٩) سورة المائدة ، الآية ٤٢ .

(٢٠) هو عمر بن شراحيل الهمزانى الكوفى ، علامة التابعين ، توفى عام ١٠٣ هـ .

(٢١) وحيث رواه الزهرى عن حميد مع أنه لم يسمعه منه فالحديث منقطع .

قال أبو بكر (٢٢) : الكاشح العدو .

٣٧٨ ـــ « حدثنا الحميدي قال : ثنا سفيان قال : ثنا الزهري قال : أخبرني عطاء بن يزيد الليثي عن أبي أيوب الانصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول ولا تستدبروها ، ولكن شرّقوا وغرّبوا » قال أبو أيوب : فقدمنا الشام فوجدنا مراحيض بنيت قبل القبلة فننحرف ونستغفر الله عزّ وجل » فقيل لسفيان : فان نافع بن عمر الحجبيّ لا يسنده ، فقال . ولكني أحفظه وأسنده كما قلت لك ، ثم قال : ان المكيين انما أخذوا كتابا جاء به حميد الأعرج من الشام قد كتب عن الزهري فوقع الى ابن جريج وكان المكيون يعرضون ذلك الكتاب على ابن شهاب . فأما نحن فانما كنا نسمع من فيه .

٤٧٦ ـــ « حدثنا الحميدي قال : ثنا سفيان قال : ثنا أيوب السختياني قال : سمعت عطاء بن رباح يقول : سمعت ابن عباس يقول : أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى قبل الخطبة يوم العيد ، ثمّ خطب فرأى أنه لم يسمع النساء ، فأتاهن فوعظهن وذكرهن وأمرهنّ بالصدقة ومعه بلال قائلا بثوبه هكذا » .

قال ابو بكر : كأنه يتلقى بثوبه ، فجعلت المرأة تلقي الخاتم والخُرص والشيء .

ونسوق الآن الاختيارات التالية من هذا المسند :

٢٢٣ ـــ « حدثنا الحميدي قال : ثنا سفيان قال : ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة حمّ أصحابه ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم على أبى بكر يعوده فقال : « كيف تجدك يا أبا بكر .. ؟ » فقال أبو بكر :

كل امرىء مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

ودخل على عامر بن فهيرة فقال : كيف تجدك .. ؟ فقال :

وجدت طعم الموت قبل ذوقه ان الجبان حتفه من فوقه
كالثور يحمي جلده بروقه

قالت : ودخل على بلال فقال : كيف تجدك ؟ فقال :

الا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة بفخ (وربما قال سفيان بواد) وحولي اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنّة وهل يبدون لي شامة وطفيل !

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك دعاك لأهل مكة ، وأنا عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة مثل ما دعاك لأهل مكة ؛ اللهم بارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدّنا وبارك لنا في مدينتنا » .

قال سفيان : وأرى فيه : « وفي فرقنا ، اللهم حبّبها الينا مثل ما حبّبت الينا مكة أو أشدّ ، وصححها ، وانقل وباءها وحماها الى خمّ أو الى الجحفة » .

٢٩٧ ـــ « حدثنا الحميدي قال : ثنا سفيان قال : ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن أمها أم سلمة قالت : دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي مخنّث فسمعه يقول لعبد الله بن

---

(٢٢) هو الحميدي .

أمية : يا عبد الله ! ارأيت ان فتح الله عليكم الطائف غدا فعليكم بابنة غيلان ، فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان ، قال : فقال النبى صلى اللـه عليه وسلم : « لا يدخلن هؤلاء عليكم » .

قال سفيان : قال ابن جريج : اسمه هيت .

٥٢٥ ــ « **حدثنا** الحميدى قال : **ثنا** سفيان قال : سمعت عبد الكريم الجزرى قال : سمعت عكرمة يقول : سمعت ابن عباس يحدث « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن ينفخ في الاناء أو يتنفّس فيه » .

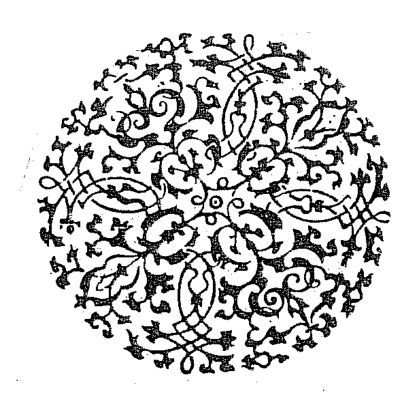
٦١٢ ــ « **حدثنا** الحميدى قال : **ثنا** سفيان قال : **ثنا** الزهرى عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا استأذنت أحدكم امرأته الى المسجد فلا يمنعها » .

قال سفيان : يرون أنه بالليل .

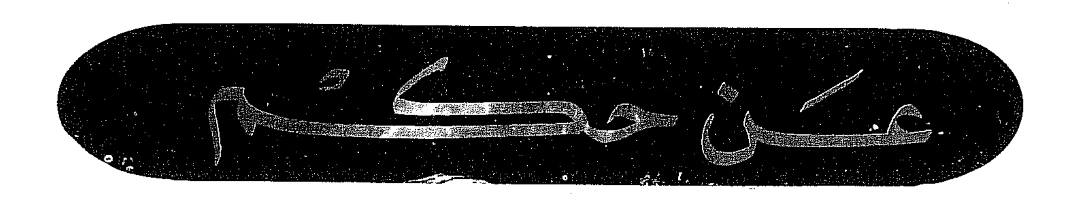
٧٣٨ ــ « **حدثنا** الحميدى قال : **ثنا** سفيان قال : **ثنا** سهيل بن أبى صالح عن أيوب بن بشير عن سعد الاعشى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهنّ وصبر عليهن واتقى الله فيهن دخل الجنة » .

٧٩٢ ــ « **حدثنا** الحميدى قال : **ثنا** سفيان قال : **ثنا** عبد الملك بن عمير قال : أخبرنى عبد الرحمن بن أبى بكرة قال : أملى علىّ أبى كتابا الى أخ لى كان عاملا : أن لا تقضى بين اثنين وأنت غضبان ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا ينبغى للحاكم أن يحكم بين اثنين وهو غضبان » .

١١٨٦ ــ « **حدثنا** الحميدى قال : **ثنا** سفيان قال : **ثنا** عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتبع الميت الى قبره ثلاثة : أهله وماله وعمله ، فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ، ويبقى عمله » .



كشف الشبهة



الإسلام في الاسترقاق

تلقيت عن طريق ادارة مجلة الوعى الاسلامى رسالة من الأخ محمد عبد الله القيسى من القطر العراقى الشقيق يتساءل فيها عن حكم اباحة الاسلام للمسلم أن يتصل برقيقته المملوكة له اتصال الزوج بزوجته بدون زواج سابق ، ويبدى بعض التشكك فى حكمة هذا الحكم ، وذلك فى معرض اطلاعه على مقالى المنشور فى العدد – ١٠٧ – من مجلة الوعى الاسلامى تحت عنوان (حكم الاسلام فى الاسترقاق) .

وانني اذ اتصدى للإجابة عن هذا السؤال بمايزيح من ذهن مرسله هذه الشبهة وامثالها مما قد يثور فى ذهن غيره ، أشكره على حسن تفهمه للمقال المذكور واستيعابه له والكتابة الى بما ثار فى ذهنه من اشكالات توقعتها سابقا وأنا أكتب هذا المقال وهو ما دفعنى الى الطلب فى الهامش الى الاخوة القراء بأن يكتبوا الى بما يثور فى أذهانهم من هذه الاشكالات للإجابة عنها وازاحة اللبس عن غوامضها ، فان الموضوع لم يزل بكرا رغم ان الكتاب المحدثين أكثروا فى الكتابة عنه ، وفيهم لفيف من الائمة الاعلام ، الا انه بكر رغم ذلك كله ، فان المنهج الذى انتهجوه فى بيان الموضوع يحتاج الى بعض التعديل لظهور بعض الثغرات فيه كما بينت فى المقال السابق .

والآن وانا اجيب على سؤال الاخ العراقي المذكور لا بد لي من البحث في نقطتين ، النقطة الاولى تتعلق في كشف الشبهة وبيان ان هذا الاتصال الجنسي الذى اباحه الاسلام بين المسلم ورقيقته ليس فيه اى ازدراء بها ولا اى غض من كرامتها الانسانية .

والنقطة الثانية تتعلق ببيان الحكمة من هذه الاباحة ، وانها انما شرعت لمصلحة الرقيقة نفسها أولا ، وليس لمصلحة المالك .

النقطة الاولى :

عقد الزواج ما هو الا عقد شرعي ينتج عنه حل الصلة الجنسية بين الزوجين ، وعقد الاسترقاق (مبتدءا كان أو منقولا) ما هو الا عقد شرعي ايضا ينتج عنه حل المتعة — الجنسية بين المسلم ورقيقته الى جانب آثار اخرى تنتج عن هذا العقد تقتضيهما طبيعة الاسترقاق الذى اعتبرناه في مقالنا السابق الذكر (دورة اصلاحية) ولا فارق بين هذين العقدين الا من حيث ان الاول تحل به الصلة الجنسية قصدا والثاني تحل به هذه الصلة تبعا ، وهو فارق غير مؤثر ، ولا علاقة له بالكرامة الانسانية هنا ، واما انه لا ينظر فيه الى رضى الرقيقة فهذا غير مؤثر ايضا ، وذلك ان الفتاة الحرة القاصرة البكر يزوجها وليها من غير اذنها عند جماهير الفقهاء ، وكذلك البكر البالغة عند جماعة منهم ، وليس في ذلك اى غضاضة أو مساس بكرامتها فكذلك الرقيقة هنا ، وبخاصة اذا اخذنا بعين الاعتبار ان هذه الرقيقة موضوعة تحت اشراف سيدها ونظره مثلها مثل البنت الحرة تماما .

ومما يؤيد كلامنا هذا أن هنالك تشابها كبيرا بين أحكام كل من هذين العقدين (عقد الزواج وعقد الاسترقاق) فيما يتعلق منها بحل الصلة هذه ، من ذلك :

١) ان الصلة الجنسية لا تحل لو كانت الرقيقة زوجة لآخر غير مالكها ، كما لا تحل الزوجة لو كانت زوجة لآخر غير زوجها .

٢) أن هذه الصلة لا تحل — عند جمهور الفقهاء — لو كانت الرقيقة مجوسية أو مشركة ، مثلها في ذلك مثل الزوج تماما .

٣) ان هذه الصلة لا تحل لو كانت الرقيقة قريبة من مالكها قرابة محرمة للزواج بينهما كأن تكون اخته من الرضاع أو أمه من الرضاع ، مثلها في ذلك مثل الزوجة تماما .

٤) ان هذه الصلة لا تحل لو كانت الرقيقة مملوكة لاكثر من واحد ، وذلك خشية اختلاط الانساب مثلها في ذلك مثل الزوج تماما .

٥) ان هذه الصلة لا تحل اذا كان المالك متصلا جنسيا بقريبة للرقيقة لا يحل له الجمع بينها وبينها في الزواج ، مثلها في ذلك مثل الزوج تماما .

٦) ان نسب الاولاد الذين تنجبهم الرقيقة من مالكها يثبت من أبيهم وأمهم معا ، مثلها في ذلك مثل الزوج تماما .

من هذه النقاط وأمثالها مما يتوافق فيه حكم الزوجة وحكم الرقيقة نستطيع أن نعتبر أن الاتصال الجنسي بالرقيقة المملوكة نوع من أنواع الزواج الشرقي لا يختلف عنه الا فيما تقتضيه

ظروف الاسترقاق الذي هو بمثابة (دورة اصلاحيه) ، وهي ظروف تتطلب — دون شك — بعض القيود على الحرية . وأن زيارة واحدة لدور الاصلاح للجانحين في أرقى الدول حضارة اليوم والتعرف على القيود القاسية التي تفرض على الجانحين في سبيل اصلاحهم وتقويمهم وتربية نفوسهم لكافية في نظري لحل كل الاشكالات المتعلقة بموضوع الاسترقاق في الاسلام ، وتوضيح الحكمة التي شرع الاسلام هذا النظام تحصيلا لها .

النقطة الثانية : الاسلام واقعي في كل أحكامه ، يعالج الامور بنظرة فاحصة مستوفية لجميع الجزئيات ومادام الرق في الاسلام دورة اصلاحية تهدف الى تربية هؤلاء الارقاء (الجانحين) ، فانه من غير المناسب أن يسمح لهم بممارسة حرياتهم العامة كالبيع والشراء والزواج وغير ذلك لأنهم بذلك سوف يتمكنون من الافلات من رقابة سيدهم عليهم وبذلك يتلاشى معنى الاصلاح وينقضي ونعود على أنفسنا بالنقض ، ولذلك فانه قضى بتوقف تصرفاتهم هذه على إذن سيدهم أن أجازها نفذت وإلا بطلت . مثلهم في ذلك مثل الصبي الحر المميز تصرفاته هذه تعتبر متوقفة على اذن وليه في النفاذ .

وازاء هذا التقييد لحرية الرقيقة في الزواج وأمام طوفان الغريزة الجنسية التي قد تثور لديها كان لا بد للاسلام من أن يجد حلا مناسبا لها يجمع بين التنفيس عنها وبين الغاية الاصلية التي شرع الرق لها وهي الاصلاح والتقويم ، فكان أن شرع الحلين الآتيين :

١) الإباحة للمسلم أن يتصل برقيقته التي هي تحت ائتمانه بعقد امتلاك شرعي اتصالا جنسيا يلبي حاجتها الجنسية ويهدىء ثورتها العاطفية بموجب العقد الاول نفسه دونما حاجة الى عقد جديد وذلك يجعل حل الاتصال هذا اثرا من آثار العقد الاول .

٢) أو الإباحة له بان يزوجها من شاء من المسلمين الآخرين الذين يرى في تزويجها منهم اصلاحا لحالها ، وذلك بعقد شرعي مثلها في ذلك مثل الحرة تماما ، وانه اذا ما فعل ذلك فانه يتحتم عليه أن يمتنع عن الاتصال بها جنسيا ما دام ذلك العقد قائما حفظا للانساب .

وهنا ينبغي أن يتنبه الى أن الاباحة هذه انما كانت لمصلحة الرقيقة نفسها أصلا لما تقدم وليست لمصلحة المالك كما قد يظن ، وما يعرف في التاريخ من اسواق للرقيق تتبادل فيها الجواري ترويحا عن نفوس السادة ما هو الا أثر من آثار الفهم الخاطيء والتطبيق المغلوط لاحكام الاسلام وروحه وهو ما يجب نقده وتعديله ، لا اعتباره أساسا يبنى ويؤتى الاسلام منه .

هذا ولاباحة الاتصال الجنسي (على ذلك النحو المنظم) بين المسلم ورقيقته فوائد عظيمة تعود كلها على الأمة والمجتمع الاسلامي باسره بالخير الوفير ، من ذلك :

١) الترفيه عنها واسعاد قلبها وتلبية الحاجة الجنسية لديها .

٢) استيلادها وعدم تعطيلها عن

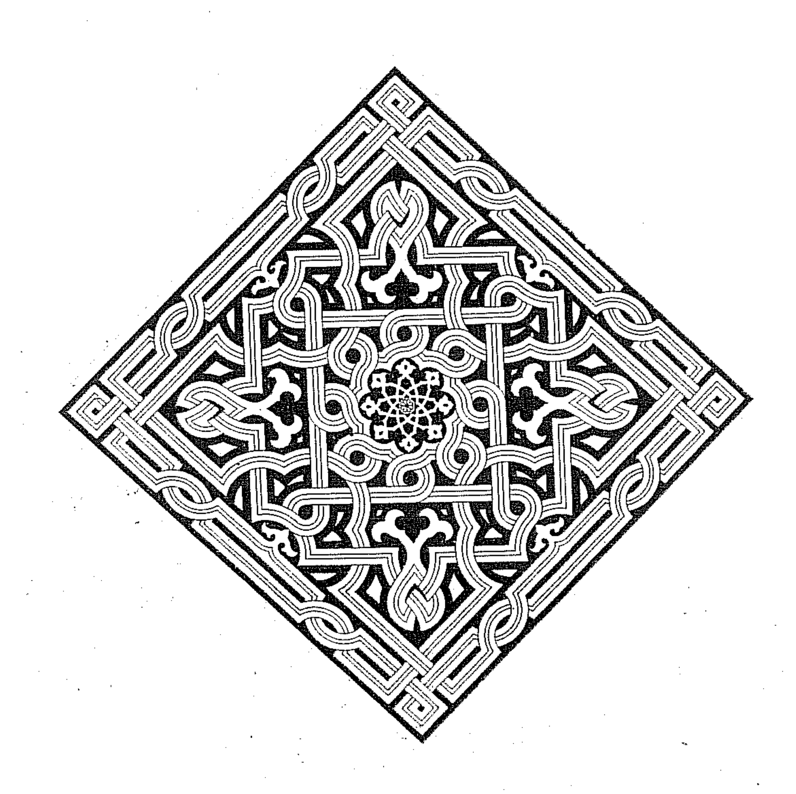
الانسال ، فان الاسلام يتطلع دائما الى زيادة النسل ونحض عليه .

٣) ايجاد سبب لتحريرها ، فانها بذلك تصبح أم ولد وتتحرر بمجرد وفاة سيدها فتعود حرة كما كانت من قبل، والاستيلاد هذا طريق من أهم طرق التحرير المتعددة فى الاسلام كالتدبير والمكاتبة وغيرها .

هذا ملخص موجز للإجابة على سؤال الأخ محمد عبد الله القيسى حول مادار فى ذهنه من اشكالات فى موضوع الاسترقاق ، وأرجو أن تكون هذه الإجابة واضحة ومقنعة له ولامثاله وموجهة لهم نحو الحلول الصحيحة فى كل ما يثور لديهم من اسئلة حول هذا الموضوع بعد ذلك .

وأرجو أن يطمئن قلب الأخ المذكور وغيره من شبابنا أيضا الى أن الاسلام لم يشرع لنا شيئا إلا وفيه مصلحة كبيرة غالبة سواء ادركنا ذلك او خفى علينا ، وانه ما حرم علينا شيئا إلا وفيه مضرة كبرى غالبة سواء ادركنا ذلك أو خفى علينا أيضا ، وما علينا إلا أن نتبين حكم الله فى المسالة من نصوص كتابه وسنة نبيه واجتهادات علمائنا الابرار ، ثم بعد ذلك نسلم بالحكمة فى كل ذلك سواء اظهرت لنا أو خفيت علينا .

والله الموفق .





بقلم : الاستاذ سعيد زايد

تتصل المخيلة بعلم النفس عند الفارابى اتصالا وثيقا ويعرفها الفارابى بأنها القوة التى بها يحفظ الانسان ما رسم فى نفسه من المحسوسات بعد غيبتها عن مشاهدة الحواس ، وأنها القوة التى تقوم بخدمة القوة الناطقة .

وللمخيلة دور هام فى علم النفس عند المعلم الثانى ، إذ تنفذ الى نواحى الخصائص النفسية المختلفة ، فان لها صلة قوية بالميول والعواطف ، كما ان لها دخلا فى الأعمال العقلية والحركات الإرادية ، وتمد المخيلة القوى النزوعية بما يستثيرها ويوجهها الى غرض ما ، وتغذى الرغبة والشوق بما يؤججها ويدفعها الى السير فى الطريق الى النهاية ، والى جانب هذا تحتفظ المخيلة كما قلنا بالآثار الحسية ، وصور العلم الخارجى المنقولة الى الذهن عن طريق الحواس . وللمخيلة فوق قدرتها على الاحتفاظ بما يأتيها من صور ، قدرة على الابتكار ، وهو ما يسميه علم النفس الحديث بالخيال المبدع ، وهو الذى يستطيع بواسطته الإنسان ان يؤلف ويربط الأفكار والصور بطريقة جديدة مبتكرة ، بحيث يخلق شيئا جديدا لم يكن معهودا من قبل ، وتنتج عن ذلك الأحلام والرؤى .

وسنحاول مع الفارابى توضيح أثر المخيلة فى الأحلام ، إذ بتفسيرنا معه هذه الأحلام تفسيرا علميا سيكلوجيا نستطيع معه كذلك تفسير النبوة وآثارها . ذلك لأن الإلهامات النبوية ــ كما يقول الفارابى ــ قد تظهر فى صورة الرؤيا الصادقة أو فى صورة الوحى فى حالة اليقظة ، وقد بين الفارابى هاتين الصورتين فى فصلين متتالين فى كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » تحت عنوان « القول فى المنامات » و « القول فى الوحى ورؤية الملك » .
ففى حالة النوم تكون القوى التى تتصل بالمخيلة فى حالة سكون ، فتنفرد المخيلة بنفسها وتعود الى ما احتفظت به من الصور الحسية التى أوردتها عليها

عند أبي نصر الفارابي

القوة الحسية أثناء اليقظة ، ولما كان للمخيلة كما قلنا قدرة على الاختراع فانها تخلق من هذه الصور المحفوظة لديها صوراً أخرى جديدة ، بأن تركب بعضها الى بعض وتفصل بعضها عن بعض . على أنها ــ بجانب قدرتها على الاختراع ــ لها قدرة عظيمة كذلك على المحاكاة والتقليد ، واستعداد كبير للانفعال والتأثير . فهى تحاكى القوة الحسية والنزوعية ، فيقوم الإنسان أثناء نومه بأعمال تصور خصائص هذه القوى من غضب أو شهوة أو ما شاكل ذلك . وباختصار فان أحوال النائم العضوية والنفسية وإحساساته ذات أثر واضح فى مخيلته ، وبالتالى فى تكوين أحلامه . فاختلاف هذه الأحلام يرجع الى العوامل المؤثرة فيها ، ومن هنا نحلم بالماء والسباحة فى الوقت الذى يكون فيه مزاجنا رطبا ، وعلى كل فان الميول الكامنة والإحساسات السابقة أو المصاحبة لحلم ما ذات دخل عظيم فى تكوينه وتشكيله .

هذا هو رأى المعلم الثانى فى الأحلام ، ونحب قبل أن نتعرض للجانب الميتافيزيقى للمخيلة وهو اتصالها بالعقل الفعال ، أن نقف وقفة نقارن فيها بين رأى المعلم الثانى ، ورأى السيكلوجية الحديثة فيها ، وخشية من أن تطول وقفتنا سنختار نظرية مبرزة فى هذا الميدان وهى نظرية فرويد تتلخص نظرية فرويد فى أن الأحلام وسيلة للتفريج عن العواطف والشهوات المكبوتة ، فهى عبارة عن مجموعة من الميول والرغبات والآمال المنحطة وغير المنحطة تظهر عندما ينام العقل الواعى ، فيحلم الضعيف أنه قهر عدوه القوى ، ويحلم الممتنعون عن الاختلاط الجنسى بالأحلام المتعلقة بالجنس ، وبالجملة يحلم الجوعان بسوق الخبز ، كما يقول المثل العامى . فأحلام الأشخاص العاديين هى أعظم منفذ للرغبات المضغوط عليها . ويقول فرويد إن حل هذه الرغبات إن لم يكن كلها يرجع الى غريزة المحافظة على النفس والغريزة الجنسية بخاصة . والعلامة فرويد يحصر نفسه بهذا التفسير فى دائرة ضيقة حين يقول : إن

الأحلام ما هى إلا رغبات لم نستطع تحقيقها اثناء اليقظة لقوة العقل الواعى وخوفه من مخالفة قوانين المجتمع ، فعندما ينام هذا العقل ينطلق العقل الباطن من عقاله يعمل كيفما يشاء . فهو بقوله هذا قد اتجه الى الماضى والى الماضى فقط .

أما الفارابى — وإن فهمنا من حديثه انه يقول بعقل باطن وعقل واع ، وإن العقل الباطن هو خزانة الذكريات أو الآثار الحسية — فاننا لا نجد عنده ما يقصر الأحلام على تحقيق رغبات مكبوتة ، زد على ذلك ان المعلم الثانى لم يتجه الى الماضى فقط فى تفسير الأحلام ، بل اتجه الى المستقبل أيضا ، والرؤى الصادقة عنده دليل على ذلك ، فيوسف الصديق عندما راى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين ، تحققت رؤيته فى المستقبل فى أرض مصر . ولكنا نلاحظ أن الفارابى يقصر الرؤى الصادقة على الأنبياء ، ولم نلمس عنده قولا يدل على أن للأحلام علاقة بالمستقبل خارج هذه الدائرة ، كما نلمس ذلك فى بعض المذاهب السيكلوجية الحديثة المعارضة لفرويد .

بقى — كما قلنا — أن نتعرض للجانب الميتافيزيقى من الأحلام ، ويتلخص فيما يلى :

لما كانت القوة المتخيلة تحاكى القوة الحسية كما بينا ، فهى تحاكى القوة الناطقة كذلك ، ولما كانت القوة الناطقة تستطيع أن تتصل بالعقل الفعال فيفيض إليها ما أفاضه الله إليه ، فان الشىء الذى ينال القوة الناطقة من العقل الفعال هو الشىء الذى منزلته الضياء من البصر قد يفيض منه على القوة المتخيلة ، فهنا يفعل العقل الفعال فى القوة المتخيلة ما يفعل فى القوة الناطقة من إعطاء الجزئيات والمعقولات فى صور الرؤيا الصادقة ومحاكاة الأشياء الإلهية .

هكذا فسر الفارابى الأحلام والرؤى الصادقة ، ولما كانت الأخيرة شعبة من شعب النبوة ، فقد وضح لنا الوحى والإلهام اثناء النوم .

وبقى أن ننظر فى النبوة اثناء اليقظة ، أو كيف يكون الوحى ورؤية الملك : يقول المعلم الثانى : إن المتخيلة إذا كانت فى إنسان قوية جدا ، بحيث تصل هذه القوة الى درجة لا تستنفذ معها كل المحسوسات الواردة عليها من الخارج كل أوقاتها ولا تستخدمها جميعها ، كذلك للقوة الناطقة التى تقوم هى بخدمتها ، بل بجانب اشتغالها إزاء هاتين القوتين الحسية والناطقة ، يبقى لها جانب كبير تفعل فيه هى الأخرى فعلها الذى يخصها .

ومعنى هذا أنه يحدث للقوة المتخيلة القوية الكاملة فى فترات اليقظة ما يحدث لها اثناء النوم من تحللها وتحررها عن تلك الأعمال التى تقوم بها نحو القوة الحاسة والقوة الناطقة . وهذا يشابه علم النفس الحديث الذى يقرر بصدد أحلام اليقظة أنها عبارة عن شرود الإنسان عن الانتباه الى ما يحيط به وذهابه مع نفسه فى عالم من الخيال ، فيفقد صلته بالعالم الخارجى ، ويعيش بينه وبين نفسه ، فيصبح كالنائم ، وما هو كذلك ، بل هى حالة بين بين . ويتجه كل شخص فى أوهامه حسب ميوله ورغباته وظروفه ، فكل يغنى بليلاه ،

كما يقول المثل السائر ويصف علم النفس الحديث هذه الحالة بأنها حالة طبيعية ، اللهم إلا إذا زاد شرود الفكر الى درجة تؤدى الى الأرق وتعطيل الأعمال .

وعلى كل حال فان القوة المتخيلة إذا تحررت من القوة الحاسة والقوة الناطقة فانها تتصل بالعقل الفعال وتنعكس عليها منه صورة فى غاية الجمال والكمال .

ومعنى هذا أن الصور التى يعطيها العقل الفعال تتخيلها القوة المتخيلة حسب ما تحاكيها من المرئيات المحسوسة التى تحتفظ بها . وهنا تعود تلك الصور المتخيلة الى الارتسام فى القوة الحاسة ، وعندما ترتسم فى القوة المشتركة تتأثر بها القوة الباصرة فترتسم تلك الصور فيها كذلك . وهذه الصور المرتسمة فى القوة الباصرة تنعكس فى الهواء المضىء الموصل للبصر المنحاز بشعاع البصر وترتسم فيه كذلك .

وهذه الصور المرتسمة فى الهواء الموصل للبصر تنعكس هى بدورها الى القوة الباصرة الى العين ، ثم تعكسها الى الحاسة المشتركة ، ومنها تعود أخيرا الى القوة المتخيلة . لأن كل هذه القوى متصل بعضها ببعض ، فكأن هناك دورا لهذا الانعكاس . وكانت مهمة هذا الدور هى إظهار ما يعطيه العقل الفعال لتلك القوة المتخيلة من صور حتى تصبح مرئية لدى ذلك الإنسان الذى يملك قوة متخيلة قوية وكاملة جدا .

على أن مقدرة هذه القوة المتخيلة القوية الكاملة لا تنتهى عند هذا الحد ، بل فى استطاعتها كذلك أن تتقبل من العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمستقبلة ، فتكون لها بذلك النبوة بالأشياء الإلهية . والى هذا أشار الفارابى بقوله : « ولا يمتنع أن يكون الإنسان اذا بلغت قوته المتخيلة نهاية الكمال ، فيقبل فى يقظته عن العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمستقبلة او محاكياتها من المحسوسات ، ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة ، وسائر الموجودات الشريفة ويراها ، فيكون له بما قبله من المعقولات نبوة بالأشياء الإلهية » .

فعندما يصل الإنسان الى هذه الدرجة من القوة فى قوته المتخيلة وهى اكملها واتمها يصل الى اكمل واتم المراتب التى يتمنى الوصول إليها ، والأنبياء وحدهم هم الذين لهم مثل هذه القوة فى مخيلتهم ، وهم الذين وصلوا الى هذه المرتبة العليا .

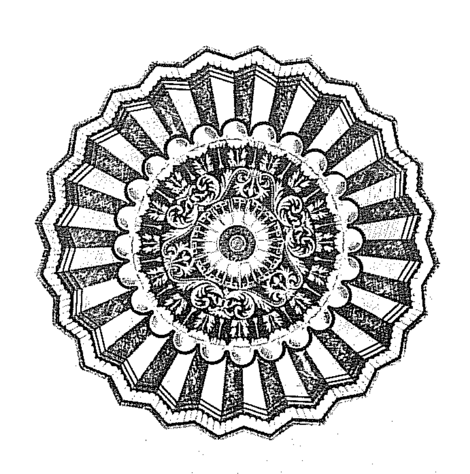
هذا هو تفسير المعلم الثانى للوحى والإلهام من الناحية السيكلوجية ، وواضح أنه يتعارض مع كثير من النصوص الدينية الثابتة ، فقد ورد أن جبريل عليه السلام كان ينزل على النبى فى صورة بعض الأعراب ، وأنه كانت تسمع له صلصلة كصلصلة الجرس ، الى غير ذلك من الآثار المتصلة بالوحى والإلهام وكيفية نزوله .

والظاهر أن الفارابى لم يكن الرجل الذى غابت عن ذهنه كل هذه الآثار ، ولكنه لم يكن ليغيب عن ذهنه كذلك أنه فى ذلك الوقت لم يكن امام من آمن بكل ما ورد ونقل ، ولكن أمام من أنكر النبوة وهاجمها بعنف ، فهو والحالة هذه

مضطر الى تقوية خط دفاعه بالأدلة العقلية .

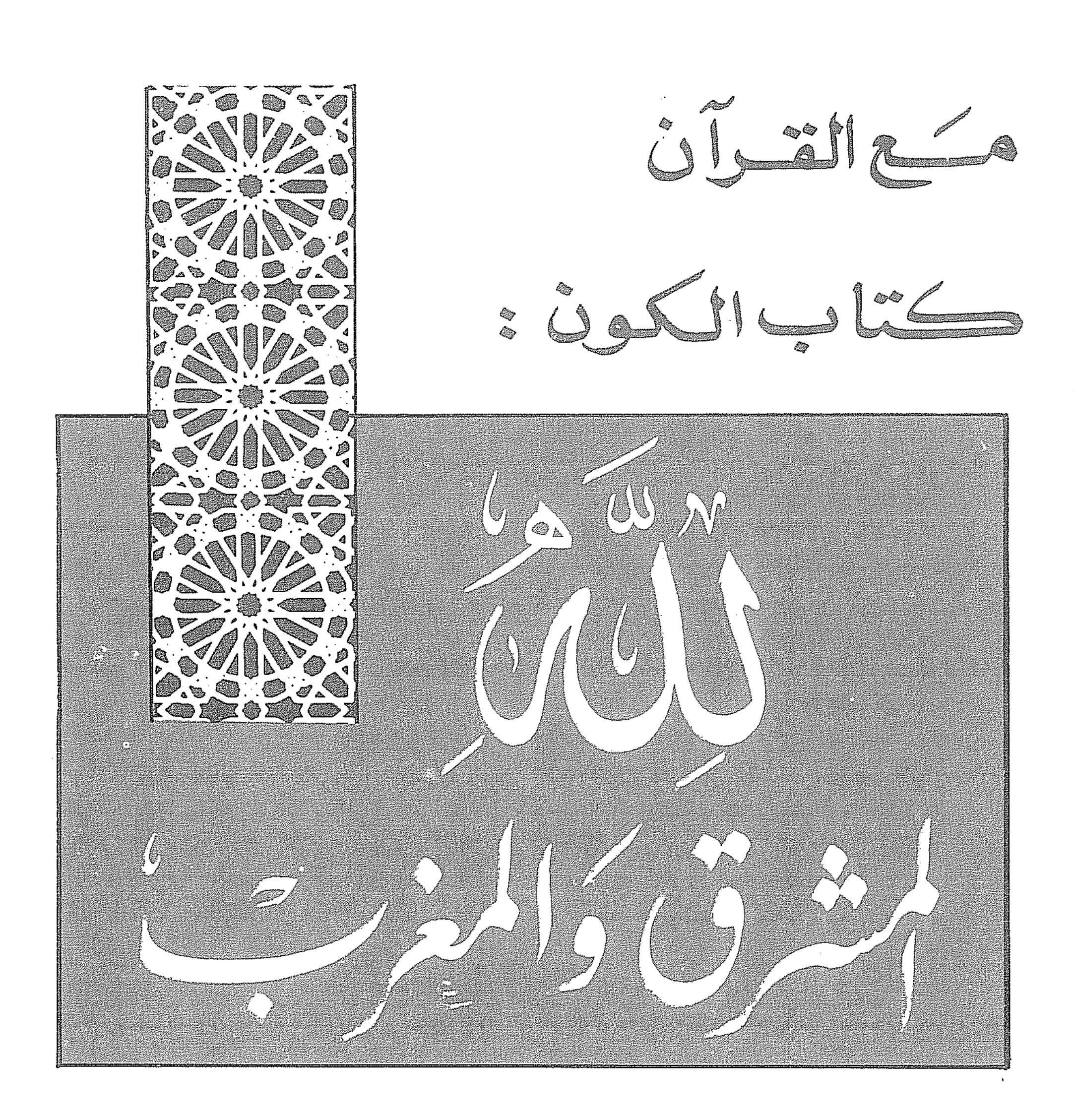
وثمة مسألة أخرى لا أحب أن أختم مقالى قبل أن أجلوها ، فلقد قال دى بور فى كتابه تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة ، ما يأتى : « والفارابى يذهب الى أن حكمة الفلاسفة وكذلك حكمة الأنبياء تفيض عن العقل الفعال ، وهو يذكر النبوة بين حين وآخر ويصورها بأنها أعلى مرتبة يبلغها الإنسان فى العلم والعمل ، ولكن هذا ليس رأيه الحقيقى، أو على الأقل ليس هو النتيجة المنطقية التى تلزم عن فلسفته النظرية ، فقول هذه الفلسفة إن كل أمور النبوة فى الرؤيا والكشف والوحى ونحوها تتصل بالخيال ، فهى فى المرتبة الوسطى بين الإحساس وبين المعرفة العقلية الخالصة، على انه إذا كان الفارابى فى آرائه فى الأخلاق والسياسة ، يجعل للدين شأنا كبيرا فى التهذيب ، فهو يعده من حيث قيمته الأخيرة أوفى مرتبة من المعرفة العقلية الخالصة » .

هذا هو كلام دى بور . ولكنا نرى أن الفارابى لم يلحظ هذه التفرقة . ويتفق معنا فى هذا الرأى الدكتور إبراهيم مدكور فى رسالته الفرنسية للدكتوراه المعنونة بـ « مكانة الفارابى فى المدرسة الفلسفية الإسلامية » . فقد رأى أن المعرفة عند الفارابى تترتب قيمتها على منبعها لا على وسيلتها ، فالفيلسوف والنبى يأخذان المعرفة عن العقل الفعال ، زد على ذلك أن هناك قوة قدسية فوق قوة المخيلة يتصل بها النبى ، وهى على حد تعبير الفارابى فى كتابه فصوص الحكم : « قوة يذعن لها بالغريزة عالم الخلق الأكبر ، كما يذعن لروحك عالم الخلق الأصغر فيأتى النبى بمعجزات خارقة للعادات » .



مع القرآن

كتاب الكون :



للدكتور احمد الشرباصى

لا تزال الشكوى مرة من جهل كثير من شبابنا بالدين ، وأعراضهم عن مائدة القرآن ، وبعدهم عن كتاب الله عز وجل ، وما زال هذا الجهل يخلف عواقبه السود بين هؤلاء ، ويسيء الى كرامة الاسلام بين أهله ، ويسيء الى سمعته بين الناس .

وهذا شاب مسلم يقبل نحوى ضائقا حانقا ، يقول : أن القرآن يتناقض مع نفسه ..

فعاجلته بالسؤال : أهذا شيء أدركته بنفسك وبحثك ، أم شيء قيل لك ، أو دس عليك .. ؟

قال : بل شيء قيل لى ، ولكن ليس المهم أن يكون قد قيل لى أو أدركته بنفسي . المهم أن التناقض موجود فى القرآن .. !

قلت له : وأين .. ؟

أجاب : ان القرآن يحدثنا مرة عن رب المشرق والمغرب ، ثم يحدثنا

مرة أخرى عن رب المشرقين ورب المغربين .. فكيف توفق بين هذا وذاك .. ؟

فقلت له — لأثير انتباهه أكثر — : ان القرآن الكريم لم يكتف بهذا ، بل حدثنا أيضا عن رب المشارق والمغارب ..

فقال الشاب مستغربا : لقد زادت المشكلة تعقدا . وزاد التناقض وضوحا ..

فأجبته : ليست المشكلة الا في عقولنا الضيقة ، وليس التناقض الا في فهمنا القاصر ، واليك البيان :

ان الله تبارك وتعالى يقول في سورة البقرة : « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ، ان الله واسع عليم » . ويقول في سورة البقرة أيضا . « قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم » . ويقول في سورة المزمل : « رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا » .

والمشرق حيث تطلع الشمس وتضيء ، والمغرب حيث تختفي الشمس وتغيب . ومقتضى ربوبية الله للمشرق والمغرب أنه مالك لهما ولما بينهما من الموجودات ، وأنه المتصرف فيهما وفيما يحويانه من أشياء ، فهو اذن مالك الملك ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، فلا يجوز أن نمجد غيره ، ولا يصح أن نعبد سواه ، وهو فوق الجميع ، ومع الجميع ، وهو في كل مكان ، وأن لم يحوه مكان : « فأينما تولوا فثم وجه الله ، ان الله واسع عليم » .

ثم يقول كتاب الله الحكيم في سورة الرحمن : « رب المشرقين ورب المغربين ، فبأى آلاء ربكما تكذبان » . ولا تناقض بين هذه الآية والآية السابقة ، فالآية الاولى تتحدث بأسلوب عام عن جهتى المشرق والمغرب اللتين يعبر بهما عما بينهما ، وهو يشمل الارض كلها .

وأما آية « المشرقين والمغربين » فتتحدث عن ملك الله الواسع بشيء من التفصيل . والمشرقان هما مشرق الشمس ومشرق القمر ، والمغربان هما مغرب الشمس ومغرب القمر ، أو المشرقان هما مشرق الشمس صيفا ، ومشرق الشمس شتاء ، والمغربان هما مغرب الشمس صيفا، ومغرب الشمس شتاء .

ومن الظاهر للعين أن المشرق والمغرب يختلفان في الصيف والشتاء . وكأن هذا التفصيل لفت للأبصار والبصائر الى سعة ملك الله ، وانفساح مداه ، وتعدد مظاهره ورؤاه ، ولذلك جاء بعد آية المشرقين والمغربين قول الله جل علاه : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » .

ولقد تعرضت لهذا الموضوع في مقام آخر ، ولم أكن اطلعت على ما كتبه الإمام ابن القيم في كتابه الجليل (بدائع الفوائد) حول هذا الموضوع ، فهو يتعرض لمجيء بعض الالفاظ في القرآن الكريم مجموعة أو مفردة ، مثل لفظتي (الشمال والشمائل) ، ثم يقول :

« ومن هذا المعنى مجيء المشرق والمغرب في القرآن تارة مجموعين ، وتارة مثنيين ، وتارة مفردين ، لاختصاص كل محل بما يقتضيه من ذلك ، فالأول كقوله : « فلا أقسم برب المشارق والمغارب » ، والثاني كقوله : « رب المشرقين ورب المغربين فبأى آلاء ربكما تكذبان » ، والثالث كقوله : « رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا » .. فتأمل هذه الحكمة البالغة في

تغاير هذه المواضع في الإفراد والجمع والتثنية بحسب موادها ، يطلعك على عظمته القرآن وجلالته ، وأنه تنزيل من حكيم حميد ، فحيث جمعت كان المراد بها مشارق الشمس ومغاربها في أيام السنة وهي متعددة ، وحيث أفردا كان المراد أفقي المشرق والمغرب ، وحيث ثنيا كان المراد مشرق صعودها وهبوطها ومغربيهما ، فانها تبتدىء صاعدة حتى تنتهى الى غاية أوجها وارتفاعها ، فهذا مشرق صعودها ، وينشأ منه فصلا الخريف والشتاء . فجعل مشرق صعودها بجملته مشرقا واحدا ، ومشرق هبوطها بجملته مشرقا واحدا ، ويقابلها مغرباها . فهذا وجه اختلاف هذه في الإفراد والتثنية والجمع » .

ويمضي الإمام في حديثه مشيرا الى أن العلماء لم يطرقوا باب هذا البحث ، ثم يعلل لمجيء كلمتي (المشرق والمغرب . مفردين بقوله :

« ثم تأمل ورودهما مفردين في سورة المزمل لما تقدمهما ذكر الليل والنهار ، فأمر رسوله بقيام الليل ، ثم أخبره أن له في النهار سبحا طويلا . .

فلما تقدم ذكر الليل وما أمر به فيه ، وذكر النهار ، وما يكون منه فيه ، عقب ذلك بذكر المشرق والمغرب اللذين هما مظهر الليل والنهار .

ثم يعلل الإمام لمجيئهما مثنيين بقوله : « لما كان مساق السورة (يعنى سورة الرحمن) مساق المثاني المزدوجات : فذكر أولا نوعى الايجاد ، وهما الخلق والتعظيم ، ثم ذكر سراجي العالم ومظهري نوره ، وهما الشمس والقمر ، ثم ذكر نوعي النبات : ماقام منه على ساق ، وما انبسط منه على وجه الارض ، وهما النجم والشجر ، ثم ذكر نوعي السماء المرفوعة والأرض الموضوعة ، وأخبر أنه رفع هذه ووضع هذه ، ووسط بينهما ذكر الميزان ، ثم ذكر العدل والظلم في الميزان ، فأمر بالعدل ونهى عن الظلم ، ثم ذكر نوعي الخارج من الأرض ، وهما الحبوب والثمار ، ثم ذكر خلق نوعي المكلفين ، وهما نوع الانسان ونوع الجان ، ثم ذكر نوعي المشرقين ونوعي المغربين ، ثم ذكر بعد ذلك البحرين الملح والعذب .

فتأمل حسن تثنية المشرق والمغرب في هذه السورة ، وجلالة ورودهما لذلك ، وقدر موضعهما اللفظ مفردا أو مجموعا ، تجد السمع ينبو ، ويشهد العقل بمنافرته للنظم » .

ثم يقول كتاب الله الحكيم في سورة المعارج : « فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون ، على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين » . ويقول في سورة الأعراف : « وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها » . ويقول في سورة الصافات : « رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق » .

والمشارق والمغارب هنا معناها : المشارق والمغارب للكواكب العديدة والنجوم الكثيرة ، وفي طليعتها الشمس والقمر .

كما أنها قد تعني المشارق

والمغارب المتوالية على بقاع الأرض، وهي تتوالى في كل لحظة ، ففي كل لحظة أثنـــاء دوران الارض حول نفسها أمام الشمس ، يطلع مشرق ويختفي مغرب .

والتعبير بكلمتي (المشـــارق والمغارب) — وهما جمع — يوحي بضخامة الوجود ، وعظمة الخـالق لهذا الوجود ، ففي كل ناحية مشرق، وبعد كل مشرق مغرب ، والضوابط دقيقة ، والنظام محكم ، والسيطرة الإلهية شاملة ، « إنا كل شيء خلقناه بقدر » ، فتبـــارك الله أحسـن الخالقين .

ويروى أن المراد بالمشـــارق هو مشارق الشمس طوال الســـنة ، وللشـــمس — كما يقول المفسر البيضاوي — ثلاثمائة وستون مشرقا في السنة ، تشرق كل يوم في واحد منها ، وبحسبها تختلف المغـــارب ، فيكون هناك مغارب بعدد المشارق . والخـــبراء العلماء يقررون أن الله تبارك وتعالى هو خالق السموات السبع ، وما بينهما من مختلف الأجرام السماوية وكواكبها . وهو سبحانه القيم المهيمن كذلك على مواضـع شروق الشمس وشروق ســـائر الكواكب والنجوم ، فهو الذي يظهرها كل يوم في موضـــع من الأفق الشرقي ، يختلف عن الموضع الذي أظهرها منه في اليوم السابق .

وذلك بما سنه في النظام الشمسي من قوانين ، حيث تدور الارض حول محـورها ، مـن الغـرب الـى الشرق كل يوم مرة ، وتجـرى في فلكها حول الشـــمس في الوقت نفسه ، وكلما غيرت الارض موضعها في رحلتها على القبة السماوية ، بدت مشرقة في مواضع مختلفة .

وتستمر رحلة الشمس والقمر ، فتنبني عليها حركة الليل والنهار ، ومن وراء تتابع الليل والنهار تجرى الحياة الواسعة ، وينشـــط الأحياء الذين لا يعلم الا الله أصـــنافهم وأعدادهم وطرائقهم، والى هذا أشار القرآن الحكيم ، فقال في ســـورة يونس : « هو الذي جعل الشمس ضـــياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحســـاب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ، ان في اختلاف الليل والنهـــار وما خلق الله في الســـموات والارض لآيات لقـــوم يتقون » .

وتتسع الحركة في الحياة الانسانية الهائلة ، ونتذكر — ان كنا من أهل الذكرى — هذه الدقة في نظام الكون، وهذه الروعة في تسييره وتدبيره ، فنتذكر قول الحق جل جلاله في سورة يس : « والشـــمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقـــمر قدرناه منـــازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون » .

وقد جاء في (بدائع الفوائد) عن كلمتي المشـــارق والمغـــارب هذه العبارة : « ثم تأمل مجيئهما مجموعين في سورة المعارج ، في قوله : « فلا أقسم برب المشارق والمغارب ، إنـــا لقادرون ، على أن نبدل خيرا منهـم وما نحن بمسبوقين » .

وأيضا فان تأثير مشارق الشمس

ومغاربها فى اختلاف أحوال النبات والحيوان أمر مشهور ، وقد جعل الله تعالى ذلك بحكمته سببا لتبدل أجسام النبات وأحوال الحيوانات ، وانتقالها من حال الى غيره ، ويبدل الحر بالبرد ، والبرد بالحر ، والصيف بالشتاء ، والشتاء بالصيف ، الى سائر تبدل أحوال الحيوان والنبات والرياح والأمطار والثلوج ، وغير ذلك من التبدلات والتغيرات الواقعة فى العالم بسبب اختلاف مشارق الشمس ومغاربها ، كان ذلك تقدير العزيز العليم .

فكيف لا يقدر — مع ما يشهدونه من ذلك — على أن يبدل خيرا منهم ؟ وأكد هذا المعنى بقوله : « وما نحن بمسبوقين » .

فلا يليق بهذا الموضع سوى لفظة الجمع ..

ثم تأمل كيف جاء تأيضا فى سورة الصافات مجموعة فى قوله : « رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق » . لما جاءت مع جملة المربوبات المتعددة ، وهى السموات والارض وما بينهما ، كان الأحسن مجيئها مجموعة ، لتنتظم مع ما تقدم من الجمع والتعدد .

ثم تأمل كيف اقتصر على المشارق دون المغارب ، لاقتضاء الحال لذلك ، فان المشارق مظهر الأنوار ، وأسباب انتشار الحيوان وحياته وتصرفه ومعاشه وانبساطه ، فهو انشاء مشهود ، فقدمه بين يدى الرد على منكرى البعث ، ثم قدر الموت وحالهم فيه ، وكان الاقتصار على ذكر المشارق ها هنا فى غاية المناسبة للغرض المطلوب ، والله أعلم » .

— ● —

وكأن الحق جل جلاله يريد وهو أعلم بمراده — من تحديثنا عن المشرق والمغرب — افرادا وتثنية وجمعا — أن يوقد فى صدورنا شعلة الايمان بابداعه ، لكى نرتفع الى حماه ، ونستمسك بعبادته وهداه ، ونهذب أنفسنا لحسن الاستعداد ليوم لقاه : « والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها ، والنهار اذا جلاها ، والليل اذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » .

وهكذا حدثنا القرآن الحكيم عن ر بالمشرق والمغرب ، ورب المشرقين والمغربين ، ورب المشارق والمغارب ، دون تناقض أو تعارض : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » ، فلنقبل على مائدة القرآن متدبرين ، لنزداد صلة برب المشرق والمغرب ، ورب المشرقين والمغربين ، ورب المشارق والمغارب ..
وعلى الله قصد السبيل .

قصة ..



عقبات في الطريق

للاستاذ محمد رشدي عبيد

(ابو يحيى) هو اللقب الذي اطلقه اهل بلاد ما وراء النهر على الشاب المؤمن والعالم الرباني الذي ذاع صيته وانتشر اسمه في أرجاء تلك البلاد الممتدة الرخية ، وكان هذا اللقب الأثير يشنف أسماعهم ، ويطرب قلوبهم ، ذلك لأنهم لم يطلقوه عليه اعتباطا أو يتفضلوا به عليه منة وتبرعا كالألقاب العادية التي يمنحها الناس لأصدقائهم ومعارفهم ! بل انه كان يعني وبالضبط تجرد صاحبه لاحياء موات القلوب ، وأيقاظ غافية النفوس ، ورد التائهين الى رحاب الايمان حيث الحياة الحقيقية والسعادة الأبدية .

وكان (ابو يحيى) يملك مواهب رئيسية اهلته لتولى مهمة الدعوة الى الله ، وارشاد الخلق الى جادة الحق .

اولها : اخلاص عميق لله ملك عليه جميع مشاعره واحساساته ، وركز في دائرة رضا خالقه سائر مواقفه وتصرفاته .

وثانيها : نصيب عظيم من ميراث النبوة ، تلك التركة الضخمة التي ورثها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من النور والهدى والعلم النافع .

وثالثها : معين لا ينضب من عاطفة مشبوبة متوقدة كانت تمده بطاقة هائلة

وحيوية دافقة وحماس كبير لمتابعة عمليـــة التغيير النفسي والاحيـاء الروحي الذي ندب نفسه لها .. لهذا فقد شهد له احد معارفه بأنه كان :

« يفيض حيوية ، تموج في نفسه الانفعالات الحبيسة ، لا يقر له قرار ولا يهدأ له بال ، ولا يتنعم براحة أو متاع ما دام مجتمعه يزخر بمبادىء تناقض عقيدته، وقيم ونظم وتصورات تخالف اتجاهاته وقيمه التي استمدها من (القرآن) كتاب الله الخالد ، الذي يهدي للتي هي أقوم ، ذلك الكتاب الذي جعله إستاذه في مدرسة العقيدة والخلق ، كما اتخذه رائده في سلوكه ، ومعينه الثر في ارواء ظمأ روحه ، اضافة الى كونه : سميره في خلوته ، وانيسه في وحشته ، ومجليا لأحزانه ، ومروحا عن روحه » .. !

ويصفه احد شيوخه بانه كان :

« مثال المؤمن الصادق ، تساقطت عن قلبه زخارف الدنيا ، وتبخرت منه الأهواء والعواطف والاهتمامات الصغيرة ، سلس القياد للهدى ، سهل الانقياد لدواعي الخير ، صعب الاستجابة لدواعي السقوط في جواذب الأرض ومغرياتها ، صامد أمام العقبات والمعوقات التي تعترض خط سير المصلحين الربانيين » .

وكان لأبي يحيى خليل صالح يرافقه في دعوته وجهاده ، وفراغه وشغله ، وليله ونهاره ، لا يفارقه الا لحاجة ماسة ، يذكره اذا نسي ، ويعينه اذا ذكر ، ويقويه اذا ضعف ، وينشطه اذا أصابه الاعياء والتعب ، ويسري عنه ما يلقاه من العنت والاعراض في دربه الميمون .. انه الشاب الصالح (مشكور) الذي حط الرحال عند (أبي يحيى) واجدا فيه العالم القدوة الذي يشغل الاسلام قلبه وعقله ، ويتمثل القرآن في خلقه وسيرته ، ويفوح عبير الاخلاص من مواقفه ، فعض بالنواجذ عليه بعد سفر شاق ورحلة مضنية في طلب رائد مخلص ، والتماس داعية مجاهد .. !

وبالرغم من استقامة (أبي يحيى) على مقتضيات ايمانه ، والتزامه الدقيق بجزئياته ومفرداته وبذله السخي لما تتطلبه مهمته من مال ، ووقت ، وجهد ، الا انه لا يزال يذكر نفسه بين الحين والآخر بقول شيخه (البناني) رحمه الله ، ذلك القول الذي يرن جرسه العذب في اذنه وتتجاوب أصداؤه في رحاب قلبه المرتعش كلما ذكره أو تذكره ..

ها هو (ابو يحيى) في جلسة من جلسات المحاسبة النفسية ، معتدل في جلسته ، تومض عيناه ببريق غريب .. يحدق في منظر من عالم الغيب .. يسمع نفسه انذار شيخه من جديد لتتعظ وتستقيم ، ذلك

الانذار الذى يتجاوز المكان والزمان والفواصل المادية ليمس شغاف قلبه : « يا بنى ! عقبتان تعترضان سير الداعى الى الله ، وقد تمنعانه من أداء رسالته فان اجتازهما فقد نال الدرجات العلى ، وان لم يراقب نفسه ويجاهدها عند عبوره بهما ، زلت به القدم ، وانقطع سيره الى الآخرة حيث يرضى بالدون فى العرض والزهيد فى المتاع ، وينحط من مستواه السامى ، ويشوب صفو تجرده الكدر ، فيسبقه الركب المبارك ، وقد تنال ايمانه خدوش عميقة تؤثر على مستقبله ومصيره يوم الدين . انهما فتنتان : المال والمرأة ! » .

ويدخل ابو يحيى فى حساب مع نفسه يعاتبها فتستعتب ، ويلومها فتعتذر ، ويحاسبها فتقدم الحساب بدون وجل أو تردد : « يا أبا يحيى ، ألست طوع امرك ورهن اشارتك ، تدعونى الى الخير فاستجيب ، وتكفنى عن الشر فامتنع ، أم لعلك تبغى معرفة درجة ثباتك امام فتنة المال الوفير الذى رزقك الله ! اطمئن فان الدنيا لم تنل منك شيئا ، ألست تساهم بمالك فى مختلف مشاريع الخير التى تعود على المسلمين بالنفع ؟ ألست تزود المجاهدين فى سبيل الله بحصة ثابتة من دخلك لتمكينهم من دحر عدوهم ، واسترداد ديارهم ، واعلاء شرف امتهم .. ؟ وهؤلاء اخوانك فى الله، تستضيفهم، وتقضى حوائجهم ، وتفرج كروبهم ! أما البائسون فقد نال كثير منهم حظا وافرا من مالك حيث عادت البهجة الى نفوسهم الكئيبة ، وشاع الرضى فى قلوبهم الحزينة ! أتذكر تلك السعادة النفسية الغامرة التى شعرت بها ، والفرح الشفيف الذى أحسست به ، حين أسعفت تلك الارملة المنكوبة وأيتامها الصغار بما يقيم أودهم ويستر خلتهم ويفرج كربتهم ؟ أتذكر مشهد تفتح زهرات وجوههم الذابلة وانتعاشها وتمايلها طربا وسرورا ؟ أستحضر فى ذهنك بعض الوقائع والمشاهد والصور الحية المضيئة من سيرتك الحافلة بالخير لترى انك على الدرب سائر ، وان المال لم يطغك ، وان الامور تجرى فى مجاريها ! » .

تمتم ابو يحيى : الحمد لله ، لقد اجتزت العقبة الاولى ، وبصوت يعبر عن العزم الثابت والتصميم الراسخ قال : لأغذ السير اذن ، لأسارع الى الجنة التى قد تزينت وتجملت للقاء عباد الله الصالحين ، لأبذل المهر السخى لها فهى والله تستحق كل بذل وتضحية .. وفجأة يقفز الى ذهنه خاطر خير يخاطبه : « يا أبا يحيى ، أنا لك رحما فى بلدة (كذا) فى ولاية الجبال وانك قد قطعت حبال وصلهم منذ أمد بعيد ، ألم تسمع قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : « الرحم صلتى من وصله وصلته ، ومن قطعه قطعته ؟! »

ويفكر ابو يحيى ثم يتساءل باشفاق ووجل : « كيف تنقطع صلتى بالله عز وجل ؟ أنا الذى قضيت شبابى فى طاعته ، أنا الذى ادعو صباح مساء الى حبه ، وأبين للناس طريق مرضاته ، ثم أردف : « لا ، هذا لن يكون ، سأسد هذه الفجوة فى علاقتى بربى ، سأحسن صلتى به ، وهل لى من غاية سواه ؟! » .

بكر (أبو يحيى) الى صلاة الصبح فى المسجد القريب من بيته فى اليوم التالى ، ولما فرغ من أداء صلاة كلها خشوع وانابة واخبات ، تلا شيئا من كلام الله عز وجل

بصوته العذب الجميل شعر اثر ذلك بنشـــوة غريبة واطمئنـــان نفسي مفاجيء ، فنهض خفيفا وتناول طعام الفطور في البيت واخبر اهله ورفيقه ومريديه بأنه عازم على السفر الى ولاية الجبال فودعوه جميعا الا رفيقه المخلص (مشكور) الذي اصر على مصاحبته في ســـفره لأنه لم يكن يصبر على فراقه لحظة ، وبعد فترة قصـــيرة كنت ترى (أبا يحيى) وصديقه (مشكور) واقفين في مقر القوافل العامة ، يحمل كل منهمـــا حقيبة سفره ، بانتظار القافلة التي تنقلهم الى (ولاية الجبال) .

تهيأت القافلة للسفر الشـــاق البعيد ، واخذ كل من المســافرين مركبهما على دابتين من الدواب ، وطفقا يقرءان دعاء السفر بايمـــان وثقة .. وغذت القافلة في سيرها الحثيث تنزل في المحطـــات المعدة لنزول القوافل فتأخذ قســـطا من الراحة ثم تتزود بالطعـــام والمـــاء وتعلف الدواب وتبدأ السيـــر مـــن جديد .. الى ان وصلت الى محطتها الاخيرة حيث مبتغى صاحبنا ومراده فحطت الرحال والقت عصـــا التسيار وسار كل شخص لشأنه ، اما (أبو يحيى) فلغربته في البلدة سأل احد الصبيان الـــذين تجمهـــروا في محط القوافل للتفرج على المسافرين بدافع من حب الاستطلاع ، سأله عن موقع دار عمه (ابي ليث) فلبث الصبي هنيهة يفكر ثم التمعت عيناه بغتـــة وقال بسرور : انا ادلك عليه يا عم ، اتبعني .. فدله عليه شـــاعرا بلذة كبيرة لتمكنه من تقديم معونة لأحد الغرباء ! فشكره الاثنان فودعهمـــا وانصرف .

تقدم (ابو يحيى) الى باب الدار وطرقه طرقات خفيفة ، ثـــم وقـــف الى اليمين منتظرا الجواب ، ففتـــح الباب فظهر فيه عمه الشيخ الوقور (ابو ليث) وعندما وقعت عيناه على ابن أخيه هش في وجهه وبش وأظهر سرورا عظيما ثم تقدم منه فصافحه وعانقه ثم عرفه (ابو يحيى) بصديقه فصافحه أيضا ورحب به اجمـــل ترحيب ودخلوا الدار جميعـــا حيث لقوا من اهلها كل اكرام واحتفـــاء وحسن ضيافة مما انســـاهم وعثاء السفر ومتاعب الطريق الطويل .. !

مكث (ابو يحيى) عند ذوي قرباه ما شاء الله له ليقضي الله فيه امرا كان مفعولا ، لم يكن يعلم ما يخبئه له الغيب المكنون من الاصطدام العنيف بالعقبة الثانية والارتطام بجـــدارها القاسي .. ! لم يكن يتوقع ابدا انه سيخوض غمار حرب نفسية مستعرة الاوار بين عقيدته وهواه .. ! لم يدر بخلده قط ان نظرة واحدة الى مدخل الدار الذي يواجه دار عمه ستجره الى متاهة روحية قاتمة ، وتعرضه الى ضائقة نفسية خانقة ، لو علم ذلك ، لو استشف شيئا من قدره المجهول لما رفع بصره الى باب ذلك البيت ولما رأى تلك الفتاة التي سلبت لبه ولولا جهالته لما بدرت منه تلك النظرة النشاز الى منظر حرمه الله .

تذكر (ابو يحيى) قوله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم » فخفض من نظره وصوبه الى الارض ، لكن هاتفـــا ما ومن اعماق قلبه الح عليه ان يتملى جمال تلك الفتاة ويرتوي من حسنها لقد قال له : نظرة ثانية تطلعك على سر فتنتها الآسرة ولغز جاذبيتهـــا المحيرة ، انها فرصة ســـانحة فلا تفلتها .. !

وبينما هو يجاهد ذلك الهـــاتف

عقبتان في الطريق..

ويصارعه ويستمين عليه بمدد من وصية المربى الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم « لا تتبع النظرة النظرة فان النظرة الاولى لك وليست لك الثانية » ، اذا بعينيه يخونان الأمانة ويتفقان على اختلاس نظرة ثانية كانت كأنها لقطة بارعة لآلة تصوير حديثة حيث طبعت صورتها في مخيلته مجسمة ملونة .. ! ثم قامت مشاعره بتكبير تلك الصورة حتى غطت مساحة كبيرة من تفكيره .. ورآها إبليس مناسبة طالما تمناها فشمر عن ساعديه ودخل المعركة غير المقدسة بكل فكره ودهائه وفنون أضلاله ، فقام بدور المرتش الذى رتش الصورة وزينها وزخرفها واطرها حتى بدت لصاحبنا الأسير نسخة مطابقة الأصل للقمر المنير وطبعة جديدة منقحة للمراة تلوفى فيها كل نقائص الطباعة فغدت اجمل من أن تنتقد ، وأجمل من أن تعاب .. !!

وكانت أيام عاش فيها صاحبنا موزع الفكر ، مبلبل الخاطر ، فؤاده خال الا من حبها ، واهتماماته دائرة حول رؤيتها ، لقد توحل بأطيان الهاوية ، وبدأ وجهه يفقد سيماه النورانى وتعلوه مسحة من دخان الاثم ، كما أن قلبه الخاشع أخذ يقسو ويفقد رونقه وصفاءه ورقته ، ولم يبق من منهجه الروحى اليومى سوى خمس صلوات ينقرها نقر الديك ولا تحقق آثارها التربوية والنفسية والروحية .. !

شيء واحد كان يمنع (أبا يحيى) ويصده عن إخبار رفيقه واقاربه بحقيقة موقفه ، ودلالتهم على خبيئة نفسه ، شيء واحد لولاه لأوضح لهم مراده ، وكشف لهم عن غايته ، وحينذاك كان من المتوقع أن يتم كل شيء على ما يحبه ويرضاه حيث يتقدم عمه لخطبة (دلال) وطلب يدها من والدها الذى تربطه بعمه أوثق صلات الجيرة والصداقة بحيث لا يعتقد انه سوف يرفض طلبه .. انه شيء واحد لكنه لا يستطيع تجاهله والاغضاء من اهميته لانه يتعلق بعقيدته وقيمه ومبادئه فهو منذ تعلق واتصل بالسماء بسبب ، قد ذاق حلاوة الايمان ، وشعر باستعلائه على موازين الأرض وقيمها ومقاييسها ، منذ ذلك يأبى أن ينحدر الى المتردى السحيق الذى انحدر اليه الماديون الملتصقون بالتراب فكرا وخلقا وسلوكا ، و (دلال) كما علم فتاة من اهل هذا العصر تلبس ما تريد أو يراد لها ، وتتصرف كما تشاء أو كما يخطط لها ، وتؤمن بأفكار ومبادىء مستوردة عن طريق البر أو البحر أو الجو ، لا تحقق انسانيتها ، ولا تلائم فطرتها ، ولا تناسب أنوثتها ، ولا تراعى امكاناتها ، انها فتاة متحررة من الفضيلة ، ثائرة على الفطرة ، لهذا فهو لا يتصور إمكان انسجامه معها الا اذا تنازل عن مبادئه ، وأعفى نفسه من الانتساب الى أهل الايمان .. وهذا لن يكون باذن الله .. !

وبلغت المحنة أشدها وضاقت على صاحبنا نفسه كما عجز عن الدفاع عن قلبه الأسير أمام الوازع الايمانى الذى يحامى عن عقيدته من أن تضعف أو تتلاشى فتسلل لواذا

الى رفيقه الأمين يبوح له بالسر ويطلعه على حقيقة الأمر الذى أشغله وأغفله ويشكو اليه ما أصابه من الضر بسببه ، وكان (مشكور) يلاحظ بدقة التغير المفاجيء الذى ينتاب قدوته ورائده ، ويستغرب اهماله لأذكاره وأوراده ، وحبه للخلوة ، وشرود ذهنه ، وكثرة صمته كأنه يفكر فى أمر شائك أو يعاني مشكلة عويصة أو ينتظر أزمة قريبة ، ولكنه كان يكتم استغرابه ويخفى قلقه احتراما لاستاذه حتى تلك اللحظة التى اخبره فيها هو بنفسه وحينذاك شمر الخليل الناصح عن ساعد الجد فسأل أستاذه عن كل ما يتعلق بالقضية من قريب أو بعيد ثم أخذ يحلل عناصرها فى فكره الثاقب ووعيه المؤمن الى أن وصل الى هذا الجواب الشافى فبدأ يذكره لاستاذه بلهجة تعبر عن تقديره العميق له ، واشفاقه الشديد عليه قال : « أنت تعلم يا استاذى بأن الزواج سنة من سنن بقاء الحياة الانسانية ، وهى ان كانت ضرورة فى العصور المتقدمة ، فان ضرورتها فى هذا العصر قد غدت أحتم والزم فقد تعددت فنون الاغراء ، ووسائل الاثارة والاغواء ، ويصعب على الشاب المؤمن أن يصمد أمام التيار الجارف الذى يهدد ايمانه فى كل لحظة ، وفى كل مناسبة ، وفى كل مكان ، وأنت صاحب دين وتقوى وخلق لا تفرط بايمانك ، ولا تتنازل عن مبادئك ، فالزواج لك ولامثالك شيء لا بد منه ، ولكن ليست كل فتاة تصلح أن تكون زوجة لك ، وأما لاولادك ، وسكنا لنفسك ، انها الفتاة الصالحة التى ترعرت فى بيت مؤمن ، وتكونت شخصيتها الفكرية والخلقية والعاطفية فى بيئة اسلامية صحيحة ، انها الفتاة التى تؤمن بعقيدتك وتقدر اتجاهك لتعينك فى مسيرك ، وتحثك على الالتزام بمبادئك ، وتخفف عنك أعباء جهادك ودعوتك ، اما (دلال) فيؤسفنى أن اقول حسب وصفك انها من (خضراء الدمن !) وأنت أعلم منى بتعريف رسول الله صلى الله عليه وسلم لخضراء الدمن ، ثم علا صوته واشتدت نبرته وقال بلهجة منذرة : « يا ابا يحيى اسمع جيدا .. افتح قلبك وتدبر : لا تنكص على عقبيك ، ولا تنقض عزمك انكاثا ، اياك أن تهدم صرح التقوى الذى بنيته بعصارة جهودك ، وزهرة شبابك ، شأنك أن تنظر الى مستقبلك الحقيقى فى الدار الآخرة وأن تختار المرأة التى تقضى معك دنياك فى ظل أخلاق القرآن الكريمة ، ثم ترافقك الى جنات الخلد حيث السعادة الأبدية « هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون » واذا ما صممت على الزواج فضع القاعدة النبوية الخالدة نصب عينيك فى اختيار شريكة حياتك « فاظفر بذات الدين » . ثم سكت وهو يستشف من عينى أستاذه تأثير كلامه في قلبه فيتملكه شعور غريب بالسعادة حيث استطاع أن يأخذ بحجزه عن اقتحام النار ..

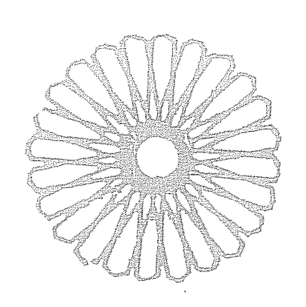
صمت أبو يحيى ولكن كانت هناك تحولات تجرى فى باطنه وانجازات ضخمة تتم فى ضميره فقد انسرب النور الى قلبه واخذ يطرد جنود الظلام ، ويزيل كثافة الاعراض ، وينفض غبار الاثم ، فيستيقظ من رقدته البائسة ، ويتقدم نحو شرنقة السيقان الزاهية التى نسجها حول

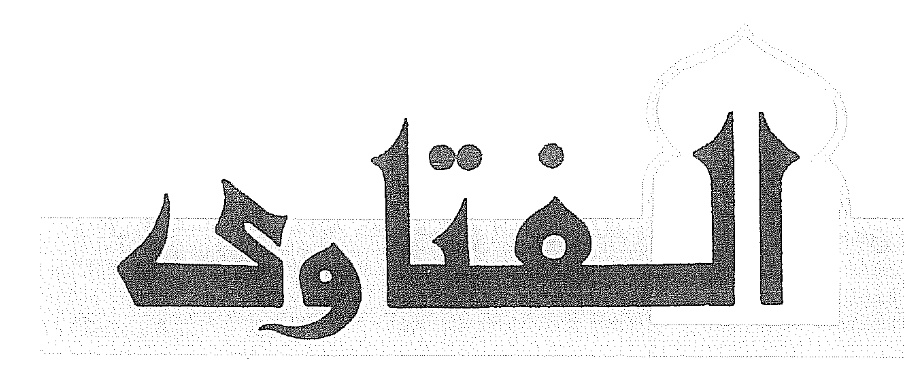
عقبتان في الطريق..

مشاعره وتصوراته فيمزقها شر ممزق ، ويستعيد لباس التقوى فيكتسي به من جديد ليواري سوءات فكره ومزالق نفسه ويعزم في نفسه أمرا .. !

وفي صباح اليوم التالي تناول الجميع طعام الفطور فأبدى (أبو يحيى) لعمه وأبناء عمومته رغبته في الرجوع الى بلده شاكرا لهم حسن الضيافة وكرم النفس وسمو المعاملة فلما فرغوا من تناول الطعام قام (أبو يحيى) وصاحبه (مشكور) يحزمان حقيبتيهما ، ثم ودعا من قبل أهل الدار بنفس الحفاوة والتكريم اللتين استقبلا به وبنشوة القائد الظافر الذي نجا من آخر كمين للعدو بخطة حربية مبتكرة ، عاد المجاهد الى بلده وعلى شفتيه ابتسامة حلوة تعبر عن فرحة قلبه واطمئنان نفسه ، وطول الطريق لم يكف لسانه عن الشكر لله على أن مد له حبال وصله من جديد بعد أن ذاق مرارة البعد عنه ، وبين الحين والآخر يلتفت الى صاحبه الناصح (مشكور) ومن أعماق قلبه يقول له : سوف لا أنسى فضلك ما عشت ، فقد جعلك الله تعالى قارب نجاتي وسبب انابتي ، لقد زادت مكانتك في نفسي علوا ورفعة ، انك انت الخليل الصالح الذي ذكرتني حين نسيت ، وأقلقتني حين عثرت فشكرا لك .. !

وعندما وصلا الى مشارف البلدة رأيا من بعيد الجموع المحتشدة التي تنتظر كل مساء عودة عالمهم ورائدهم بشوق شديد ولهفة حرى ، وعاد القائد الى الميدان من جديد يسدد خطى مريديه ، ويزكي أرواحهم وينير بصائرهم كما أخذ يفكر في الزواج بأسلوب صحيح .. أما الشيطان فقد ولى وجهه هاربا لا يلوي على شيء ، وهو يردد بصوت عم أرجاء البلدة ولم يسمعه الا الأبالسة : يا للأسف ، يا للحسرة ، يا للفشل الذريع ! معشر الأبالسة لا تكرروا تجربتي الفاشلة، لا تحاولوا اغواء شاب مؤمن قبل أن تفرقوا بينه وبين خليله الصالح ، ركزوا جهودكم في تمزيق أواصر الحب والاخوة في الله بين المؤمنين ، وان لم تسمعوا نصيحتي فسحقا لكم ، سحقا ، أما أنا فلن أعيد محاولتي الخاسرة مرة أخرى .. !





حكم الحج عن الميت

السـؤال :

اذا توفى أحد قبل أن يؤدى فريضة الحج مع وجوبها عليه فهل يجوز شرعا أن يحج غيره عنه بمال يدفعه اليه الوارث أو غيره تبرعا منه وهل يسقط الفرض عن المتوفى بذلك ؟

الجـواب :

يجوز الحج عن الميت الذى لم يؤد فريضة الحج مع استطاعة السبيل اليه سواء أكان المؤدى وارثا أم غير وارث . لما روى عن ابن عباس ان امى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال : نعم حجى عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته اقضوا الله فالله أحق بالوفاء)(رواه البخارى والنسائى بمعناه) وفى رواية أخرى : (جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ان أختى نذرت أن تحج الى آخره) وفى قوله عليه الصلاة والسلام (نعم) دليل على اجزاء الحج عن الميت من الولد وكذلك من غيره فيما وجب عليه بنذر أو غيره بدليل قوله عليه الصلاة والسلام (اقضوا الله فالله أحق بالوفاء) . وعن ابن عباس قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال : ان ابى مات وعليه حجة الاسلام أفأحج عنه ؟ قال : أرأيت لو أن أباك ترك دينا عليه أقضيته عنه ؟ قال : نعم ، قال فأحجج عن أبيك) رواه الدارقطنى . وفيه دليل على انه يجوز للابن أن يحج عن أبيه حجة الاسلام بعد موته وان لم يقع منه وصية ولا نذر — ويدل على جواز الحج من غير الولد حديث شبرمة ، وهو ما روى عن ابن عباس (أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : لبيك عن شبرمة ، فقال : من شبرمة ؟ قال : أخ لى أو قريب لى قال : حججت عن نفسك ؟ قال لا قال : حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة) (رواه أبوداود وابن ماجة) . وفى شرح مسلم للنووى أن جواز الحج عن الميت مذهب جمهور الأئمة سواء أكان الحج عن حج مفروض أم عن حج منذور ، سواء أوصى به الميت أم لا .

استلام الحجر الأسود

السـؤال :

سمعت أحد الخطباء يروى حديثا هذا لفظه : (الحجر الأسود يمين الله عز وجل ، يصافح به خلقه كما يصافح الرجل أخاه) . فهل هذا ثابت عن الرسـول صلى الله عليه وسلم ؟

الجـواب :

لم يصح هذا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وردت فـى فضل الحجر الأسود أحاديث وعن عمـر رضى الله عنه كما فى صحيـح البخارى (انى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول صلى الله عليـه وسلم يقبلك ما قبلتك) .

وقد روى النسائى ما يشعر بأن عمر رفع قوله هذا الى رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ، فقد أخرج من طريق طاوس عن ابن عباس قال : (رأيت عمر قبل الحجر ثلاثا ثم قال : انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول اللـه صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك . ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك) قال الطبرى : وانما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثى عهد بعبادة الأصنام . فخشى عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب التعظيم لبعض الأحجار ، كما كانت العرب تفعل فى الجاهلية ، فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا لأن الحجر ينفـع ويضر بذاته ، كما كانت الجاهلية تعتقده فى الأوثان .

وقال المهلب : حديث عمر هذا يرد على من قـال ان الحجر يمين اللـه فى الأرض يصافح بها عباده ، ومعاذ الله أن يكون لله جارحة . هذا صريح فى أنـه ليس بحديث ، وانما هو قول لبعض الناس مردود بمـا ذكر . وقـال الخطابى تصحيحا لمعناه فقط : معنى أنه يمين الله فى الأرض ، أن من صافحه فى الأرض كان له عند الله عهد .

وجرت العادة بأن العهد يعتمده الملـك بالمصافحة لمن يريـد موالاتـه ، والاختصاص به فخوطبوا بما يعهدونه . وقال المحب الطبرى معناه : ان كل ملك اذا قدم عليه الوافد قبل يمينه ، فلما كان الحاج أول ما يقدم يسن تقبيله ، نـزل منزلة يمين الملك ولله المثل الأعلى . أهـ . فهو كلام على التجوز .ذكر ذلك الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ، قال : وانما شرع تقبيله اختيارا ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع ، وذلك شبيه بقصة ابليس حين أمر بالسجود لآدم .

وفى قول عمر هذا التسليم للشارع فى أمور الدين وحسن الاتباع فيما لـم يكشف عن معانيها وهو قاعدة عظيمة فى اتباع النبى صلى الله عليه وسلم فيما يفعله ، ولو لم يعلم الحكمة فيه — وفى شرح الترمذى : أنه يكره تقبيل ما لم يرد الشرع بتقبيله) .

بريد الوعي الاسلامي

إعـــداد : عبد الحميد رياض

حول مسرحية خولة بنت الأزور

نشرتم فى العددين ١١٣ و ١١٥ من مجلة الوعى الاســـلامى الغراء فصلين من مسرحية عن حياة البطلة الاسلامية خولة بنت الأزور ، بقلـــم الدكتور أحمـــد شوقى الفنجرى . وأحب أن أوجه الى الكاتب بسؤالين : —

أولا : هل هذه القصة من أحداث التاريخ الحقيقية أو هى قصة خياليـــة وما هى مراجع المؤلف فيها ؟

ثانيا : رغم أن المسرحية قد صيغت فى قالب قصصى جذاب ومشوق إلا أننا نأخـذ على الكاتب السير على منوال غيره من الكتـــاب فى إقحام قضـــايا الحب والزواج .. ألم يكن من الخير تجنب هـــذه الموضوعـــات فى هذا المجـــال الدينى .

نعيم الشربينى — القاهرة

وقد أحلنا هذا السؤال الى المؤلف وجاءنا الرد التالى :

القصة أو المسرحية الاسلامية تختلف كل الاختلاف عن أى قصـــة عادية .. فهناك أربعة جوانب هامة يجب على كاتب القصة مراعاتها والالتزام بها :

أولا — الالتزام التام بحقائق التاريخ وصدق الأحداث دون زيادة من خيـــال الكاتب حتى تبقى للقصة قيمتها التاريخية والواقعية ..

ثانيـــا — أن يعالج الكاتب أحداث الحياة العاديـــة التى يتعرض لهـــا بطل القصة أو اى شخص عادى مظهرا التصرف الاسلامى اللائق والواجب فى مثـــل هذه الظروف وألا يتهرب من معالجة اى موقف مهما كان حرجا . مظهرا السلوك الاسلامى المثالى فى مثل هذا الموقف . فالاسلام دين عملى وواقعى وليس مـــن

طبيعته الهرب من واقع الحياة ومشاكلها .. بل هو يواجه ذلك بالحلول المبنية على مبادئه الخالدة ..

ثالثا — أن تكون القصة هادفة .. فلا يكفى أن تكون تاريخا لذات التارخ .
ولكن يجب أن تظهر العبر والدروس المستفادة من التاريخ .. وأن يكون هدفها الرئيسى إظهار التطبيق العملى لمبادىء الاسلام فى واقع الحياة ..

رابعا — أن يحرص الكاتب على سبك القصة وجودة القالب المسرحى والإخراج الفنى .
فلا يكثر من المواعظ .. والمواقف الخطابية حتى لا يسلم القارىء الى الملل .
وقد التزمت قدر جهدى بهذه الأربعة فى مسرحية خولة بنت الأزور وفى مسرحية بنت حكيم التى نشرت قبلها ..

فقد راعيت أمانة التاريخ وحقائقه لكى يشعر القارىء انه يقرأ تاريخا حقيقيا فى قالب قصصى .. وأن هذه الأحداث ليست من اختراع الكاتب أو خياله .

ورغم أن المرجع الرئيسى فى هذه المسرحية هو المصادر العربية الاسلامية مثل كتاب فتوح الشام ومصر للامام الواقدى وكتاب (فتوح مصر واخبارها) للامام ابى القاسم عبد الرحمن القرشى .. الا أننى قد حرصت على متابعة الجانب التاريخى فيما سجله الكتاب الغربيون عن الشخصيات الرومانية والمصرية التى جاء ذكرها فى هذه الرواية ومن ذلك الموسوعة البريطانية وموسوعة الأديان وما كتبه المؤرخ البريطانى العظيم (أرنولد توينبى) وكتاب (الفتوحات الغربية الكبرى) للجنرال جلوب .

ومن المعروف تاريخيا أن البطلة خولة بنت الأزور قد تزوجت الأمير الرومانى رومانوس حاكم بصرى بعد إسلامه وقد أشار الكاتب الاسلامى القدير على احمد باكثير فى مسرحيته (ملحمة عمر) الى هذا الزواج ولست أرى ما يدعو الى إغفال هذه الحقيقة أو تشويه التاريخ أو تغييره فالزواج بين مسلم ومسلمة امر طبيعى بصرف النظر عن العنصر واللون ..

ورغم أن قصة زواج خولة من رومانوس قد مرت مرورا عابرا فى المسرحية ولم تكن هدفا لذاتها إلا أننى لا أجد أى داع فى القصص الاسلامية للهرب من مواقف الحب والزواج فهذه مسائل لا بد أن يتعرض لها كل إنسان مسلم فى حياته .. وعلينا أن نعالج مثل هذا الموضوع الواقعى بالأسلوب الاسلامى والمثاليات الاسلامية التى جاء بها ديننا الحنيف .

فالإسلام لا يحرم على المسلم أن يتزوج ولا يحرم عليه أن يكون الزواج عن حب وإعجاب . بل انه يحبذ ذلك .
عن ابن عباس رضى الله عنه أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (يا رسول الله .. عندنا يتيمة قد خطبها رجلان .. موسر ومعسر ..

وهى تهوى المعسر ونحن نهوى الموسر) فقال الرسـول (لم ير للمتحابين مثـل التزويج) .

وقد كتب الكثير من علماء الاسلام وأئمة الفقه السابقين عن الحب وشرحوا الحلال منه والحرام .. ومنهم من ألف كتبا مستقلة فى هذا المجال أو فصـولا من كتب مثل الإمام ابن حزم فى كتابه طوق اليمامة ومثل ابن تيمية ومثل الامـام الشافعى . وللامام ابن القيم كتاب عن الحب اسمه : (روضة المحبين ونزهـة المشتاقين) وكتب الإمام أبو الفرج الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، كتابا مشهـورا بعنـوان : (ذم الهوى) .

وقد كتب الإمام ابن حزم فى كتابه طوق اليمامة مقدمـة طريفة يسد بهـا الطريق على معترضيه وناقديه إذ يقول :

أنا أعلم أنه سينكر على بعض المتعصبين تأليفى لمثل هذا الكلام !! ويقول انه خالف طريقته وتجافا عن وجهته وهكذا ..)

وقبل أن أختم هذا الرد .. وبرغم كل هذه الحقائق التى ذكرتهـا .. فاننى أجد للقارىء الكريم كل العذر فى اعتراضه على سيرة الحب والزواج فى القصص الاسلامية ، وذلك بسبب ما نراه فى أيامنا هذه من انتشار موجـة الكتابـة فـى الموضوعات الجنسية الرخيصة بين الكثير من كتاب القصة العرب .. وبطريقـة مبتذلة ومنفرة للذوق السليم .. وذلك ما يجعل الانسان الفاضل ينفر بطبيعتـه من هذه السيرة ومن سيرة الحب والزواج !!
ولكن هذه الحالة تثير سؤالا هاما ؟!

هل العلاج السليم هو أن يستبعد كتاب القصة الاسلامية هذه الموضوعات ويقاطعوها ويعتبروا مجرد الخوض فيها أمر غير مقبول بل حرام ؟

أم أن الأفضل هو مواجهة شتى موضوعات الحياة دون حرج ومعالجتهـا بالأسلوب الاسلامى السليم وبهدى من القرآن والسـنة والفقه .. حتـى يتبين الناس التصرف الاسلامى الذى يجب أن يتبعوه اذا واجهتهم هذه الظروف وهـذا هو ما أرى أن نأخذ به والله الموفق .

المسـلمون فى جمهورية ليبيريـا

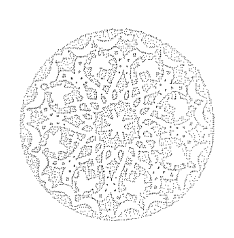
أكتب إليكم هذا لأعرض فكرة عن بلاد مسلمة منسية من الجميع .. وهذه البلاد المنسية من المسلمين لها عليكم حق التوجيه ولا بد أن تشـملوا أحـوال المسلمين بها بالدراسة والبحث وإسداء العون بتوصيل الوعى الإسلامى ـ بالمعنى اللغوى ـ إليهم ـ وبالطريقة التى تؤتى أوفر الثمار ـ ابتغاء ثواب الله والله عنده حسن الثواب .

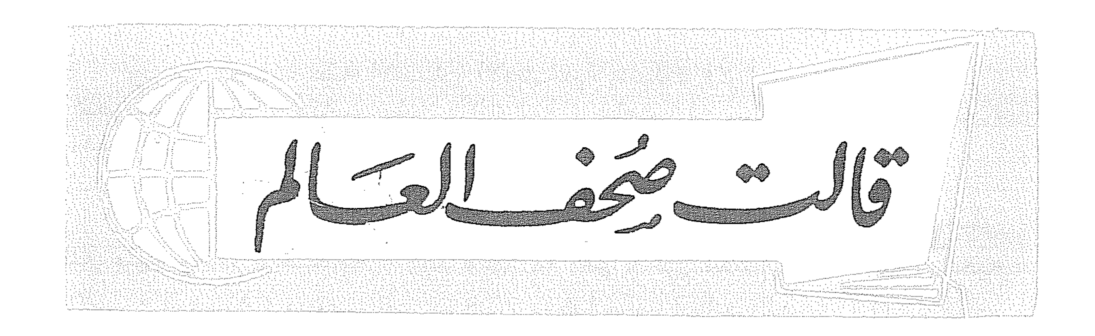
فلقد ساقتنى ظروف عملى الى قضاء أربعة شهور فى جمهورية ليبيريا .. — من دول غرب أفريقيا كما تعلمون — وهناك تقول الاحصائيات الحديثة إن المسلمين يشكلون ٢٥٪ من السكان الذين يقترب عددهم من المليونين . (والإحصائيات فى هذه الدول معظمها لا يتمتع بالقدر الكافى من الدقة) بينما! تقول إحصائيات قديمة منذ أربعين عاما ان عدد المسلمين فى هذه الدولة يقدر بحوالى مليون مسلم . وليس فى ليبيريا أى اثر لتبشير أو توعية إسلامية على الإطلاق — ولا أثر للأزهر الشريف ولا لغيره — بالعكس يوجد بضعة مكاتب تبشير بالمذهب الأحمدى (القاديانية) فى العاصمة مونروفيا .

وتعمل مؤسسات التبشير المسيحية على إنشاء المدارس .. ولا يدخلها مسلم الا ويتنصر — وإقامة مستشفيات تبشيرية — وتعمل هذه المدارس — ولا مدارس غيرها .. على تحويل المسلمين عن دينهم وقد نجحت فعلا فى شد أعداد كبيرة من المسلمين الى المسيحية ولا تزال عملية الشد مستمرة .. وكثيرا ما ترى شبابا اسمهم الأول مسيحى واللقب مسلم .. آباؤهم وعائلاتهم مسلمة ولكنهم تعلموا .. ولا تعليم إلا فى المدارس التبشيرية .. ولا تعليم الا بالتحول من الإسلام الى المسيحية دون استثناء . كما يحدث أن تجد موظفين فى شركات يتسمون بأسماء مسيحية .. وتضبطهم يترنمون بالأذان وتسألهم فيقولون ان الاسم المسيحى مستعار لامكان الحصول على عمل .

وقد زرت القرى الاسلامية فوجدت وبشكل دائم فى مقدمة القرية الواقعة فى قلب الغابة الاستوائية .. مسجد القرية مدهون بالجير ومفروش بالحصير .. وسكانها رغم عدم اتصالهم بالعلم الإسلامى منذ عشرات السنين يتميزون بأخلاق تختلف عن أخلاق القبائل الأخرى وبمثل إسلامية هامة ولا يسيرون عرايا تماما كالقبائل الأخرى ويتلهفون على أى مسلم قادم من الخارج ويجدون فى عملهم ويتعلمون الحرف المختلفة كالبناء وقيادة السيارات والسمكرة الخ .

ولكن المسلمين فى جمهورية ليبيريا فى الحقيقة يحتاجون الى أشياء كثيرة فى دينهم ودنياهم وسط القبائل التى معظمها مسلمون كقبائل الفاى .. لعل ذلك يكون فاتحة خير لإيقاف هذا النزيف الاسلامى والنزح من أمة محمد الى الديانات الأخرى .. وذلك بانشاء مكاتب تباع فيها مجلة كالوعى الإسلامى مترجمة الى الانجليزية — ولغة الفاى — والباسا حتى يعم النفع وتقوى صلة المسلمين بالاسلام .





البيئة الثقـــافية ..

بيئة الانسان من أهم مكوناته .. ولكل انسان بيئته الطبيعية : مكانه الذى يضطرب فيه ، وجوه الذى يشـتمل عليه .. وبيئته الاجتماعية : الناس الذين يعايشـهم ويعاملهم وتربطه بهم مختلـف الروابط .. ومـا يقرؤه الانســان أيضا هو له بيئة تؤثر فى فكره وعواطفه ومسلكه فى الحياة ..

وما أزال أذكر كيف كنا نجتمع صغارا على سيرة عنترة بن شداد نقرؤهـا فنحب الشجاعة والوفاء فى عنترة ، ونكره الجبن والغدر فى عمارة بن زياد ، وكيف كانت تهتز قلوبنا وتدمع عيوننا وتستولى علينا الســيرة حتى أننا لنكاد ننسى زماننا ومكاننا ونرتد الى زمانها ومكانها .. فاذا نحن ثبنا الى أنفســنا ، وانصرفنا الى المعتاد من حياتنا ، رأينا أنفسنا نقلد الأبطال الذين أعجبنا بهم ، ونمثل أخلاقهم ، ولربما صنعنا لأنفسنا سيوفا ــ كسيف أبى حية ــ من الخشب فجددنا معاركهم . ولا أنسى رفيقا لنا أعجب (بالغضبان) ابن عنترة أشــد اعجاب ، جاءنا يوما على حالة من الحزن شديدة وهو يبكى أحر بكاء لأن أباه قد منعه من كسر أنفه ليصير أفطس مثل أنف الغضبان .. !

ونحن الآن نرى أثر ما نقرؤه لبعض المفكرين والأدباء والعلماء المسلمين الممتازين فى تصحيح فهمنا ، وتقويم اتجاهنا ، وشعورنا بما لنا فى فهمنا وعملنا من أخطاء .

ومن أهم ما نقرأ ومن أشده تأثيرا كتب الأدب والتـــاريخ ، كتب الأدب تصعد بنا بأجنحتها الى ما هو أسمى وأكمل ، وترسم لنا مثلا ، وتكتشف لنــا طرقا ، وتضرب بمعولها الواقع القائم لينهار ويقوم مقامه الواقع المنشود .. هذه الكتب كم ولدت من ثورات وأحدثت من انقلابات فى المجتمعات والأفكار ..

وكتب التاريخ فيها نجد القدوة الصالحة والحافز القوى والأسوة الحسنة فى الكفاح .

ولربما فسدت بيئة الانسان الاجتماعية فضلت فكرا ، وانحلت خلقا ، وانحرفت سلوكا ، فكانت بيئته (الثقافية) عاصما له مما أصاب مجتمعه ، ومددا لفكره وروحه ، وعونا على استبانة الطريق المستقيم ..

وأفضل بيئة للمسلم يعيش فيها هى القرآن الكريم وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، يجد فيهم ما أعوزه فى مجتمعه من القدوة الحية والأسوة الحسنة ، ويتنفس فى جوهم ، ويحيا معهم ايمانهم العميق ، ومشاعرهم السامية ، وأخلاقهم الفاضلة ، وجهادهم الدائم فى سبيل الله ، كما يرى الاسلام فيهم مجسما .. يراه بعينه ، ويحسه بقلبه وفكره ..

ولكن هذه البيئة التى يفتقر اليها المسلم لحياة روحه ، ومعرفة هدفه ، وتبين طريقه ، تكاد تكون محجوبة الأسرار ، مقفلة الأبواب على من لا يملك مفتاحها .. وما مفتاحها الا العربية التى يتوجب علينا اتقانها لتكون منفذنا الى فهم القرآن والحديث وذوقهما ودخول عالمهما الذى يصنع فيه المسلم الحق عقيدة وفكرة ومسلكا ووجهة نظر معينة الى الكون والحياة والانسان .

وقد فسد مجتمعنا الذى نعيش فيه ، واشتدت حاجتنا الى البيئة الثقافية (الاسلامية) التى تعيننا عليه ، وتغذى فكرنا وشعورنا ، وتعوضنا مما فقدنا .. ولم نجد هذه البيئة المنشودة ، بل وجدنا بيئة ثقافية أخرى هى فى الغالب صورة الضلال العقلى ، والفساد الاجتماعى ، وصدى الغرائز البهيمية أو المآرب المتهمة ، تنفذ الينا من الكتاب الذى نقرأ ، والمجلة التى نتصفح فتسمم الفكر والخيال ، وتفسد الأخلاق .. ولو أن دارسا تقصى ما يقرأ فى أوساط الشباب لكاد لا يرى الا فكرا مدخولا أو معرفة مريبة أو قصصا رخيصا ، أو أخبار الممثلات والممثلين وأنباء اللهو واللاهين ، أو شعرا هو صوت الغريزة ونداء المنكر ودعوة الانحلال .. هذه تقريبا هى بيئة عامة الشباب الثقافية أى بيئة أفكارهم وقلوبهم ..

وليس مرد هذا الى أن الشباب قد فسد فأصبح يؤثر هذا اللون من القراءة فقط ، فان ثمة شبابا ما يزالون ينطوون على خير ، وما يزال عندهم الاستعداد ليكونوا كما يريد لهم الاسلام ، ولينفصلوا عن واقعهم الفاسد لا يستمدون منه ، ويعيشوا فى جو الاسلام بمطالعتهم يستمدون من حقائقه ، ويستلهمون من رجاله ، ما يمكنهم من العودة الى واقعهم متحررين منه ، ليكيفوه حسب عقائدهم أو يهدموه ليقيموا الصرح الاسلامى الجديد .. ولكن المشكل أننا لا نجد هذه البيئة الثقافية الاسلامية الحديثة التى تلبى حاجة الفكر المسلم ، والشعور المسلم ، والمعرفة الاسلامية .. لا نجد الكتب الاسلامية أو المجلات التى يمكن أن ندفعها الى الشباب المسلم وتكون دليله الأمين فى حياته الشخصية والاجتماعية ، وفى فهم مشكلات عصره المختلفة فى ضوء الاسلام ،

وتكون رفيقه الصالح ، وتكون سميره الممتع ، وتكون سبيله الى اتقان لغته (لغة القرآن) ، ويجد فيها حاجة الفكر والقلب ، وحاجة النفس الى الترفيه فى حدود الاسلام وحسب هديه وأدبه .. لا نجد هذه الكتب والمجلات بالمقدار الكافى الوافى بالحاجة الماسة — على قيمة بعض ما صدر من كتب فى بعض جوانب الاسلام ..

اننا نريد هذه الكتب والمجلات .. ونريد أدبا اسلاميا يكون وعيا (اسلاميا) عميقا ، ويصب الحماسة فى قلوب الشباب ، ويشير لهم الى الهدف ، ويستحثهم فى الطريق ، ويستجيش كل الطاقة الكامنة فيهم .

نريد مقالات ومسرحيات وروايات .

نريد قصصا تصور واقع المسلمين المؤلم والظلم الواقع بهم تصويرا ينضح الدم لا الدمع ، ويدعو الى الثورة على الواقع والى الانتصاف والعودة بالاسلام الى مكانه القديم .

نريد تاريخا واقاصيص تصور للناس ما فعل الاسلام الذى جهلوه للدنيا ، وترد عليهم من عظمته وعدالته واصلاحه ورحمته ما يحرك القلوب .

نريد تراجم تلهم الشباب وتعلمهم كيف يكون الايمان والجهاد والتضحية والصبر ، وكيف ينتزع النصر من الهزيمة ، وينبلج الفجر فى الظلام .

ونريد شعرا يعيد لنا مجد الماضى ، ويشعرنا ذل الحاضر ، ويحفزنا على التمرد ، ويحملنا حملا لنصنع المستقبل المجيد .

نريد باختصار أدبا يكون عالم صغارنا وشبابنا الروحى والفكرى، ويستولى على عقولهم وقلوبهم ، ويرفعهم فوق اسفاف مجتمعهم ، ويجعل منهم رواد الحياة الاسلامية المقبلة .

وهذا يقف أدباءنا — على قلتهم — أمام مسؤولية اسلامية خطيرة .. أمام مسؤولية الاستجابة لهذه الارادة وتلبية هذه الحاجة .

ان عليهم أن يصنعوا لنا بيئة ثقافية اسلامية ينمو بها صغارنا ، ويعيش فيها كبارنا ، وتعصمنا وتلهمنا وتدفعنا الى العمل .

وانه لجهاد يدعون اليه ، ويلزمهم دينهم به .. جهاد كجهاد السيف يتوقف عليه مع غيره مستقبل الاسلام .

(عن مجلة الرائد التى يصدرها المركز الاسلامى بآخن

بأقلام القراء

كثيرا ما ضمتنى مجالس فيها القانونى والمهندس والطبيب والمدرس وفى أكثر من بلد عربى وكثيرا ما يتشعب الحديث حيث يشمل مواضيع تبحث فى مشاكل المجتمع وتطبيبها ، ومن الطبيعى أن يرتفع صوت الاسلام ليقول كلمته فى هذا المشكل أو ذاك حيث أن الجميع مسلمون يدينون بالاسلام ويعيشون فى بلد مسلم ويستظلون بشريعة الله والمتحدثون على جانب من المعرفة الدينية، حينئذ ينبرى لك نفر ممن يدعون لأنفسهم ميزة التقدمية والارتقاء ويقولون إن الاسلام ينحصر عمله فى تنظيم العبادات والطقوس الدينية وللإجيال المنقرضة من آبائنا وأمهاتنا ولا مكان له فى تقديم حلول سليمة فى هذا الزمان المتحضر بل تراهم يذهبون الى أبعد من ذلك حيث تسمع هذا النفر يهذى بان فى البلاد أجانب وأن فى الحديث عن الاسلام ما يفرق كلمة الناس ويدعو الى العصبية الدينية التى يجب أن تزول من هذا المجتمع . ياعجبا لهؤلاء . ان موقفهم هذا ليدعو الى الاشفاق عليهم والرثاء لهم لقد وقعوا تحت تأثير بعض الأبواق المأجورة والكتابات الرخيصة التى يقودها الاستعمار البغيض بشقيه الغربى والشرقى فهما لم يتفقا على شىء اتفاقهما على محاربة الاسلام وطمس الثقافة الاسلامية الرشيدة لأنهم يدركون أن فيها موتهم والقضاء عليهم ؛ لقد ادرك الشرق والغرب ان فى الاسلام قوة هائلة لها من الكيان الذاتى والحركة الدائبة ما يقضى على اطماع الطامعين ورد كيد الكائدين واللاسبيل الى السيطرة على بلاد المسلمين الا بتحطيم هذا الدين وهيهات لهم ان ينالوا من ذلك شيئا والله من ورائهم محيط . علم الغربيون والشرقيون هذه الحقيقة عن الاسلام ، لذا فهم لا يفترون عن تشكيك ابناء المسلمين فى قدرته على علاج مشاكل بلادهم وذلك عن طريق كتاب يحملون اسماء مسلمة ويعلم الله ان الاسلام منهم براء هم يكتبون ذلك — عن جهل أو علم — بغية عرض زائل من جاه أو مال . اننى لا الوم هؤلاء الكتاب المأجورين فهم مرضى بعلل وعقد نفسية رأيناهم فى عصور سابقة وسنراهم فى عصور قادمة ولكنى اشفق على هذا النفر المخدوع ممن يحملون على ظهورهم شهادات جامعية — لأنهم اغلقوا

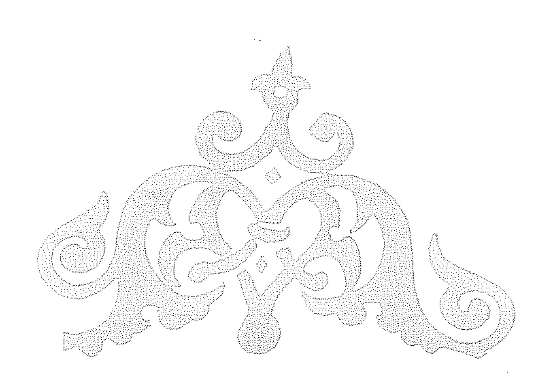
عقولهم وطمسوا تفكيرهم ورضوا بثقافة سطحية تمسخ فيها شخصية المثقف وينعدم كيانه فى إطارها ، ان أعداء الحرية من الطامعين والمغامرين ومن دار فى فلكهم ممن ينتسبون ظلما الى الاسلام يهدفون الى اذابة شخصيتنا وتراثنا الاسلامى المتين بتحطيم القيم العليا فى نفوس الجامعيين مع تثبيت المعانى الخاطئة التى تدعو بصورة مباشرة أو غير مباشرة الى اقصاء الشريعة الاسلامية عن نظام حياتنا فى جميع نواحيها ، حتى اذا مانجحوا فى قتل شخصيتنا المسلمة المؤمنة سهل على الدخلاء حينئذ ان يتلاعبوا بمصير شعوبنا واستنزاف خيراتها .

والعجيب فى الامر أن نغمة التعصب الدينى لا نسمعها الا من أفواه التافهين من أبناء هذا الاسلام المنكوب بهم وفى دياره الغريب عنها . لم أسمع به فى بلاد الغرب (حيث قضيت بها قرابة الخمس سنوات) ولم يجرؤ انسان على التفوه بهذا الكلمة فى بلادهم فى الوقت الذى تقام فيه المناظرات والمحاضرات (المبيتة) فى جامعاتهم وأنديتهم يدعون اليها أبناء المسلمين المغتربين ثم يهاجمون الاسلام علنا ويطعنونه بما ليس فيه افتراء وكذبا ودسا وتدليسا . لم يتطوع احد من هذا النفر المفتون على علم بالقول بان فى الغرب والشرق من يتعصب ضد الاسلام والمسلمين ، إن الاسلام فيه من السماحة ومتانة البنيان ما حدا بشيخ الاسلام ابن تيمية بأن يكتب فى رسالة له لسرجون ملك قبرص يؤكد فيها وجوب المساواة فى الحقوق والاحكام بين جميع من يظلهم سلطان الاسلام وذلك فى معرض اصراره على اطلاق سراح الاسرى من المسلمين والنصارى واليهود على السواء قال ابن تيمية رضوان الله عليه ونحن قوم نحب الخير لكل أحد ونحب أن يجمع الله لكم خيرى الدنيا والآخرة فان أعظم ما عبد الله به نصيحة خالصة وبذلك بعث الله الأنبياء والمرسلين ولا نصيحة اعظم من النصيحة فيما بين العبد وبين ربه فانه لا بد للعبد من لقاء الله ولا بد ان الله يحاسب عبده كما قال تعالى ((**فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين**)) .

وفى هذا العصر بلغ من تسامح المسلمين وغفلتهم ان الاسلام لا يطعن علنا وعلى صفحات الصحف والمجلات من أبنائه العاقين فحسب بل ومن أبناء الملل الأخرى ولا تجد من يحرك ساكنا أو يقول ان هناك تعصبا ضد الاسلام فتلك حرية الرأى (الجائر الظالم) ولا حرية للمدافعين عن كرامتهم ودينهم وشعائر اسلامهم فهؤلاء متعصبون جامدون لا مكان لهم فى هذا المجتمع المتحرر المتطور ، ياهؤلاء انكم والله تصغرون فى أعين اسيادكم الملاحدة فالانسان

لا يحترم الثقافة السطحية ولا التهافت الرخيص ولا ادعاء المرء بما ليس فيه ولا بتحطيم مثله وتقاليده ودينه ارضاء لأسياده فهم حين يفرغون منه يلفظونه لفظ النواة ويكون بذلك قد خسر الدنيا والآخرة .. لقد انتزع المؤمنون فى بلاد الغرب احترام الغربيين وتقديرهم ليس بمسايرتهم والتملق لمدنيتهم فهم يعلمون انها خلو من مكارم الاخلاق ولكن بتمسكهم باهداف دينهم قولا ومسلكا . انكم والله لو ذقتم شعور الاستعلاء بالايمان وبالانتساب الى الاسلام العظيم وما فيه من طلاوة ولذة تفوق متاع الدنيا بأسرها لتمسكتم باهداف هذا الدين ولما رضيتم لأنفسكم هذا الهوان الذى تترددون فيه من حيث لا تشعرون ، ان الدلائل كلها تشير الى أن المستقبل لهذا الدين وحينئذ سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، لقد فشلت المدنية الغربية بما فيها من تفوق مادى — لا ننكره — ان تتغلب على هذا التخبط الجاهل فى عالم الروح والمثل العليا وفى الاسلام العظيم المشتعل الذى يضىء للبشرية الطريق ويخرجها من ظلمات الجهالة الى نور الحق وهو كذلك من لدن محمد بن عبد الله صلوات الله عليه الى ان يرث الله الارض ومن عليها والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون .

الدكتور سالم نجم





اعداد الاستاذ : فهمى الامام

الكـــويت :

● عاد سمو أمير البلاد المعظم بحفظ الله ورعايته الى أرض الوطن والوفد المرافق له بعد أن شارك مشاركة فعالة فى مؤتمر القمة العربى السابع الذى عقد فى مدينة الرباط بالمغرب .

وقد جرى لسموه استقبال رسمى وشـــعبى هائل وكان فى مقـــدمة مستقبليه سمو ولى العهد ورئيـــس مجلس الوزراء .



● افتتح حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الشيخ صباح الســالم الصباح دور الانعقاد العادى الخامس المكمل للفصل التشريعى الثالث لمجلس الأمة .. ويبدو فى الصورة سموه وهو يلقى خطاب الافتتاح .

● يبدو فى الصورة وفد دولة الكويت الى مؤتمر القمة العربى الســـابع برئاسة حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم .

● أعربت الكويت عن ارتياحها للاتفاق الذى تم بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية تحقيقا للتضامن العربى والذى هو ضرورى لمواجهة اسرائيل وللتصدى لاحتمال وقوع حرب أخرى وللرد على التهديدات الأمريكية .

● رفع الأستاذ راشد فرحان وزيـــر الأوقاف والشؤون الاسلامية تقريرا الى مجلس الوزراء عن نتائج زيارته للصومال ضمنه معلومات كاملة عن مشروع انشاء المعهد الدينى الاسلامى فى الصومال الذى سيقوم بمهمـــة الدعوة للاسلام فى افريقيا واعـــداد نشء يحمل رسالة الاسلام .

● سيمثل الكويت الاستاذ راشد الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية فى مؤتمر علماء المسلمين الذى سوف يعقد فى القاهرة فى ١٥ نوفمبر الحالى .

● زار الحاج عمر عبد الله مستشار جزر القمر وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية عقب عيد الفطر المبارك .

● كان فى ضيافة وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الشيخ على عبد الرحمن الصوفى .. من كبار علماء الصومال — خلال شهر رمضان الماضى .

● تبرعت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بعدد ١٠٠٠ مروحة لمساجد الصومال ، وعدد ٢٠ مروحة و ٢٠ بساطا لمسجد القرآن الكريم بمديشيو .

القاهرة :

● زار وفد اسلامى برياسة الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية جنوب تايلند ، وتفقد الوفد المشروعات الحكومية لخدمة المسلمين .. كانشاء المساجد وترميمها .. هذا . وقد قررت الحكومة التايلاندية إقامة مراكز للتدريب المهنى ، وطبع تفسير القرآن الكريم باللغة القومية وتوزيعه على المسلمين ، وادخال تعليم اللغة العربية والدين الاسلامى فى المدارس الحكومية .

● أنتخب الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية رئيسا للجنة التحضيرية للمهرجان الثقافى الاسلامى المقرر عقده فى لندن عام ١٩٧٦م .

السعودية :

● تقرر انشاء كلية جديدة فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة تحت اسم (كلية القرآن الكريم) وهى أول كلية من نوعها فى العالم الاسلامى تهتم بدراسة علوم كتاب الله وإعجازه وبلاغته ، ومن أول شروط الالتحاق بها حفظ القرآن الكريم كاملا .

سوريا :

● دعت سوريا لمزيد من التضامن العربى لمواجهة المخاطر الحقيقية ، وصرح المسئولون بأن الحرب مع اسرائيل لم تنته بعد ، وأن الاستعدادات قائمة لمواجهة أى احتمال .

أبو ظبى :

● بحث السيد وزير الشئون الاسلامية والأوقاف فى دولة الامارات مع الوفدالاسلامى المصرىالذى زار دولة الامارات وسائل دعم التعاون بين دولة الامارات ومختلف الهيئات الاسلامية فى نشر الثقافة الاسلامية وفى مقدمتها طبع المصاحف واحياء التراث الاسلامى .

ليبيا :

● نص تعديل أجرى على قانون العقوبات الخاص بتحريم الخمر على أن شهادة متعاطىالخمر غير مقبولة وعلى عدم صلاحيته لتولى مناصب رئيسية أو قيادية أو بقائه فيها .

المغرب :

● اختتم مؤتمر القمة العربى السابع — والذى انعقد فى مدينة الرباط — أعماله متخذا القرارات والتوصيات المناسبة للنهوض بالأمة العربية والاسلامية والتصدى للعدوان الاسرائيلى .

● قرر الملوك والرؤساء العرب أن يعقد مؤتمر القمة العربى الثامن فى شهر يونيو عام ١٩٧٥م .

● قال جلالة الملك الحسن فى مؤتمره الصحفى باسم جميع الدول العربية : إن على الولايات المتحدة واسرائيل أن تعترفا بأن منظمة التحرير الفلسطينية شريك فى جهود السلام أو تواجها معا التهديد بصدام جديد تكون الغلبة فيه للعرب .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

الأيام الاسبوع	ذو القعدة ١٣٩٤	نوفمبر ١٩٧٤	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الجمعة	١	١٥	٤ ٣٩	٦ ١٠	١١ ٣١	٢ ٣١	٤ ٥٢	٦ ١٣	١١ ٤٧	١ ١٨	٦ ٣٩	٩ ٤٠	١ ٢١
السبت	٢	١٦	٤٠	١١	٣١	٣١	٥١	١٢	٤٩	٢٠	٤٠	٤٠	٢١
الاحد	٣	١٧	٤١	١٢	٣٢	٣١	٥١	١٢	٥٠	٢١	٤١	٤٠	٢١
الاثنين	٤	١٨	٤٢	١٣	٣٢	٣١	٥١	١٢	٥١	٢٢	٤١	٤٠	٢١
الثلاثاء	٥	١٩	٤٣	١٤	٣٢	٣٠	٥٠	١١	٥٣	٢٤	٤٢	٤٠	٢٢
الاربعاء	٦	٢٠	٤٤	١٤	٣٣	٣٠	٥٠	١١	٥٤	٢٥	٤٣	٤٠	٢٢
الخميس	٧	٢١	٤٥	١٥	٣٣	٣٠	٥٠	١١	٥٥	٢٦	٤٣	٤٠	٢٢
الجمعة	٨	٢٢	٤٥	١٦	٣٣	٣٠	٤٩	١١	٥٦	٢٨	٤٤	٤٠	٢٢
السبت	٩	٢٣	٤٦	١٧	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٧	٢٩	٤٥	٤٠	٢٢
الاحد	١٠	٢٤	٤٧	١٨	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٨	٣٠	٤٥	٤١	٢٢
الاثنين	١١	٢٥	٤٨	١٩	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٩	٣١	٤٦	٤١	٢٢
الثلاثاء	١٢	٢٦	٤٨	٢٠	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	١٢٠٠	٣٢	٤٦	٤١	٢٢
الاربعاء	١٣	٢٧	٤٩	٢١	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	١	٣٣	٤٧	٤١	٢٢
الخميس	١٤	٢٨	٥٠	٢٢	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	٢	٣٤	٤٧	٤١	٢٢
الجمعة	١٥	٢٩	٥١	٢٣	٣٦	٢٩	٤٨	١٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٢
السبت	١٦	٣٠	٥١	٢٣	٣٦	٢٩	٤٨	١٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٣
الاحد	١٧	ديسمبر	٥٢	٢٤	٣٦	٢٩	٤٨	١١	٤	٣٦	٤٨	٤١	٢٣
الاثنين	١٨	٢	٥٣	٢٥	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٥	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
الثلاثاء	١٩	٣	٥٣	٢٦	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٥	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الاربعاء	٢٠	٤	٥٤	٢٦	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٦	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الخميس	٢١	٥	٥٤	٢٧	٣٨	٢٩	٤٨	١١	٦	٣٩	٥٠	٤١	٢٣
الجمعة	٢٢	٦	٥٥	٢٨	٣٨	٢٩	٤٨	١١	٧	٤٠	٥٠	٤١	٢٣
السبت	٢٣	٧	٥٦	٢٩	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٨	٤١	٥١	٤١	٢٣
الاحد	٢٤	٨	٥٦	٢٩	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٨	٤١	٥١	٤٢	٢٣
الاثنين	٢٥	٩	٥٧	٣٠	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الثلاثاء	٢٦	١٠	٥٨	٣١	٤٠	٣٠	٤٩	١٢	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الاربعاء	٢٧	١١	٥٩	٣٢	٤٠	٣١	٤٩	١٢	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الخميس	٢٨	١٢	٥٩	٣٢	٤١	٣١	٢٩	١٢	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الجمعة	٢٩	١٣	٥ ٠٠	٣٣	٤١	٣١	٤٩	١٣	١٠	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣
السبت	٣٠	١٤	٠٠	٣٤	٤٢	٣٢	٥٠	١٣	١١	٤٤	٥٢	٤٢	٢٤

أم المؤمنين السيدة جويرية رضى الله عنها

اســـــمها : جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن جديمة وهو المصطلق بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو ـــ الخزاعية المصطلقية .
وقيل : كان اسمها (برة) فسماها الرسول صلى الله عليه وسلم (جويرية) كراهة أن يقال : خرج من عند (برة) .

زواجهــــا : كانت زوجة مسافع بن صـــــفوان المصطلقى (فى أصـــح الروايات) ولما غزا النبى صلى الله عليه وسلم بنى المصطلق .. وقعت جويرية فى سهم ثابت بن قيس (فى أصـــح الروايات) .
فكاتبته على نفسها .. وأتت الرسول صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها . قالت : « يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه ، وقد أصـــابنى من البلايا ما لم يخف عليك ، وقد كاتبت على نفسى فأعنى على كتابتى » .
فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أوخير من ذلك .. ؟ أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك » .
فقالت : نعم .. وكان زواجها من رســـول اللــه صلى الله عليه وسلم .

فضـــلها : لما بلغ الناس أن رســـول الله تزوج جويرية .. كرهوا أن يكون أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرى عندهم . فأعتق الله ببركتها مائة أهل بيت من بنى المصطلق .

قوة ايمـــانها : جاء أبوها فقال للرسول : إن ابنتى لا يســـبى مثلها فخل سبيلها . فقال : « أرأيت إن خيرتها أليس قد أحسنت .. ؟ » قال : بلى . فأتاها أبوها فذكر لها ذلك . فقالت : اخترت الله ورسوله .

روايتها للحديث : روت عن النبى أحاديث وروى عنها ابن عباس وجابر وابن عمر وغيرهم .

وفاتهـــا : انتقلت الى جوار ربها سنة خمسين أو ست وخمســين من الهجرة عن عمر يناهز خمسة وستين عاما وصلى عليهـــا مروان .. رضى الله عنها وأرضاها .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى — ص.ب : (١٣٢) .
بنغازى : مكتبة الخراز — ص.ب : (٢٨٠) .

تونس : مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا .

المغرب : الدار البيضاء — السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب : (٤٢٢٧).

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جدة : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العراق : بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .

قطر : الدوحة : مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبى : مطبعة دبى .

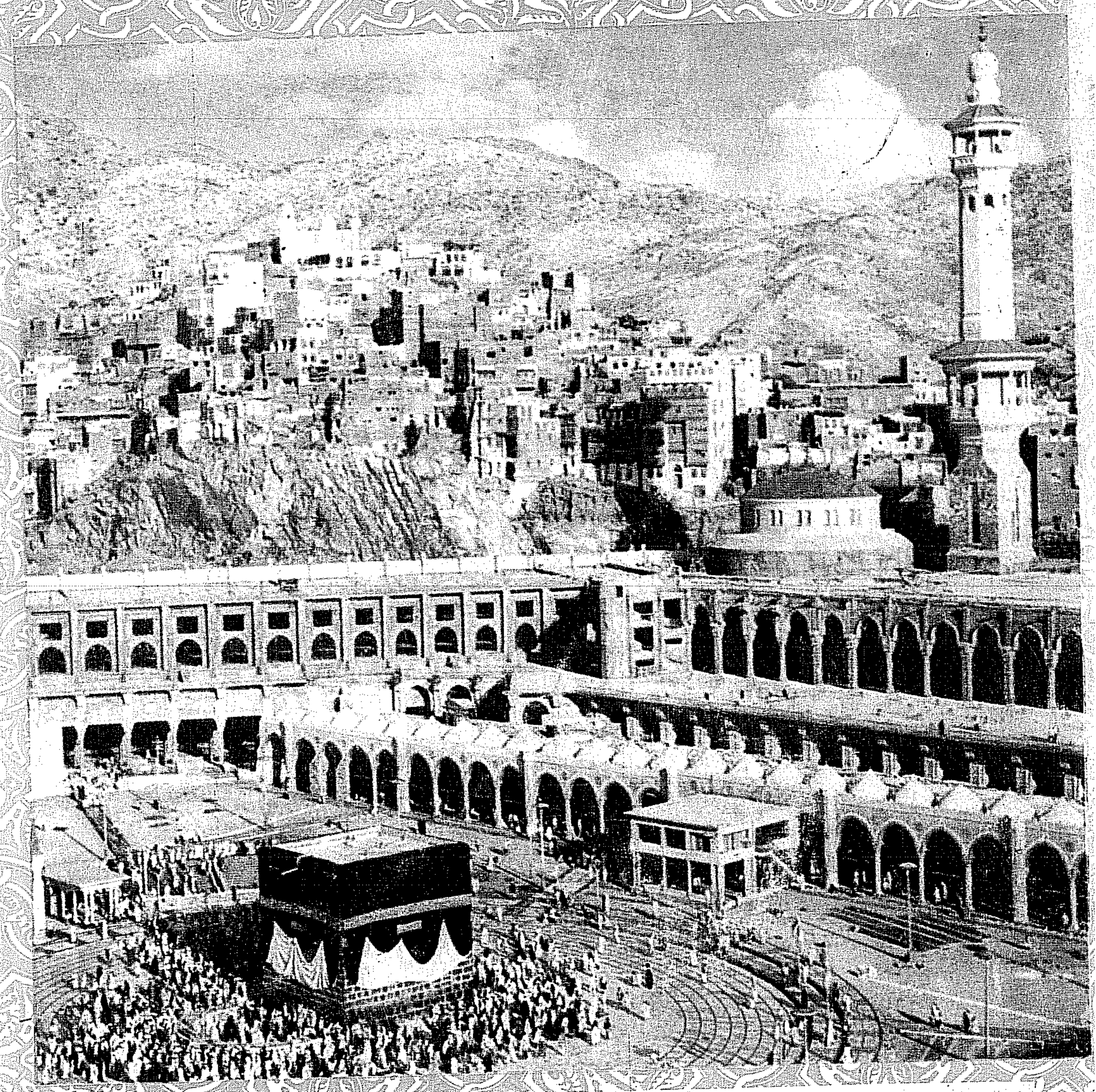
الكويت : مكتبة الكويت المتحدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

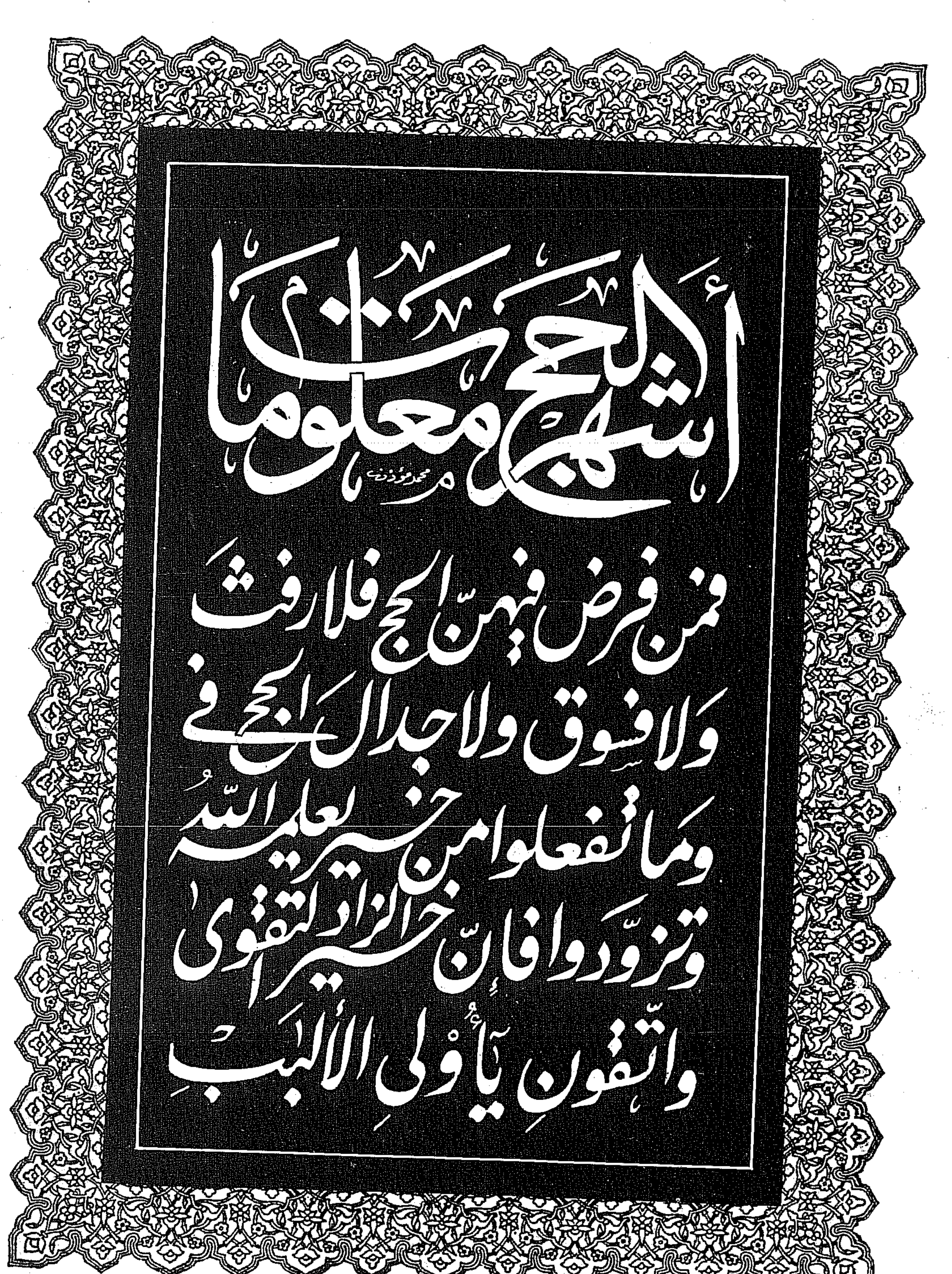
اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية



العدد (١٢٠) غرة ذى الحجة ١٣٩٤ هـ ــ ديسمبر ١٩٧٤ م .



(آية ١٩٧ سورة البقرة)